تم تصدير هذا الكتاب آليا بواسطة المكتبة الشاملة
(اضغط هنا للانتقال إلى صفحة المكتبة الشاملة على الإنترنت)

الكتاب : تفسير كنز الدقائق
المؤلف : الميرزا محمد المشهدي
المحقق :
الناشر :
الطبعة :
عدد الأجزاء : ٢
مصدر الكتاب :
[الكتاب]

بقاح، عن أبي عبد الله المؤمن، عن عمار بن أبي عاصم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أربعة لا يستجاب لهم دعوة، أحدهم رجل كان له مال فأدانه بغير بينة، يقول الله عزوجل: الم آمرك بالشهادة (١). عدة من أصحابنا: عن أحمد بن أبي عبد الله، عن محمد بن علي، عن موسى بن سعدان، عن عبد الله بن القاسم، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من ذهب حقه على غير بينة لم يوجر (٢). محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن موسى بن سعدان، عن عبد الله بن القاسم، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله (٣). وفي تهذيب الاحكام: سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد عن محمد بن خالد، وعلي بن حديد، عن علي بن نعمان، عن داود بن الحصين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن شهادة النساء في النكاح بلا رجل معهن إذا كانت المرأة منكرة فقال: لا بأس إلى قوله: وكان أمير المؤمنين عليه السلام يجيز شهادة امرأتين في النكاح عند الانكار، ولا يجيز في الطلاق إلا شاهدين عدلين، قلت: فأين ذكر الله تعالى وقوله " فرجل وامرأتان " فقال: ذلك في الدين، إذا لم يكن رجل فرجل وامرأتان، ورجل واحد ويمين المدعى إذا لم يكن امرأتان، قضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام بعده عندكم (٤). أن تضل إحديهما: أي تضل احدى المرأتين، أي نسيت الشهادة. فتذكر إحديهما الاخرى: أي إنما اعتبر التعدد في المرأة، لارادة أن تذكر إحداهما الاخرى إن ضلت ونسيت الشهادة، وذلك لنقصان عقولهن وقلة ضبطهن. والعلة في الحقيقة التذكير، وضع سببه مقامه وقرأ حمزة (وأن تضل)

---

(١) الكافي: ج ٥، ص ٢٩٨ كتاب المعيشه باب من ادان ماله بغير بينة، ح ٢. (٢) الكافي: ج ٥ ص ٢٩٨ كتاب المعيشة باب من ادان ماله بغير بينة ح ٣. (٣) الكافي: ج ٥، ص ٢٩٨، كتاب المعيشة باب من ادان ماله بغير بينة، ذيل الحديث ح ٣. (٤) التهذيب: ج ٦، ص ٢٨١، باب ٩٠ البينتين يتقابلان، أو يترجح بعضها على بعض ح ١٧٩. (*)

---

[٦٨٢]

على الشرط (فتذكر) بالرفع. وابن كثير وأبو عمر ويعقوب (فتذكر) من الاذكار (١). ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا: لتحمل الشهادة. وسموا شهداء، تنزيلا لما يشارف منزله الواقع. و (ما) مزيدة. وقيل: لاداء الشهادة، أو التحمل. وفي الكافي: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل: " ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا " قال: لا ينبغي لاحد إذا دعي للشهادة يشهد عليها، أن يقول: لا أشهد عليكم (٢). عدة من أصحابنا: عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام في قوله عزوجل: " ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا " فقال: إذا دعاك الرجل تشهد له على دين أو حق لم ينبغ لك أن تقاعس عنه (٣). علي بن إبراهيم: عن أبيه، عن إبن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل: " ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا " قال: قبل الشهادة (٤). عدة من أصحابنا: عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن ابي نصر، عن داود بن سرحان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يأب الشهداء أن تجيب حين تدعى قبل الكتاب (٥). ولا تسئموا أن تكتبوه: ولا تملوا من كثرة مداياناتكم أن تكتبوا الدين.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١، ص ١٤٤. (٢) الكافي: ج ٧، ص ٣٧٩، كتاب الشهادات، باب الرجل يدعى إلى الشهادة ح ١. (٣) الكافي: ج ٧، ص ٣٨٠، كتاب الشهادات، باب الرجل يدعى إلى الشهادة ح ٣. (٤) الكافي: ج ٧، ص ٣٨٠، كتاب الشهادات، باب الرجل يدعى إلى الشهادة ح ٤. (٥) الكافي: ج ٧، ص ٣٨٠، كتاب الشهادات، باب الرجل يدعى إلى الشهادة ح ٦. (*)

---

[٦٨٣]

وقيل: كنى بالسأمة عن الكسل. صغيرا أو كبيرا: كان الحق صغيرا أو كبيرا. أو الكتاب مختصرا أو مشبعا. إلى أجله: متعلق بـ (تكتبوه) أي وقت حلوله الذي أقر به المديون. ذلكم: اشارة إلى (أن تكتبوه). أقسط عند الله: أكثر قسطا. وأقوم للشهدة: وأثبت لها. وهما مبنيان من أقسط وأقام على غير قياس. أو من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم، وإنما صحت الواو في أقوم كما صحت في التعجب لجموده. وأدنى ألا ترتابوا: وأقرب في أن لا تشكوا في جنس الدين وقدره وأجله والشهود ونحو ذلك. إلا أن تكون تجرة: استثناء عن مفعول فاكتبوه الراجع إلى دين باعتبار تعلق الكتابة به، وتعلقه بالتداين، وما بينهما إعتراض. أي اكتبوا الدين المتداين به إلا أن تكون تجارة. ونصب عاصم تجارة على أنه الخبر، والاسم مضمر، تقديره إلا أن تكون الدين المتداين به تجارة. وقرأ الباقون بالرفع على أن الخبر (تديرونها)، أو على كان التامة (١). حاضرة: والتجارة الحاضرة يكون بدين وعين. تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها: وإدارة التجارة تعاطيهم إياها يدا بيد، فهو على تقدير كونه صفة مخصصة أي فلا بأس بعدم الكتابة حينئذ. وأشهدوا إذا تبايعتم مطلقا، لانه أحوط.

---

(١) يحتمل البناء للفاعل والمفعول، والدليل عليه قراءة عمر ولا يضارر بالاظهار والكسر. وقراءة ابن عباس (رض) ولا يضارر بالاظهار والفتح (الكشاف: ج ١، ص ٣٢٧، في تفسيره لآية (٢٨٢) من سورة البقرة (ولا يضار كاتب). (*)

---

[٦٨٤]

وقيل: المراد هذا التبايع. والاوامر التي في هذه الآية للاستحباب. وقيل: للوجوب فمن قائل بالاحكام وقايل بالنسخ. ولا يضار كاتب ولا شهيد: يحتمل البنائين ويدل عليه قرائة ولا يضارر، وبالكسر والفتح (١)، فعلى البناء للفاعل نهي لهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة. وعلى البناء للمفعول نهي للمستكتب والمستشهد من أن يضارهما بالتكليف لهما ما لا يسوغ لهما من جنس جعل الكاتب وحبس الشهيد وغير ذلك. وإن تفعلوا: ما نهيتم عنه. فإنه فسوق بكم: خروج عن الطاعة. واتقوا الله: في مخالفة نهيه. ويعلمكم الله: أحكامه المتضمنة لمصالحكم. والله بكل شئ عليم: كرر لفظ (الله) في الجمل الثلاث للمبالغة. فإنه لما كان موضوعا للذات الكاملة مع جميع صفات الكمال على الكمال، فيكون عقابه في النهاية والكمال فيقتضي الانهاء منه أشد اقتضاء،

ويكون تعليمه للاحكام في نهاية الافضال، فلا يجوز مخالفة حكمه بحال، ويكون علمه بقدر الجزاء شاملا أتم شمول، فلا يسوغ إغفال العمل بالذهول. وقيل: كرر لاستقلالها. فإن الاولى حث على التقوى، والثانية عد بإنعامه، والثالثة تعظيم لشأنه، ولانه أدخل في التعظيم من الكناية. والوجه الاول من تعليله ضعيف، والاضمار لا يقتضي عدم الاستقلال، فتأمل.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١، ص ١٤٣. (*)

[* وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمنته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهدة ومن يكتمها فإنه ءاثم قلبه والله بما تعملون عليم (٢٨٣)] وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا: راكب سفر، أي مسافرين. فرهن مقبوضة: أي فالذي يستوثق فرهان. أو فعليكم رهان. أو فليؤخذ رهان. وظن مجاهد والضحاك أن هذا التعليق، لاشتراط السفر في الارتهان (١). وليس كما ظنا، بل الظاهر أنه لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثق بالكتب في السفر الذي هو مظنة الاعواز. وبعضهم استدل بالآية على أن القبض بالمعنى الاخص معتبر في الرهن. وفيه أنه يحتمل أن يكون ذكر القبض واردا في الآية على ما هو أكثر موارده. على أنه يحتمل أن يكون المراد بالقبض ما يشمل عدم جواز تصرف الراهن بدون إذن المرتهن فيه. وما رواه العياشي: في تفسيره، عن محمد بن عيسى، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا رهن إلا مقبوضا (٢). محمول على هذا المعنى. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (فرهن) كسقف، وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون،

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١، ص ١٤٥. (٢) تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥٦، ح ٥٢٥. (*)

وقرئ باسكان الهاء على التخفيف (١). فإن أمن بعضكم بعضا: أي عد بعضكم بعض الآخر أمينا، واستغنى بأمانته عن الكتبه والارتهان. فليؤد الذى اؤتمن أمنته: أي دينه، سماه أمانة، لايتمانه عليه بترك الارتهان. ويحتمل أن يكون المراد بلايتمان: الاستيداع. وقرئ الذيتمن بقلب الهمزة ياء. والذتمن بادغام الياء في التاء. قيل: وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها، فلا يدغم. وليتق الله ربه: في الخيانة. وفي ذكر الرب والاضافة إلى المؤتمن - بعد ذكر الاسم الدال على الذات المستجمع لجميع الصفات، المقتضية للاتقاء عنه - زيادة إقتضاء للاتقاء على وجه اللطف والرحمة، لاشعاره بأنه تعالى مربية، فيجب أن لا يرتكب ما فيه مناقصة بكمال تربيته، فإن فيه كسر للمربي ظاهرا، ففيه نهاية الاعطاف والافضال وإظهار الملاطفة والاشعار، فاعتبروا يا اولي الابصار. ولا تكتموا الشهدة أيها الشهود، وقيل: أو المديون، والشهادة شهادتهم على أنفسهم. ومن يكتمها فإنه ءاثم قلبه: أي يأثم قلبه، أو قلبه يأثم وعلى الثاني الجملة خبر إن، وإسناد الاثم إلى القلب، لان الكتمان يقترفه. أو للمبالغة، فإنه رئيس الاعضاء وأفعاله أعظم الافعال. وفي نهج البلاغه: قال عليه السلام: وبما في الصدور يجازي العباد (٢). وقرئ: قلبه بالنصب كحسن وجهه. وفي من لا يحضره الفقيه: روى جابر عن أبي جعفر قال في قول الله عزوجل:

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١، ص ١٤٥. (٢) نهج البلاغة: ص ١٠٣، من كلام له عليه السلام لما بلغه إتهام بني اميه له بالمشاركة في دم عثمان. (*)

[- لله ما في السموت وما في الارض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشآء ويعذب من يشآء والله على كل شئ قدير (٢٨٤)] " ومن يكتمها فإنه آثم قلبه " قال: كافر قلبه (١). والله بما تعملون عليم: في آمالي الصدوق: في مناهي النبي صلى الله عليه وآله: ونهى صلى الله عليه وآله عن كتمان الشهادة قال: ومن يكتمها أطعمه الله لحمه على رؤوس الخلايق، وهو قول الله عزوجل: " ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه " (٢). وفي الكافي: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، ومحمد بن علي، عن أبي جميلة عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كتم شهادة أو شهد بها ليهدر بها دم امرء مسلم، أو ليزوي مال امرء مسلم اتي يوم القيامة ولوجهه ظلمة مد البصر، وفي وجهه كدوح (٣) تعرفه الخلايق بأسمه ونسبه (٤). لله ما في السموت وما في

الارض: خلقا وملكا. وإن تبدوا ما في أنفسكم: ما استقر في أنفسكم من السوء حتى تعزموا
---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٥، باب ٢٢ الامتناع من الشهادة وما جاء في اقامتها وتأكيدها وكتمانها ح ٥ (٢) الامالي للصدوق: ص ٢٥٧، المجلس السادس والستون. (٣) الكدوح: الخدوش، وكل أثر من خدش أو عض فهو كدح نهاية ابن الاثير: ج ٤، ص ١٥٥. (٤) الكافي: ج ٧، ص ٣٨٠، كتاب الشهادات، باب كتمان الشهادة ح ١. (*)

عليه، لا ما خطر فيه، فإنه موضوع عنكم، فإن تبدوه بالعمل أو باللسان. أو تخفوه يحاسبكم به الله: يوم القيامة. فيغفر لمن يشآء: مغفرته. ويعذب من يشآء: تعذيبه وقد رفعهما عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف. وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط. ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا عنه، بدل البعض من الكل، أو الاشتمال: كقوله: متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا (١) وادغام الراء في اللام لحن، إذ الراء لا يدغم إلا في مثله. وفي تفسير العياشي: عن سعدان، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: " وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء " قال: حقيق على الله أن لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من حبهما (٢). وفي كتاب التوحيد: باسناده إلى جرير بن عبد الله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: رفع عن امتي تسعة أشياء: الخطأ والنسيان، وما اكرهوا عليه، ومالا يطيقون، ومالا يعلمون، وما أضطروا إليه، والحسد، والطيرة، والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة (٣). وباسناده إلى حمزة بن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن
---

(١) هو من ابيات لعبد الله بن الحر يصف فيها نفسه بحسن القيام في خدمة الضيف. قوله: تأتنا مضارع من الاتيان. وتلمم مضارع من الالمام بمعنى النزول. والديار ككتاب جمع دار وهى مسكن الرجل. وتجد مضارع من الوجدان بمعنى الادراك. والجزل بالجيم والزاء المعجمه كفلس اليابس من الحطب وغيره. وتأجج بالجيمين أولهما مشددة ماض من التأجج، وهو تلهب النار (جامع الشواهد: ص ٢٧٣، باب الميم بعده التاء). (٢) تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥٦، ح ٥٢٨. (٣) كتاب التوحيد: ص ٣٥٣، باب ٥٦ الاستطاعة، ح ٢٤. (*)

---

[٦٨٩]

(٢٣١/٢)

[ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل ءامن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد – من رسله وقالوا – سمعنا وأطعنا – غفرانك ربنا و – إليك المصير (٢٨٥)] الاستطاعة، فلم يجبني، فدخلت عليه دخلة اخرى فقلت: أصلحك الله أنه قد وضع في قلبي منها شئ ولا يخرجه إلا شئ أسمعه منك، قال: فإنه لا يضرك ما كان في قلبك (١) وسيأتى تمام الحديث إن شاء الله. والله على كل شئ قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة والمغفرة والتعذيب. ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه: شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة إيمانه والاعتداد به وأنه جازم في أمره غير شاك فيه. في كتاب الغيبة لشيخ الطائفة رحمه الله باسناده إلى سلام، قال: سمعت أبا سلمى راعي النبي صلى الله عليه وآله (٢). يقول: سمعت رسول الله صلى الله

---

(١) كتاب التوحيد: ص ٣٤٦، باب ٥٦ الاستطاعة، ح ٣. (٢) تصدى لترجمته بالاجمال في الاستيعاب في أسماء الاصحاب، وفي الاصابة في تمييز الصحابة. وتعرض لترجمته في أسد الغابة في معرفة الصحابة، وإليك نص ما نقله " أبو سلمى راعي رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، قيل إسمه حريث، كوفي، وقيل: شامي، روى عنه أبو سلام الاسود وابو معمر، عباد بن عبد الصمد إلى ان قال: اخبرنا عباد بن عبد الصمد قال: حدثني أبو سلمى راعي رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم قال: سمعت النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم يقول: من لقى الله عزوجل يشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله وامن بالبعث والحساب دخل الجنة، قلت: انت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم ؟ فادخل اصبعيه في اذنيه وقال: سمعت هذا منه غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ولا اربع. وروى الفضل بن الحسين عن عباد بن عبد الصمد قال: بينا أنا بالكوفة إذ قيل: هذا رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وكان خادما لرسول الله فناداه = (*)

---

[٦٩٠]

(٢٣٢/٢)

عليه وآله يقول: ليلة أسري بي إلى السماء قال العزيز جل ثنائه: " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه " قلت: والمؤمنون، قال: صدقت يا محمد (١). وروى المقلد بن غالب رحمه الله، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن رهبان، عن محمد بن أحمد، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: سمعت أبا سلمى راعي النبي صلى الله عليه وآله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ليلة اسري بي إلي السماء قال الرب عزوجل: " آمن الرسول بما انزل إليه من ربه " قلت: والمؤمنون قال: صدقت يا محمد، من خلفت على امتك ؟ قلت: خيرها، قال: علي بن أبي طالب عليه السلام ؟ قلت: نعم يا رب، فقال: يا محمد إني اطلعت إلى الارض إطلاعة فاخترتك منها، وشققت لك إسما من أسمائي، فلا اذكر في موضع إلا ذكرت معي، فأنا المحمود وأنت المحمد. ثم اطلعت ثانية واخترت عليا فشققت له اسما من أسمائي، فانا الاعلى وهو علي يا محمد إني خلقتك وخلقت عليا وفاطمة والحسن والحسين والائمة من ولد الحسين من نوري. يا محمد إني عرضت ولايتكم على أهل السماوات والارضين فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الظالمين. يا محمد تحب أن تراهم ؟ قلت: نعم يا رب قال: إلتفت، فالتفت عن يمين العرش فإذا أنا بإسم علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن، والمهدي في وسطهم كأنه كوكب دري، فقال: يا محمد هؤلاء حججي على خلقي، وهذا القائم

= رجل يكنى ابا مسعر فقال: يا عبد الله كنت خادما لرسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم ؟ قال: نعم كنت ارعى له، فقال: الا تحدثنا ما سمعته منه ؟ قال: بلى حدثني رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم انه قال بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلى أن قال: سلمى ضبطه إبن الفرضي بالضم وهو الصحيح (اسد الغابة ج ٥، ص ٢١٩). (١) الغيبة للشيخ الطوسي: ص ٩٥. (*)

---

[٦٩١]

من ولدك بالسيف والمنتقم من أعدائك (١) فعلى هذين الخبرين. قوله والمؤمنون معطوف على الرسول عطف تلقين. وقوله: كل ءامن بالله وملئكته وكتبه ورسله: مبتدأ وخبر. والضمير الذي ناب عنه التنوين في (كل) للرسول وللمؤمنين. وجوز البيضاوي كون (المؤمنون) مبتدأ أولا وكون الضمير لهم، و (كل) مبتدأ ثانيا مع خبره. وهو مع خبره، خبر للاول، قال: ويكون إفراد الرسول لتعظيمه، أو لان إيمانه عن مشاهدة وعيان وإيمانهم عن نظر واستدلال (٢). وقرأ حمزة والكسائي (وكتابه) يعني

القرآن، أو الجنس. والفرق بينه وبين الجمع أنه شايع في وحدات الجنس والجمع في جموعه، ولذلك قيل: الكتاب أكثر من الكتب (٣). لا نفرق بين أحد من رسله بالتصديق لبعضهم والتكذيب لبعض آخر، أي يقولون: (لا نفرق). ويحتمل عدم تقدير القول، بجعله حالا من الفاعل وهو الرسول والمؤمنون، ويكون العدول عن الغيبة لتعظيمهم، وذلك أوجه. وقرأ يعقوب بالياء على أن الفعل لكل. وقرأ لا يفرقون، حملا على المعنى (٤). وقالوا سمعنا قولك. وأطعنا: أمرك. غفرانك ربنا: اي إغفر غفرانك، أو نطلب غفرانك. ويحتمل بعيدا كونه معمول (أطعنا وسمعنا) على سبيل التنازع، أي

---

(١) رواه والذي قبله في كتاب الغيبة (اصدار مكتبة نينوى الحديثه في طهران) في ص ٩٥، ورواه المحدث الاكبر محمد بن الحسن الحر العاملي نور الله مضجعه في كتاب إثبات الهداة ج ١، الباب التاسع ص (٥٤٨) تحت رقم (٣٧٤) كما في المتن من جهة المتن، ولم نعثر على السند الذي نقله المصنف قدس سره عن المقلد بن غالب، والله العالم. (٢ و ٣ و ٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١، ص ١٤٦. (*)

[لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما – كسبت – وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا – تحمل علينا – إصرا – كما حملته على الذين من قبلنا – ربنا – ولا تحملنا – ما لا – طاقة – لنا به واعف – عنا واغفر – لنا وارحمنا أنت – مولينا – فانصرنا على – القوم الكفرين (٢٨٦)] غفرانك، أي موجبه وهو الايمان سمعناه وأطعناه فآمنا. وإليك المصير بعد الموت. وهو إقرار منهم بالبعث. وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل، وفيه خطبة الغدير، وفيها معاشر الناس: قولوا: الذي قلت لكم: وسلموا على علي بإمرة المؤمنين، وقولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير (١). لا يكلف الله نفسا إلا وسعها الا ما يسعه قدرتها، أو ما دون مدى طاقتها ويكون يسيرا عليها لقوله: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (٢). وفيه تصريح بعدم وقوع التكليف بالمحال. وفي كتاب التوحيد بإسناده إلى أبي جميلة المفضل بن صالح، عن محمد بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما امر العباد إلا بدون سعتهم،

---

(١) كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ٦٦، إحتجاج النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير على الخلق

كلهم وفي غيره من الايام بولاية علي بن أبي طالب ومن بعده من ولده. (٢) سورة البقره: الآيه ١٨٥. (*)

---

[٦٩٣]

(٢٣٥/٢)

وفي كل شئ امر الناس بأخذه فهم متسعون له، وما لا يتسعون له فهو موضوع عنهم، ولكن الناس لا خير فيهم (١). وبإسناده إلى عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: من قال بالجبر فلا تعطوه من الزكاة ولا تقبلوا له شهادة، إن الله تبارك وتعالى يقول: " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها " ولا يحمل فوق طاقتها " ولا تكسب كل نفس إلا عليها " " ولا تزر وازرة وز أخرى " (٢). وباسناده إلى حمزة بن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الاستطاعة، إلى قوله: قلت: أصلحك الله فإني أقول: إن الله تبارك وتعالى لم يكلف العباد إلا ما يستطيعون وإلا ما يطيقون، وأنهم لا يصنعون شيئا من ذلك إلا بإرادة الله ومشيته وقضائه وقدرته قال: وهذا دين الله الذي أنا عليه وآبائي (عليهما السلام) (٣) لها ما كسبت من خير. وعليها ما اكتسبت من شر، لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعصيتها غيرها. وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر، لان الاكتساب فيه اعتمال، والشر تشتهيه الانفس وتنجذب إليه فكانت أجد في تحصيله وأعمل بخلاف الخير (٤). ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا أي لا تؤاخذنا بما أدى بنا إلى نسيان

---

(١) كتاب التوحيد: ص ٣٤٧، باب الاستطاعة ح ٦. (٢) كتاب التوحيد: ص ٣٦٢، باب ٥٩ نفي الجبر والتفويض ح ٩. (٣) كتاب التوحيد: ص ٣٤٦، باب ٥٦، الاستطاعة قطعة من حديث ٣.
(٤) قال في الكشاف: ج ١، ص ٣٣٢، في تفسير الآية ما لفظه (فان قلت: لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب ؟ قلت: في الاكتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وأمارة به، كانت في تحصيله أعمل وأجد، فجعلت لذلك مكتسبة فيه. ومما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال). (*)

---

[٦٩٤]

(٢٣٦/٢)

أو خطأ، أو بما يودي الخطأ والنسيان إليه بالآخرة من عمل آخر، فإنهما يمكن أن يؤدي كثرتهما واعتيادهما إلى عمل قبيح. وقيل: أو بأنفسهما، إذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فإن الذنوب كالسموم، فكما أن تناولها يؤدي إلى الهلاك وإن كان خطاء، فتعاطي الذنوب لا يبعد أن يفضي إلى العقاب وإن لم يكن عزيمة، لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا، فيجوز أن يدعو الانسان به إستدامة وإعتدادا بالنعمة فيه. وفي اصول الكافي: الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن أبي داود المسترق قال: حدثني عمرو بن مروان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رفع عن امتي أربع خصال: خطاؤها ونسيانها وما اكرهوا عليه وما لم يطيقوه. وذلك قول الله عزوجل " ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به " وقوله: " إلا من إكره وقلبه مطمئن بالايمان " (١). ويحتمل أن يكون هذا دعوة الرسول صلى الله عليه وآله قبل رفع الخطأ والنسيان، وبعدها كما رفع، يجيئ في الخبر. والغرض من الدعاء به، التأسي به وتذكر ما أنعم الله تعالى بسبب دعوته. ربنا ولا تحمل علينا إصرا: ثقيلا يأمر صاحبه، أي يحبسه في مكانه. والمراد به التكاليف الشاقة. وقرئ (ولا تحمل) بالتشديد للمبالغة (٢). كما حملته على الذين من قبلنا ربنا: حملا مثل حملك إياه عليهم. أو مثل الذي حملته إياهم، فيكون صفة لاصرا. والمراد به ما كلف به بنوا إسرائيل من الامور التي ذكر في الخبر الذي ينقل من الاحتجاج (٣).

---

(١) الكافي: ج ٢، كتاب الايمان والكفر، باب ما رفع عن الامة، ص ٤٦٢، ح ١. (٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١، ص ١٤٧. (٣) الاحتجاج: ج ١، ص ٣٢٧ إحتجاجه عليه السلام على اليهود من أحبارهم ممن قرأ الكتب والصحف في معجزات النبي صلى الله عليه وآله وكثير من فضائله. (*)

ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به: من البلاء والعقوبة. أو من التكاليف التي لا تفي بها القوة البشرية. وهو لا يدل على جواز التكليف بما لا يطاق، بناء على احتمال كون المراد مما لا طاقة لنا، العقوبة، لا التكاليف، والتشديد هنا لتعدية الفعل إلى مفعول ثان. واعف عنا: وامح ذنوبنا. واغفر لنا:

واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة. وارحمنا: وتعطف منا وتفضل علينا. أنت مولينا: سيدنا وناصرنا. فانصرنا على القوم الكفرين: والمراد بهم عامة الكفرة. وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله: وروى موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي، عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل، وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله فدنى بالعلم فتدلى، فدنى له من الجنة رفرف أخضر وغشى النور بصره، فرأى عظمة ربه عزوجل بفؤاده ولم يرها بعينه، فكان كقاب قوسين بينها وبينه أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى. وكان فيما أوحى إليه الآية التي في سورة البقرة قوله تعالى: " لله ما في السموات وما في الارض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير " وكانت الآية قد عرضت على الانبياء من لدن آدم عليه السلام إلى أن بعث الله تعالى محمدا، وعرضت على الامم فأبوا أن يقبلوا من ثقلها، وقبلها رسول الله صلى الله عليه وآله وعرضها على امته فقبلوها، فلما رأى الله تبارك وتعالى منهم القبول علم أنهم لا يطيقونها. فلما أن سار إلى ساق العرش كرر عليه الكلام ليفهمه. فقال: " آمن الرسول بما انزل إليه من ربه " فأجاب صلى الله عليه وآله مجيبا عنه وعن امته " والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله " فقال جل ذكره: لهم الجنة والمغفرة على إن فعلوا ذلك. فقال النبي صلى الله عليه وآله: إذا فعلت ذلك ربنا فغفرانك ربنا وإليك المصير، يعني المرجع

(٢٣٨/٢)

في الآخرة، قال: فأجابه جل ثنائه. وقد فعلت ذلك بك وبامتك. ثم قال عزوجل: أما إذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الامم فأبوا أن يقبلوها وقبلتها امتك، فحق علي أن أرفعها عن امتك، وقال: " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت " من خير " وعليها ما اكتسبت " من شر. فقال النبي صلى الله عليه وآله لما سمع ذلك: أما إذا فعلت ذلك بي وبامتي، فزدني، قال: سل، قال: " ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا " قال الله عزوجل: لست اؤاخذ امتك بالنسيان أو الخطاء لكرامتك علي. وكانت الامم السابقة إذا نسوا ما ذكروا به فتحت عليهم أبواب العذاب، وقد رفعت ذلك عن امتك. وكانت الامة السالفة إذا أخطأوا اخذوا بالخطاء وعوقبوا، وقد رفعت ذلك عن امتك لكرامتك علي. فقال النبي صلى الله عليه وآله: إذا أعطيتني ذلك فزدني، فقال الله تعالى: سل، قال: " ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا " يعني بالاصر الشدايد التي كانت على من كان قبلنا، فأجابه الله إلى ذلك، فقال تبارك اسمه: قد رفعت عن امتك الاصار التي كانت على

الامم السالفة. كنت لا أقبل صلاتهم إلا في بقاع من الارض معلومة إخترتها لهم وإن بعدت، وقد جعلت الارض لامتك كلها مسجدا وطهورا، فهذه من الاصار التي كانت على الامم قبلك، فرفعتها عن امتك. وكانت الامم السالفة إذا أصابهم أذى من نجاسة قرضوه من أجسادهم، وقد جعلت الماء لامتك طهورا، فهذه من الاصار التي كانت عليهم فرفعتها عن امتك. وكانت الامم السالفة تحمل قرابينها على أعناقها إلى بيت المقدس، فمن قبلت ذلك منه ارسلت إليه نارا فأكلته ورجع مسرورا، ومن لم أقبل ذلك، رجع مثبورا. وقد جعلت قربان امتك في بطون فقرائها ومساكينها، فمن قبلت ذلك منه اضعفت ذلك له أضعافا مضاعفة، ومن لم أقبل ذلك منه، رفعت عنه عقوبات الدنيا، وقد رفعت ذلك عن امتك، وهي من الاصار التي كانت على

(٢٣٩/٢)

الامم قبلك. وكانت الامم السالفة صلاتها مفروضة عليها في ظلم الليل وأنصاف النهار، وهي من الشدايد التي كانت عليهم فرفعتها عن امتك وفرضت عليهم صلاتهم في أطراف الليل والنهار في أوقات نشاطهم. وكانت الامم السالفة قد فرضت عليهم خمسين صلاة في خمسين وقتا، وهي الاصار التي كانت عليهم، فرفعتها عن امتك وجعلتها خسما في خسمة أوقات، وهي احدى وخمسون ركعة، وجعلت لهم أجر خمسين صلاة. وكانت الامم السالفة، حسنتهم بحسنة، وسيئتهم بسيئة، وهي من الاصار التي كانت عليهم فرفعتها عن امتك، وجعلت الحسنة بعشر والسيئة بواحدة. وكانت الامم السالفة، إذا نوى أحدهم بحسنة ثم لم يعملها، لم يكتب له، وإن عملها كتبت له حسنة، وإن امتك إذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها، كتبت له حسنة، وإن عملها كتبت له عشرا، وهي من الاصار التي كانت عليهم، فرفعتها عن امتك. وكانت الامم السالفة إذا هم أحدهم بسيئة ثم لم يعملها، لم يكتب عليه، وإن عملها، كتبت له سيئة، وإن امتك إذا هم أحدهم بسيئة ثم لم يعملها، كتبت له حسنة، وهذه من الاصار التي كانت عليهم فرفعت ذلك عن امتك. وكانت الامم السالفة إذا أذنبوا كتبت ذنوبهم على أبوابهم، وجعلت توبتهم من الذنوب إن حرمت عليهم بعد التوبة أحب الطعام إليهم، وقد رفعت ذلك عن امتك وجعلت ذنوبهم فيما بيني وبينهم، وجعلت عليهم ستورا كثيفة، وقبلت توبتهم بلا عقوبة ولا اعاقبهم بأن احرم عليهم أحب الطعام إليهم. وكانت الامم السالفة يتوب أحدهم من الذنب الواحد مائة سنة وثمانين سنة أو خمسين سنة، ثم لا أقبل توبتهم دون أن اعاقبهم في الدنيا بعقوبة، وهي من الاصار التي كانت عليهم فرفعتها عن امتك. وأن الرجل من امتك ليذنب عشرين سنة، أو ثلاثين سنة، أو أربعين سنة، أو مائة سنة، ثم يتوب ويندم طرفة عين فأغفر ذلك

كله. فقال النبي صلى الله عليه وآله: إذا أعطيتني ذلك كله فزدني، قال:

سل، قال: " ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به " قال تبارك اسمه: قد فعلت ذلك بامتك وقد رفعت عنهم عظم بلايا الامم، وذلك حكمي في جميع الامم أن لا اكلف خلقا فوق طاقتهم، فقال النبي صلى الله عليه وآله: " واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا " قال الله عزوجل: قد فعلت ذلك بتائبي امتك، ثم قال: " فانصرنا على القوم الكافرين " قال الله جل إسمه: إن امتك في الارض كالشامة البيضاء في الثور الاسود، هم القادرون، هم القاهرون يستخدمون ولا يستخدمون لكرامتك علي، وحق علي أن اظهر دينك على الاديان حتى لا يبقى في شرق الارض وغربها دين إلا دينك، أو يودون إلى أهل دينك الجزية (١). وفي كتاب بصائر الدرجات: أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عبد الصمد بن بشير قال: ذكر أبو عبد الله عليه السلام بدو الاذان وقصة الاذان في إسراء النبي صلى الله عليه وآله حتى انتهى إلى سدرة المنتهى قال: فقال: السدرة ما جاز في مخلوق قبل، قال: " ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى " (٢) قال: فدفع إليه كتاب أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فأخذ كتاب أصحاب اليمين بيمينه ففتحه فنظر إليه، فإذا فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم قال: فقال له: " آمن الرسول بما انزل إليه من ربه " فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: " والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته ورسله " فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: " ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا " فقال الله: قد فعلت، فقال النبي صلى الله عليه وآله: " ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا " قال الله قد فعلت، قال النبي صلى الله عليه وآله: " ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين " كل ذلك يقول

---

(١) الاحتجاج: ج ١، ص ٣٢٧ - ٣٣٠، إحتجاجه عليه السلام على اليهود من أحبارهم ممن قرأ الكتب والصحف في معجزات النبي صلى الله عليه وآله وكثير من فضائله. (٢) سورة النجم: الآيات

٨ و ٩ و ١٠. (*)

---

[٦٩٩]

الله عزوجل: قد فعلت، ثم قال: طوى الصحيفة فأمسكها بيمينه. وفتح صحيفة أصحاب الشمال، فإذا فيها أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم (١). وفي تفسير علي بن إبراهيم: أما قوله: " آمن الرسول بما انزل إليه من ربه " فإنه حدثني أبي، عن إبن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام إن هذه الآية مشافهة لنبيه صلى الله عليه وآله لما اسري به إلى السماء قال النبي صلى الله عليه وآله: إنتهيت إلى محل سدرة المنتهى وإذا الورقة منها تظل امة من الامم، فكنت من ربي كقاب قوسين أو أدنى، كما حكى الله عزوجل، فناداني ربي تبارك وتعالى " آمن الرسول بما انزل إليه من ربه " فقلت أنا مجيبه عني وعن امتى " والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله " فقلت " سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير " فقال الله: " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت " فقلت: " ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا " فقال الله: لا اوآخذك فقلت: " ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا " فقال الله: لا أحملك، فقلت: " ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين " فقال الله تعالى: قد أعطيت ذلك لك ولامتك. فقال الصادق عليه السلام: ما وفد إلى الله تبارك وتعالى أحد أكرم من رسول الله صلى الله عليه وآله حين سأل لامته هذه الخصال (٢). وفي تفسير العياشي: عن عبد الصمد بن شيبة، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل وفيه نحو ما في تفسير علي بن إبراهيم إلا قوله: فقال الصادق عليه السلام: إلى آخره (٣).

---

(١) بصائر الدرجات: ج ٤، ص ١٩٠، باب (٥) في الائمة عليهم السلام عندهم الصحيفة التي فيها أسماء أهل الجنة وأسماء أهل النار، ح (١). (٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١، ص ٩٥، في تفسيره لآية (٢٨٦) من سورة البقرة. (٣) تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥٩، ح (٥٣١) وراوي الحديث عبد الصمد بن بشير، وفي الهامش نقلا عن إثبات الهداة (عبد الصمد بن مسيب) وفي المتن أيضا إختلاف كثير، فلا حظ. (*)

---

[٧٠٠]

في فضل قوله " آمن الرسول " إلى آخر السورة: روي عن قتادة قال: كان رسول الله صلى الله عليه

وآله: إذا قرأ هذه الآية " آمن الرسول بما انزل إليه من ربه " حتى يختمها قال: وحق الله إن لله كتابا قبل أن يخلق السماوات والارض بألفي سنة فوضعه عنده فوق العرش، فانزلت آيتين فختم بهما البقرة، فأيما بيت قرئتا فيه لم يدخله شيطان (١). وفي كتاب ثواب الاعمال: عن عمرو بن جميع رفعه إلى علي بن الحسين عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قرأ أربع آيات من أول البقرة وآية الكرسي وآيتين بعدها وثلاث آيات من آخرها لم ير في نفسه وماله شيئا يكرهه، ولم يقربه شيطان ولا ينسى القرآن (٢). وعن جابر بن عبد الله عن النبي في حديث طويل يقول عليه السلام فيه: قال لي الله تعالى: وأعطيت لك ولامتك كنزا من كنوز الجنة فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة (٣). تم الجزء الاول من هذا التفسير القيم والسفر الجليل حسب تجزءتنا ويليه إن شاء الله الجزء الثاني وأوله سورة آل عمران. وقد تم الفراغ من استنساخه وتحقيقه في النصف الاول من شهر جمادى الثاني من شهور سنة ١٤٠٧ هجرية. وذلك تحت الضربات العنيفة من الغارات الجوية لعملاء الاستكبار العالمية

---

(١) الدر المنثور، في التفسير بالمأثور: ج ٢، ص ١٣٧، ولفظه " وأخرج أبو عبيد والدارمي والترمذي والنسائي وابن الضريس ومحمد بن نصر وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في الاسماء والصفات عن النعمان بن بشير: إن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم قال: إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السماوات والارض بالفي عام، فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرأن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان وأخرجه ايضا في ص ١٣٨ بطريق آخر ولم نعثر عليه من طريق قتادة، كما أورده المصنف قدس سره. (٢) ثواب الاعمال: ص ١٠٤، ثواب من قرأ أربع آيات من أول البقرة. (٣) تفسير الصافي: ج ١، في آخر سورة البقرة، وبمضمونه روايات نقلها في تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي: ج ١، ص ٣٤١. (*)

لابن كثير الدمشقي: ج ١، ص ٣٤١. (*)

وأبناء الشياطين وأتباع الطواغيت صدام المعتدي وحزبه البعث العفلقي على ايران. وراح ضحيتها الآلاف من المسلمين المؤمنين الابرياء من النساء والرجال والاطفال والشيوخ، وخلف عددا كثيرا من اليتامى والثكالى والارامل كما ترك جمعا غفيرا من المجروحين والمعلولين. هذا بالنسبة إلى الارواح الطاهرة والنفوس البريئة، وأما بالنسبة إلى الممتلكات فإنه هدم البيوت والجسور والاسواق والمستشفيات والمدارس الغاصة بطلابها حين الدرس والجامعات والكليات بل المدارس العلمية الدينية أيضا. وهكذا أخذ يقصف بغاراته الجوية العمياء القبور ومقابر العلماء الاخيار والصلحاء الابرار فأخذ لا يتعطف حتى على الموتى من تحت الثرى. نعم أخذ يقصف بكل قساوة وشدة متكررا بلا أي ترحم ومروءة أغلب مدن ايران حتى عش آل محمد ألا وهي مدينة قم المشرفة حيث ذكرتني تلك الاحداث الجريحة المؤلمة طرفا من المصائب التي حلت بعترة رسول الله صلى الله عليه وآله في كربلاء المقدسة حيث هجم جيش ابن زياد وشمر وعمر بن سعد (وهم أهل الكوفة) على خيم أبي الاحرار وسيد الشهداء الحسين روحي له الفداء فأخذ ينادي بنفسي وامي يا آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحرارا في دنياكم أنا الذي اقاتلكم وأنتم تقاتلونني والنساء ليس عليهن جناح. فنسأل الله بحق محمد وآل محمد وبحرمة القرآن المجيد أن يوفقنا لاعلاء كلمة الحق وأن ينصرنا على أعدائنا لاحباط دولة الكفر والالحاد وإنشاء دولة إسلامية في العراق الجريح إنه خير ناصر ومعين.

مكتبة يعسوب الدين عليه السلام الإلكترونية
Powered by: Atabat.info

تفسير كنز الدقائق
الميرزا محمد المشهدي ج ٢
---
[١]
تفسير كنز الدقائق للمفسر الكبير والمحقق النحرير العالم العارف الميرزا محمد المشهدي ابن محمد رضا بن اسماعيل بن جمال الدين القمي المتوفى حدود دعام ١١٢٥ ه الجزء الثاني مؤسسه النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة
---

[٢]

تأليف: المفسر لمحدث الميرزا محمد المشهدي القمي تحقيق ونشر: مؤسسه النشر الاسلامي
الموضوع: تفسير الكمية: ٣٠٠٠ نسخة الطبعة: الاولى التاريخ: رمضان المبارك ١٤١٠ مؤسسه النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

---

[٣]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدو آله الطيبين الطاهرين. إن هذا الكتاب هو الجزء الثاني من تفسير كنز الدقائق الذي اعتمدنا في أكثر موارده على نسخة خطية تفضل علينا بها مدير مكتبة مجلس الشورى الاسلامي سماحة الفضيلة الاخ عبد الحسين الحائري زيدت إفاضاته، والتي تمتاز بمميزات قيمة منها تقريظ لآية الله العظمى آقا جمال الخوانساري وتقريظ للعلامة المجلسي – قدس سر هما – ومنها توضيحات من نفس المؤلف – رحمه الله –. وقد اشير في الجزء الاول إلى هذين التقريظين قبل عثورنا على هذه النسخة، ولذلك ارتأينا درج صورتها في هذا الجزء، واللتان وقعت إحداهما في أول النسخة والاخرى في ظهر الصفحة الاخيرة (آخر سورة الكهف). وأخيرا نشكر الاخوة من أهل الفضل والتحقيق سيما الشيخ علي أكبر الاحمدي وأبو جعفر الكعبي والحاج محي الدين الواعظي ونجاح موسى عيسى الذين بذلوا جهدهم في تحقيق هذا الكتابب ومقابلته سائلين الله سبحانه لهم ولنا التوفيق إنه خير موفق ومعين. مؤسسه النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

---

[٤]

صورة فتوغرافية لتقريظ آقا جمال الدين الخوانساري – قدس سره –

---

[٥]

صورة فتوغرافية لتقريظ العلامة المجلسي – قدس سره –

---

[٦]

صورة فتوغرافية للصفحة الاخيرة من النسخة المعتمدة

[بسم الله الرحمن الرحيم الم (١) الله لا إله إلا هوالحى القيوم (٢) نزل عليك الكتب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التورة والانجيل (٣)] في كتاب ثواب الاعمال: بإسناده إلى أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من قرأ البقرة وآل عمران جاءتا يوم القيامة تظلانه على رأسه مثل الغمامتين أو مثل الغيايتين (١) (٢). الم: قد مر بعض إشاراته في أول سورة البقرة. وفي كتاب معاني الاخبار: بإسناده إلى سفيان بن سعيد الثوري، عن الصادق (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): وأما " الم " في أول آل عمران فمعناه: أنا الله المجيد (٣). وفي تفسير العياشي: خيثمة الجعفي، حدثني أبو لبيد المخزومي قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): يا أبا لبيد إنه يملك من ولد العباس اثنا عشرة، يقتل بعد الثامن منهم أربعة تصيب أحدهم الذبحة فتذبحه، هم فئة قصيرة أعمارهم، قليلة
---
(١) الغيابة بالغين المعجمة واليائين المثناتين من تحت، كل شئ أظل الانسان من فوق رأسه، مثل السحابة والظل، وفي الحديث تجئ البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان، لسان العرب: ج ١ ص ١٤٤. (٢) ثواب الاعمال: ص ١٣٠ ثواب من قرأ سورة البقرة وآل عمران ح ١. (٣) معاني الاخبار: ص ٢٢ باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن ح ١. (*)

مدتهم، خبيثة سيرتهم، منهم الفويسق الملقب بالهادي، والناطق، والغاوي. يا أبا لبيد إن في حروف القرآن المقطعة لعلما جما، إن الله تبارك وتعالى أنزل: " ألم ذلك الكتاب " فقام محمد (صلى الله عليه وآله) حتى ظهر نوره، وثبتت كلمته، وولد يوم ولد وقد مضى من الالف السابع مائة سنة وثلاث سنين، ثم قال: وتبيانه في كتاب الله في الحروف المقطعة إذا عددتها من غير تكرار. وليس من حروف مقطعة حرف ينقضي أيام، إلا وقائم من بني هاشم عند انقضائه. ثم قال: الالف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون، فذلك مائة واحدى وستون، ثم كان بدو خروج الحسين بن علي (عليه السلام) " الم الله "، فلما بلغت مدته قام قائم ولد العباس عند " المص "، ويقوم قائمنا

عند النقضائها بـ " الر " فافهم ذلك وعه واكتمه (١). وإنما فتح الميم في المشهورة، وكان حقها أن يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها، ليدل على أنها في حكم الثابت، لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج، فإن الميم في حكم الوقف كقولهم: واحد اثنان، لا لالتقاء الساكنين، فإنه غير محذور في باب الوقف، ولذلك لم يحرك [الميم] في لام. وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين. وقرأ أبو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل. الله لا إله إلا هوالحى القيوم: قد مسر تفسيره فلا حاجة إلى تكريره. نزل عليك الكتب: أي القرآن منجما. بالحق: بالعدل، أو بالصدق في إخباره، أو بالحجج المحققة أنه من عند الله. وهو في موضع الحال عن المفعول. مصدقا لما بين يديه: من الكتب. وأنزل التورة والانجيل: جملة على موسى وعيسى. في اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه ومحمد بن القاسم، عن محمد بن * (هامش) (١) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٣ ح ٣. (*)

[من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بايت الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام (٤)] سليمان، عن داود، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثم نزل في طول عشرين سنة، ثم قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وانزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان، وانزل الانجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وانزل الزبور لثمان عشرة خلون من شهر رمضان، وانزل القرآن في ثلاث وعشرين من شهر رمضان (١). وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن احمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: انزلت التوراة في ست مضت من شهر رمضان، ونزل الانجيل في إثني عشر ليلة من شهر رمضان، وانزل الزبور في ليلة ثمان عشرة مضت من شهر رمضان، وانزل القرآن في ليلة القدر (٢). قيل: التوراة مشتقة من الورى الذي هو إخراج النار من الزناد (٣) سمي بها لاخراج نوالعلم منه. والانجيل من النجل بمعنى الولد، سمي به لانه يتولد منه النجاة. ووزنهما تفعلة وافعيل، وهو تعسف، لانهما اسمان أعجميان، ويؤيد ذلك أنه قرئ الانجيل بفتح الهمزة، وهو ليس من أبنية العرب. من قبل: تنزيل القرآن.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٢٨ – ٦٢٩، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح ٦. (٢) لم نعثر عليه في الكافي، ووجدناه في نور الثقلين: ج ١ في ذيل هذه الآية ح ١٠ نقلا عن الكافي: (٣) الزند

والزنده: خشبتان يستقدح بهما، فالسفلى زندة. والاعلى زند، ابن سيدة: الزند العود الاعلى الذي يقتدح به النار، والجمع أزندو أزنادو زنودو أزاند جمع الجمع. لسان العرب: ج ٣ ص ١٩٥ لغة زند. (*)

---

[١٢]

(٤/٣)

هدى للناس: أي لكل من انزل إليه. وأنزل الفرقان: قيل: يريد به جنس الكتب الالهية، فإنها فارقة بين الحق والباطل، ذكر ذلك بعد الكتب الثلاثة، ليعم ما عداها أو القرآن، وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما وإظهارا لفضله، من حيث إنه يشركهما في كونه وحيا منزلا، ويتميز بأنه معجز يفرق به بين المحق والمبطل، أو المعجزات. ويحتمل أن يكون المراد به محكمات القرآن، أفردها لزيادة شرفها ونفعها. وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن سنان أو غيره، عمن ذكره قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن القرآن والفرقان، أهما شيئان أو شئ واحد ؟ فقال (عليه السلام): القرآن جملة الكتاب، والفرقان المحكم الواجب العمل به (١). وفي تفسير العياشي: عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله: " الم الله لا اله هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان " قال: هو لكل أمرمحكم، والكتاب هو جملة القرآن الذي يصدق فيه من كان قبله من الانبياء (٢). وفي تفسير علي بن ابراهيم: حدثني أبي، عن النضر بن سويد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) ورويه مثل ما في تفسير العياشي (٣). وفي كتاب علل الشرائع: باسناده إلى أبي عبد الله (عليه السلام) أنه سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال له: سمي الفرقان فرقانا لانه متفرق الآيات والسور، أنزلت في غير الالواح وغيره من الصحف والتوارة والانجيل والزبور انزلت كلها جملة في الالواح والورق (٤) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

(٥/٣)

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٣٠ كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح ١١. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٢ ح ١ مع اختلاف يسير. (٣) تفسير القمي: ج ١ ص ٩٦، في تفسير قوله تعالى: " الم

الله لا إله إلا هو " الآية وتفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٢ ح ١. (٤) علل الشرائع: ص ٤٧٠ باب النوادر ح ٣٣. (*)

---

[١٣]

[إن الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولافى السماء (٥) هوا الذى يصوركم في الارحام كيف يشآء لا إله إلا هو العزيز الحكيم (٦) هو الذى أنزل عليك الكتب منه ءايت محكمت هن أم الكتب وأخر متشبهت فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشبه منه ابتغا الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والرسخون في العلم يقولون ء امنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أو لوا الالبب (٧)] وفي الصحيفة السجادية في دعائه (عليه السلام) عند ختم القرآن: و (فرقانا فرقت به بين حلالك وحرامك، وقرآنا أعربت به عن شرائع أحكامك) (١). إن الذين كفروا بايت الله.: من كتب منزلة كانت أو غيرها. لهم عذاب شديد: بسبب كفرهم، ولاشك أن أمير المؤمنين (عليه السلام) من أعظم آيات الله، والكافرين به والمنكرين لحقه " لهم عذاب شديد ". والله عزيز: غالب لا يمنع من التعذيب. ذو انتقام: تنكيره للتعظيم، أي انتقام لا يقدر مثله أحد، ولا يعرف كنهه أحد. والنقمة: عقوبة المجرم، والفعل منه نقم بالفتح والكسر، وهو وعيدجئ به بعد تقرير التوحيد وإنزال الكتب والآيات لمن أعرض عنها. إن الله لا يخفى عليه شئ: كليا كان أو جزئيا، إيمانا أو كفرا. في الارض ولا في السماء: خصصهما، إذ الحسن لا يتجاوزهما، وقدم الارض ترقيا من الادني إلى الاعلى، ولان المقصود ما اقترف فيها.

---

(١) الصحيفة السجادية: دعاء ٤٢ دعاؤه (عليه السلام) عند ختم القرآن. (*)

---

[١٤]

هو الذي يصوركم في الارحام: وهذا رد على ما ذهب إليه بعض الحكماء من وجود القوة المصورة، وقرئ " تصوركم " أي صوركم لنفسه وعبادته. كيف يشآء: من الصور المختلفة، مشابها لصورة أبيه أولا. وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى جعفر بن بشير، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقا جمع كل صورة بينه وبين أبيه إلى آدم ثم خلقه على صورة أحدهم، فلا يقولن أحد هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئا من آبائي (١). وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن نوح بن شعيب، رفعه عن عبد الله ابن سنان، عن بعض أصحابه،

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: أتى رجل من الانصار رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: هذه ابنة عمي وامرأتي، لا أعلم منها إلا خيرا، وقد أتتني بولد شديد السواد، منتشر المنخرين، جعد قطط، أفطس الانف، لا أعرف شبهه في أخوالي ولافي أجدادي، فقال لا مرأته: ما تقولين ؟ قالت: لا والذي بعثك بالحق نبيا ما أقعدت مقعده مني منذ ملكني أحدا غيره، قال: فنكس رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مليا، ثم رفع بصره إلى السماء، ثم أقبل على الرجل فقال: يا هذا أنه ليس من أحد إلا بينه وبين آدم تسعة وتسعين عرقا كلها تضرب في النسب، فإذا وقعت النطفة في الرحم اضطربت تلك العروق تسأل الشبه لها، فهذا من تلك العروق التي لم يدركها أجدادك، ولا أجداد أجدادك، خذ إليك ابنك، فقالت: المرأة: فرجت عني يا رسول الله (٢). محمد بن يحيى، وغيره، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن إسماعيل بن عمر، وعن شعيب العقر قوفي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن للرحم أربع سبل، في أي سبيل فيه الماء كان منه الولد،

---

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ٩٧ الباب ٩٣ العلة التي من أجلها لا يجوز أن يقول الرجل لولده هذا لا يشبهني ولا يشبه آبائي ح ١. (٢) الكافي: ج ٥ ص ٥٦١ – ٥٦٢ كتاب النكاح، باب النوادر، ح ٢٣. (*)

واحد واثنان وثلاث وأربع ولا يكون إلى سبيل أكثر من واحد (١). علي بن محمد، رفعه، عن محمد بن حمران، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ان الله عز وجل خلق للرحم أربعة أو عية فما كان في الاول فللاب، وما كان في الثاني فللام، وما كان في الثالث فللعمومة، وما كان في الرابع فللخؤولة (٢). وذلك التصوير بعد مكث النطفة في الرحم أربعين يوما. يدل عليه ما رواه في كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى محمد بن عبد الله بن زرارة، عن علي بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: تعتلج (٣) النطفتان في الرحم، فأيتها كانت أكثر، جاءت تشبهها، فإن كانت نطفة المرأة أكثر جاءت تشبه أخواله، وإن كانت نطفة الرجل أكثر جاءت تشبه أعمامه، وقال: تحول النطفة في الرحم أربعين يوما، فمن أراد أن يدعو الله عز وجل ففي تلك الاربعين قبل أن يخلق، ثم يبعث الله عز وجل ملك الارحام فيأخذها، فيصعد بها إلى الله عز وجل فيقف منه ما شاء الله، فيقول: يا إلهي أذكر أم أنثى ؟ فيوحي الله عز وجل ما يشاء (٤) والحديث

طويل أخذت منه موضع الحاجة. لآإله إلا هو: إذ لا يعلم، ولا يفعل وجملة ما يعلمه، ولا يقدر أن يفعل مثل ما يفعله، غيره. العزيز الحكيم: إشارة إلى كما قدرته، وتناهي حكمته. قال البيضاوي: قيل: هذا احتجاج على من زعم أن عيسى كان ربا، فإن وفد بني نجران لما حاجوا فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) نزلت السورة من أولها إلى نيف وثمانين آية، تقريرا احتج به عليهم وأجاب عن شبههم (٥).

(٨/٣)

---

(١) الكافي: ج ٦ ص ١٦ - ١٧ كتاب العقيقة، باب أكثر ما تلد المرأة، ح ١. (٢) الكافي: ج ٦ ص ١١٧ كتاب العقيقة، باب أكثر ما تلد المرأة، ح ٢. (٣) اعتلج القوم اتخذوا صراعا وقتالا، وفي الحديث: إن الدعاء ليلقي البلاء فيعتلجان، اي يتصارعان (لسان العرب: ج ٢ ص ٣٢٦ لغة علج). (٤) علل الشرائع: ج ١ ص ٨٩ الباب ٨٥ علة النسيان والذكر، وعلة شبه الرجل بأعمامه وأخواله، ح ٤. (٥) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١ ص ١٤٩، في تفسير قوله تعالى " هو الذي يصوركم " الآية. (*)

(٩/٣)

هو الذى أنزل عليه الكتب منه ءايت محكمت: احكمت عبارتها، بأن حفظت من الاجمال والاشتباه. هن أم الكتب: أصله، يرد إليها غيرها، والقياس (امهات) فأفرد على تأويل واحدة، أعلى أن الكل بمنزلة آية واحدة. وأخر متشبهت: محتملات، لا يتضح مقصودها، لاجمال، أو مخالفة ظاهر.

والعلة في ذلك ما رواه في كتاب الاحتجاج عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل، وفيه يقول: ثم إن الله جل ذكره لسبقة رحمته، ورأفته بخلقه، وعلمه بما يحدثه المبدلون من تغيير كلامه، قسم كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسما منه يعرفه العالم والجاهل، وقسما لا يعرفه إلا من صفا ذهنه ولطف حسه وصح تميزه ممن شرح الله صدره للاسلام، وقسما لا يعرفه إلا الله وأنبياؤه والراسخون في العلم. وإنما فعل ذلك لئلا يدعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله (صلى الله عليه وآله) من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم، وليقودهم الاضطرار إلى الائتمار لمن ولاه أمرهم

فاستكبروا عن طاعته تعززا وافتراء على الله، واغترارا بكثرة من ظاهرهم وعاونهم وعاند الله جل اسمه ورسوله (صلى الله عليه واله) (١)، واعلم أن قسمين مما ذكر في الخبر داخل في المحكم المذكور في الآية. وأما قوله: " كتاب احكمت اياته " فمعناه: أنها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ. وقوله: " كتابا متشابها " فمعناه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ. و " اخر " جمع اخري: ولم ينصرف، لانه وصف معدول من الاخر ولا يلزم معرفته، لان معناه: ان القياس أن يعرف، لانه معرف المعنى، أو من آخر من بهذا المعنى. في أصول الكافي: الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن أورمة،

---

(١) الاحتجاج: ج ١ ص ٢٥٣ احتجاجه (عليه السلام) على زنديق جاء مستدلا عليه بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل وفيه لسعة رحمته. (*)

عن علي بن حسان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى: " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب " قال: أمير المؤمنين (عليه السلام) والائمة (عليهم السلام، " واخر متشابهات " قال: فلان وفلان (١)، وللحديث تتمة أخذت منه موضع الحاجة. فأما الذين في قلوبهم زيغ: ميل عن الحق وعدول. فيتبعون ما تشبه منه: بظاهره، أو بتأويل غير منقول عن النبي (صلى الله عليه وآله) والائمة (عليهم السلام)، أو فلان وفلان. ابتغآء الفتنة: طلب أن يفتتنوا أنفسهم والناس عن دينهم. وفي مجمع البيان: قيل: المراد بالفتنة هنا الكفر، وهو المروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) (٢). وابتغاء تأويله: طلب ان يأولوه على ما يشتهونه. قيل: يحتمل أن يكون الداعي إلى الاتباع مجموع الطلبتين، أو كل واحدة منهما على التعاقب، والاول يناسب المعاند، والثاني يلائم الجاهل. وفي تفسير علي بن ابراهيم: حدثنا محمد بن أحمد بن ثابت، قال: حدثنا الحسن ابن أحمد بن سماعة، عن وهب بن جعفر، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: إن القرآن زاجر وآمر، يأمر بالجنة ويزجر عن النار، وفيه محكم ومتشابه، فأما المحكم فيؤمن به ويعمل به. وأما المتشابه فيؤمن به ولا يعمل به وهو قول الله: " وأما الذين " وقرأ إلى " كل من عند ربنا "، وقال: آل محمد الراسخون في العلم (٣). وما يعلم تأويله: أي الذي يجب أن يحمل عليه.

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٤١٤ – ٤١٥ كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، قطعة من ح ١٤. (٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤١٠ سورة آل عمران. (٣) لم نعثر عليه في تفسير علي بن ابراهيم ووجدناه في تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٢ ح ٤. (*)

(١١/٣)

إلا الله والرسخون في العلم: أي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه. وفي تتمة الحديث السابق، أن الراسخين في العلم أمير المؤمنين والائمة (عليهم السلام) (١). وفي كتاب معاني الاخبار: بإسناده إلى محمد بن قيس قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يحدث أن حيبا وأبا ياسر ابني أخطب ونفرا من يهود أهل نجران أتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا له: أليس فيما تذكر فيما أنزل الله عليك " الم " ؟ قال: بلى. قالوا: أتاك بها جبرائيل من عند الله تعالى ؟ قال: نعم. قالوا: لقد بعثت أنبياء قبلك، وما نعلم نبيا منهم أخبرنا مدة ملكه وما أجل امته غيرك. قال: فاقبل حيي بن أخطب على أصحابه فقال لهم: الالف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون. فهذه إحدى وسبعون سنة، فعجب ممن يدخل في دين مدة ملكه وأجل امته إحدى وسبعون سنة ! قال: ثم أقبل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال له: يا محمد هل مع هذا غيره ؟ قال: نعم قال: هاته. قال: " المص ". قال: هذه أثقل وأطول، (الالف) واحد، و (اللام) ثلاثون، و (الميم) أربعون، و (الصاد) تسعون، فهذه مائة واحدى وستون سنة. ثم قال لرسول الله (صلى الله عليه وآله): فهل مع هذا غيره ؟ قال: نعم. قال: هاته. قال (صلى الله عليه وآله): " الر " قال: هذه أثقل وأطول، (الالف) واحد، و (اللام) ثلاثون، و (الراء) مائتان، [ثم قال لرسول الله (صلى الله عليه وآله)]: فهل مع هذا غيره ؟ قال: نعم. قال: هاته. قال: " المر ". قال: هذه أثقل وأطول، (الالف) واحد، و (اللام) ثلاثون، و (الميم) أربعون، و (الراء) مائتان، ثم قال له: هل مع هذا غيره ؟ قال: نعم. قالوا: قد التبس علينا أمرك، فما ندري ما اعطيت ! ثم قاموا عنه، ثم قال أبو ياسر للحيي أخيه: ما يدريك لعل محمدا قد جمع له هذا كله وأكثر منه. قال: فذكر أبو جعفر (عليه السلام) ان هذه الآيات انزلت فيهم: " منه آيات

(١٢/٣)

---

(١) لم نعثر عليه في تفسير علي بن ابراهيم ووجدناه في تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٢ ح ٢. (*)

---

[١٩]

محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات " قال: وهي تجري في وجه آخر [على] غير تأويل حيي وأبي ياسر وأصحابهما (١). أقول: وهذا الوجه هو ما مر من أن المراد بالمحكمات والمتشابهات الائمة وأعدائهم. وبعضهم وقفوا على (الله) وفسروا المتشابه بما استأثره بعمله. يقولون ء امنا به: استئناف موضح لحال الراسخين، أو حال منهم، أو خبر، إن جعلته مبتدأ. كل من عند ربنا: أي كل من المحكم والمتشابه من عنده. وعلى كون المراد بالمتشابه فلان وفلان، كونه من عنده بمعنى خلقه له وعدم جبره على الاهتداء، كما هو طريقة الابتلاء والتكليف. وما يذكر إلآ أولوا الالبب: مدح للراسخين، أو لمن يتذكر أن العالم بالمتشابه لا يكون غير الراسخين الذين هم الائمة. روى محمد بن يعقوب، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر ابن سويد، عن أيوب بن الحر، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله (٢). ويؤيد ما رواه أيضا، عن علي بن محمد، عن عبد الله بن علي، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبد الله بن حماد، عن بريد بن معاوية، عن أحدهما (عليهما السلام) في قول الله عز وجل: " وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم " قال: فرسول الله (صلى الله عليه وآله) أفضل الراسخين في العلم، وقد علمه الله عز وجل جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان [الله] لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله (٣) وكيف لا يعلمونه، ومنهم مبدأ العلم وإليهم

---

(١) معاني الاخبار: ص ٢٣ باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن ح ٣. (٢) الكافي: ج ١ ص ٢١٣، كتاب الحجة، باب ان الراسخين في العلم هم الائمة (عليهم السلام)، ح ١. (٣) الكافي: ج ١ ص ٢١٣، كتاب الحجة، باب ان الراسخين في العلم هم الائمة (عليهم السلام)، ح ٢. (*)

---

[٢٠]

منتهاه، وهم معدنه وقراره ومأواه. وبيان ذلك ما رواه الشيخ محمد بن يعقوب، عن علي بن أبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن اذينة، عن عبد الله بن سليمان، عن حمران بن أعين [عن

أبي عبد الله عليه السلام] قال: إن جبرائيل (عليه السلام) أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) برمانتين، فأكل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إحداهما، وكسر الاخرى بنصفين، فأكل نصفا، وأطعم عليا نصفا، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا أخي هل تدري ما هاتان الرمانتان ؟ قال: لا، قال: أما الاولى فالنبوة ليس لك فيها نصيب، وأما الاخرى فالعلم، أنت شريكي فيه، فقلت: أصلحك الله كيف يكون شريكه فيه ؟ قال: لم يعلم الله محمدا (صلى الله عليه وآله) [علما] إلا وأمره أن يعلمه عليا (عليه السلام) (١). ويؤيده ما رواه أيضا عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن عبد الحميد، عن منصور بن يونس، عن ابن اذينة، عن محمد بن مسلم قال: سمعت ابا جعفر (عليه السلام) يقول: نزل جبرئيل (عليه السلام) على محمد (صلى الله عليه وآله) برمانتين من الجنة، فلقيه علي (عليه السلام) فقال له: ما هاتان الرمانتان اللتان في يدك ؟ فقال: أما هذه فالنبوة ليس لك فيها نصيب. وأما هذه فالعلم، ثم فلقها رسول الله (صلى الله عليه وآله) نصفين فأعطاه نصفها، أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) نصفها ثم قال: أنت شريكي فيه وأنا شريكك فيه، قال: فلم يعلم والله رسول الله (صلى الله عليه وآله) حرفا مما علمه الله عز وجل إلا وقد علمه عليا ثم انتهى العلم إلينا، ثم وضع يده على صدره (٢). وأوضح من هذا

بيانا ما رواه أيضا عن أحمد بن محمد، عن عبد الله الحجال، عن أحمد بن محمد الحلبي، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقلت: جعلت فداك اني أسألك عن مسألة، فههنا أحد يسمع كلامي ؟ قال:

الكافي: ج ١ ص ٢٦٣، كتاب الحجة، باب ان الله عز وجل لم يعلم نبيه علما إلا.. ح ١. (٢)

الكافي: ج ١ ص ٢٦٣، كتاب الحجة، باب ان الله (عز وجل) لم يعلم نبيه علما إلا.. ح ٣. (*)

فرفع أبو عبد الله (عليه السلام) سترا بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه ثم قال: يا أبا محمد سل عما بدالك، قال: قلت: جعلت فداك أن شيعتك يتحدثون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) علم عليا بابا يفتح منه ألف باب ! قال: فقال: يا أبا محمد علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليا (عليه السلام) ألف باب يفتح من كل باب ألف باب، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: فنكت (١) ساعة في الارض ثم قال: إنه لعلم وما هو بذاك، قال: ثم قال: يا أبا محمد إن عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة ؟ قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة ؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله

(صلى الله عليه وآله) عن املائه من فلق فيه (٢)، وخط علي بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شئ يحتاج إليه الناس حتى الارش في الخدش، وضرب بيده إلي، فقال في: أتأذن لي يا أبا محمد قال: قلت: جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده، قال: حتى أرش هذا، كأنه مغضب (٣)، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك. ثم سكت ساعة، ثم قال: إن عندنا الجفر، وما يدريهم ما الجفر ؟ قلت: وما الجفر ؟ قال: وعاء من أدم (٤) فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، قال: قلت: إن هذا هو العلم. قال: إنه لعلم وليس بذاك. ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة (عليها السلام) وما يدريهم ما مصحف فاطمة ؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة ؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا

---

(١) نكت الارض بالقضيب: وهو أن يؤثر فيها بطرفه فعل المفكر المهموم، لسان العرب: ج ٢ ص ١٠٠ مادة (نكت). (٢) الفلق: الشق، كلمني فلان من فلق فيه وفلق فيه: اي شقه، لسان العرب: ج ١٠ ص ٣١٠ مادة (فلق). (٣) أي أخذ بشدة (مرآة العقول: ج ٣ ص ٥٥). (٤) قال الجوهري: الادم جمع الاديم وقد يجمع على أدمة، وفي القاموس: الاديم الجلد أو أحمره أو مدبوغه، جمعه أدمة وأدام، والادم اسم للجمع، وقال: الجفر من أولاد الشاء ما عظم واستكرش، أو بلغ أربعة أشهر والبئر لم تطو أو طوى بعضها، والجفر: جعبة من جلود لا خشب فيها أو من خشب لا جلود فيها (مرآة العقول: ج ٣ ص ٥٥). (*)

ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد (١)، قال: قلت: هذا والله هو العلم، قال إنه لعلم وليس بذاك، ثم سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، قال: قلت: جعلت فداك هذا والله هو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك، قال: قلت: جعلت فداك فأي شئ العلم ؟ قال: ما يحدث بالليل والنهار، والامر بعد الامر، والشئ بعد الشئ إلى يوم القيامة (٢).

ومما ورد في عزارة علمهم (صلوات الله عليهم): ما رواه أيضا (رحمه الله) قال: روى عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن يونس بن يعقوب، عن الحارث بن المغيرة. وعدة من أصحابنا منهم ب عبد الاعلى [وأبو عبيدة] وعبد الله بن بشر الخثعمي، أنهم سمعوا أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إني لاعلم ما في السماوات وما في الارض، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون، ثم سكت هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه، فقال:

علمت ذلك من كتاب الله عز وجل، يقول: " فيه تبيان كل شئ " (٣) (٤). ومما ورد في غزارة علمهم (صلوات الله عليهم): ما رواه أيضا عن أحمد بن محمد ومحمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن

(١٦/٣)

---

(١) ما فيه من قرآنكم: أي فيه علم بما كان وما يكون. فان قلت: في القرآن أيضا بعض الاخبار ؟ قلت: لعله لم يذكر فيه ما في القرآن. فإن قلت، يظهر من بعض الاخبار اشتمال مصحف فاطمة (عليها السلام) أيضا على الاحكام ؟ قلت: لعل فيه ما ليس في القرآن. فإن قلت: قد ورد في كثير من الاخبار اشتمال القرآن على جميع الاحكام والاخبار مما كان أو يكون ؟ قلت: لعل المراد به ما نفهم من القرآن لا ما يفهمون (عليهم السلام) منه، ولذا قال (عليه السلام): قرآنكم، على أنه يحتمل أن يكون المراد لفظ القرآن، ثم الظاهر من أكثر الاخبار اشتمال مصحفها (عليها السلام) على الاخبار فقط، فيحتمل ان يكون المراد عدم اشتماله على أحكام القرآن (مرآة العقول: ج ٣ ص ٥٦). (٢) الكافي: ج ١ ص ٢٣٨، كتاب الحجة، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة.. ح ١. (٣) قال تعالى: " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ " النحل: ٨٩. (٤) الكافي: ج ١ ص ٢٦١، كتاب الحجة، باب ان الائمة يعلمون علم ما كان وما يكون.. ح ٢. وفيه: ثم مكث هنيئة. (*)

(١٧/٣)

إبراهيم بن إسحاق الاحمر، عن عبد الله بن حماد، عن سيف بن تمار قال: كنامع أبي عبد الله (عليه السلام) وجماعة من الشيعة في الحجر، فقال: علينا عين ؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحدا، فقلنا: ليس علينا عين، فقال: ورب الكعبة ورب البنية – ثلاث مرات – لو كنت بين موسى والخضر لاخبرتهما أني أعلم منهما، ولانبأتهما بما ليس في أيديهما، لان موسى والخضر (عليهما السلام) اعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وراثة (١). ويؤيد هذا ويطابقه ما رواه أصحابنا من رواة الحديث من كتاب الاربعين رواية أسعد الاربلي، عن عمار بن خالد، عن إسحاق الازرق، عن عبد الملك بن سليمان

قال: وجد في ذخيرة حواري عيسى رق فيه مكتوب بالقلم السرياني منقول من التوراة: وذلك لما تشاجر موسى والخضر (عليهما السلام) في قصة السفينة والجدار والغلام، ورجع موسى إلى قومه فسأله أخاه هارون عما استعلمه من الخضر وشاهده من عجائب البحر ؟ فقال موسى (عليه السلام): بينا أنا والخضر على شاطئ البحر إذ سقط بين أيدينا طائر، فأخذ في منقاره قطرة من ماء البحر، ورمى بها نحو المشرق، وأخذ منه ثانية ورمى بها نحو المغرب، صم أخذ ثالثة. ورمى بها نحو السماء، ثم أخذ رابعة ورمى بها نحو الارض، ثم أخذ خامسة وألقاها في البحر. فبهت أنا والخضرمن ذلك، وسألته عنه ؟ فقال: لا أعلم، فبينا نحن كذلك فإذا بصياد يصيد في البحر، فنظر إلينا، وقال: ما لي أراكما في فكرة من أمر الطائر ؟ فقلنا له: هو ذاك، فقال: أنا رجل صياد وقد علمت إشارته، وأنتما نبيان لا تعلمان ؟ فقلنا: لا نعلم إلا ما علمنا الله عز وجل، فقال: هذا طائر في البحر يسمى مسلما، لانه إذا صاح يقول في صياحه: مسلم مسلم، فإشارته برمي الماء من منقاره نحو المشرق والمغرب والسماء والارض والبحر يقول: إنه يأتي في آخر الزمان نبي يكون

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٦٠، كتاب الحجة، باب أن الائمة يعلمون علم ما كان وما يكون.. ح ١ وفيه: جماعة من الشيعة. (*)

علم أهل المشرق والمغرب وأهل السماء والارض عند علمه مثل هذه القطرة الملقاة في البحر، ويرث علمه ابن عمه ووصيه، فعند ذلك سكن ما كنا فيه من المشاجرة، واستقل كل واحد منا علمه بعد أن كنا معجبين بأنفسنا، ثم غاب عنا، فعلمنا أنه ملك بعثه الله إلينا، ليعرفنا نقصنا حيث ادعينا الكمال (١). ومما ذكر في معنى فضلهم (عليهم صلوات الله) ما ذكره الشيخ أبو جعفر الطوسي (رحمه الله) في كتابه مصباح الانوار بإسناده إلى رجاله قال: وروى عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن جده (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنا ميزان العلم وعلي كفتاه، والحسن والحسين حباله، وفاطمة علاقته، والائمة من بعدهم يزنون المحبين والمبغضين (٢). وفي كتاب الاحتجاج: روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل يقول (عليه السلام) فيه: وقد جعل الله للعلم أهلا وفرض على العباد طاعتهم بقوله: " وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم " (٣). وفي نهج البلاغة قال (عليه السلام): أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا، أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرمهم وأدخلنا وأخرجهم (٤). وفي روضة

الكافي ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن أبي عبيدة قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز ذكره: " الم * غلبت الروم * في أدنى الارض " قال: فقال: يا أبا عبيدة إن لهذا تأويلا لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم من آل محمد (صلى الله عليه وآله) (٥) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

(١٩/٣)

---

(١) بحار الانوار: ج ١٣ ص ٣١٢، كتاب النبوة، باب ١٠ قصة موسى حين لقي الخضر، ح ٥٢. (٢) مصباح الانوار: في الباب الخامس، في علم علي، وفيه (عن أبي جعفر) بدل (جعفر بن محمد) مخطوط. بحار الانوار: ج ٢٣، ص ١٠٦، كتاب الامامة، باب ٧، ح ٦. (٣) الاحتجاج: ج ١ ص ٢٤٨، س ٧، احتجاجه (ع) على زنديق جاء مستدلا عليه بآي من القرآن متشابهة. (٤) نهج البلاغة: ص ٢٠١ الخطبة ١٤٤ في فضل أهل البيت، صبحي الصالح. (٥) الكافي: في: ج ٨ ص ٢٦٩ باب ٤٤ ح ٣٩٧. (*)

---

[٢٥]

(٢٠/٣)

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي، عن محمد بن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله " الم * غلبت الروم * في أدنى الارض " قال يا أبا عبيدة ان لهذا تأويلا لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم من الائمة (عليهم السلام) (١) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. حدثنا محمد بن أحمد بن ثابت، قال حدثنا الحسن بن محمد بن سماعة، عن وهب بن حفص، عن أبي بصير، عن عبد الله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: إن القرآن زاجر وآمر يأمر بالجنة ويزجر عن النار، وفيه محكم ومتشابه، فأما المحكم فيؤمن به ويعمل به وأما المتشابه فيؤمن به ولا يعمل به وهو قول الله: " وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه إبتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا " وآل محمد (عليهم السلام) الراسخون في العلم (٢). حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن اذينة، عن بريد بن معاوية، عن ابي جعفر (عليه السلام) قال: إن رسول الله

(صلى الله عليه وآله) أفضل الراسخين في العلم قد علم جميع ما أنزل الله من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه التأويل وأوصياؤه من بعده يعلمونه قال: قلت: جعلت فداك أن أبا الخطاب كان يقول فيكم قولا عظيما، قال: وما كان يقول ؟ قلت: قال: إنكم تعلمون علم الحلال والحرام والقرآن قال: إن علم الحلال والحرام والقرآن يسير في جنب العلم الذي يحدث في الليل والنهار (٣). وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن داود ابن فرقد، عمن حدثه، عن ابن شبرمة قال: ما ذكرت حديثا سمعته من جعفر بن

---

(١) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٥٢ سورة الروم. (٢) تفسير نور الثقلين: ج ١ ص ٣١٦ ح ٢٩ نقلا عن تفسير علي بن إبراهيم. (٣) تفسير نور الثقلين: ج ١ ص ٣١٧ ح ٣٠ نقلا عن تفسير علي بن إبراهيم. (*)

محمد (عليه السلام) إلا كاد أن يتصدع قلبي، قال: حدثني أبي، عن جدي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من عمل يا لمقاييس فقد هلك وأهلك، ومن أفتى للناس بغير علم وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك (١). بعض أصحابنا رفعه عن هشام بن الحكم قال: قال في أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام): يا هشام إن الله ذكر اوالي الالباب بأحسن الذكر، وحلاهم بأحسن الحلية وقال: " الراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الالباب " (٢). أحمد بن محمد، عن محمد بن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): نحن الراسخون في العلم (٣) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن أيوب بن الحر وعمران بن علي، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله (٤). علي بن محمد، عن عبد الله بن علي، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبد الله بن حماد، عن بريد بن معاوية، عن أحد هما (عليهما السلام) في قول الله عز وجل " وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم " فرسول الله (صلى الله عليه وآله) أفضل الراسخين في العلم، وقد علمه الله عز وجل جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله، والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيهم بعلم، فأجابهم الله

بقوله: " يقولون آمنا

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٣ كتاب فضل العلم، باب النهي عن القول بغير علم، ح ٩. (٢) الكافي: ج ١ ص ١٥ كتاب العقل والجهل، قطعة من ح ١٢. (٣) الكافي: ج ١ ص ١٨٦ كتاب الحجة، باب فرض طاعة الائمة، ح ٦. (٤) الكافي: ج ١ ص ٢١٣ كتاب الحجة، ان الراسخين في العلم هم الائمة (عليهم السلام)، ح ١. (*)

به كل من عند ربنا " والقرآن خاص وعام ومحكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ فالراسخون في العلم يعلمونه (١). الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن اورمة، عن علي بن حسان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال: الراسخون في العلم أمير المؤمنين والائمة من بعده (عليهم السلام) (٢). وباسناده إلى أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): فإن قالوا: من الراسخون في العلم ؟ فقل: من لا يختلف في علمه، فإن قالوا: فمن هو ذاك ؟ فقل: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) صاحب ذلك، فهل بلغ أولا ؟ فإن قالوا: قد بلغ، هل مات (صلى الله عليه وآله) والخليفة من بعده يعلم علما ليس فيه اختلاف ؟ فإن قالوا: لا، فقل: إن خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) مؤيد، ولا يستخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) من لم يحكم بحكمه وإلا من يكون مثله إلا النبوة، وإن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يستخلف في علمه أحدا فقد ضيع من في أصلاب الرجال ممن يكون بعده (٣). وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت عليا عليه السلام يقول: ما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي واكتبها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها. ودعا الله عز وجل أن يعلمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي فكتبته، وما ترك الله شيئا علمه الله عز وجل من حلال ولا حرام، ولا نهي، وما كان وما يكون من
---

(١) الكافي: ج ١ ص ٢١٣ كتاب الحجة، باب ان الراسخين في العلم هم الائمة (عليهم السلام)، ح ٢. (٢) الكافي: ج ١ ص ٢١٣ كتاب الحجة، باب ان الراسخين في العلم هم الائمة (عليهم السلام) ح ٣. (٣) الكافي: ج ١ ص ٢٤٥، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه في ليلة القدر، قطعة من ح ١ وفيه: عن أبي جعفر الثاني. (*)

---

[٢٨]

[ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب (٨)] طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته، فلم أنس منه حرفا واحدا (١) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. واعلم: أن التفسير بالرأي للمتشابه حرام، ومن فسره برأيه كافر. يدل عليه ما رواه في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى عبد الرحمن ابن سمرة، عن النبي (صلى الله عليه وآله) في حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): من فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب (٢). وما رواه في كتاب التوحيد بإسناده إلى الريان بن الصلت، عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال الله جل جلاله: ما آمن بي من فسر برأيه كلامي (٣). ولاخفاء أن المراد تفسير المتشابه وتأويل المحكم بالرأي بغير ما يدل عليه ظاهره. وبذلك يظهر عدم إيمان أكثر المفسرين ممن يفسرون القرآن برأيهم، ويأولونه على مذاقهم، ممن نقلنا بعض تأويلاتهم في أوائل التفسير، تقدمة لهذا التصريح، وعدم إيمان أهل السنة والجماعة، فإنه لا ريبة لاحد في أنه لا يردون المتشابهات إلى الراسخين الذين هو الائمة (عليهم السلام) ويفسرون الراسخين أيضا برأيهم، ولا يعنون منه النبي والائمة (عليهم السلام)، فتبصر. ربنا لا تزغ قلوبنا: من مقالة الراسخين، وقيل: استئناف.

---

(١) كمال الدين: ج ١، ص ٣٨٤، باب ٢٤ ماروي عن النبي في النص على القائم (عليه السلام) قطعة من ح ٣٧. (٢) كمال الدين: ج ١ ص ٢٥٧، باب ٢٤ ماروي عن النبي في النص على القائم (عليه السلام) قطعة من ح ١. (٣) التوحيد: ص ٦٨ باب ٢ التوحيد ونفي التشبيه، قطعة من ح ٢٣. (*)

---

[٢٩]

[ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد (٩)] والمعنى: لا تزغ قلوبنا عن

نهج الحق، وهو من الراسخين خضوع في مقام العبودية. وقيل: لا تبلنا ببلايا تزيغ فيه قلوبنا. بعد إذ هديتنا: إلى الحق. و " بعد " نصب على الظرف، و " إذ " في محل الجر بإضافته إليه، وقيل: إنه بمعنى (إن). وهب لنا من لدنك رحمة: تزلفنا إليك، ونفوز بها عندك، أو توفيقا للثبات على الحق، أو مغفرة للذنوب، أو الاعم. إنك أنت الوهاب: لكل سؤال. في تفسير العياشي، عن سماعة بن مهران قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): أكثروا من أن تقولوا: " ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا " ولا تأمنوا الزيغ (١). وفي تهذيب الاحكام في الدعاء بعد صلاة الغدير، المسند إلى الصادق (عليه السلام): ربنا إنك أمرتنا بطاعة ولاة أمرك وأمرتنا أن نكون مع الصادقين فقلت: " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم " (٢) وقلت: " اتقوا الله وكونوا مع الصادقين " (٣) فسمعنا وأطعنا ربنا، فثبت أقدامنا وتوفنا مسلمين مصدقين لاوليائك ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٤ ح ٩. (٢) النساء: ٥٩. (٣) التوبة: ١١٩. (٤) التهذيب: ج ٣ ص ١٤٧ باب ٧ صلاة الغدير، ح ١. (*)

[إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولآ أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار (١٠) كدأب ءال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بئيتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب (١١)] وفي هذا الخبر دلالة على أن المراد بالدعاء بعدم الازاغة، عدم الازاغة عن الولاية. ربنا إنك جامع الناس ليوم: لحساب يوم، أو جزائه. لاريب فيه: في وقوعه، ووقوع ما أخبر بوقوعه فيه. إن الله لا يخلف الميعاد: فإن الالهية تنافيه. وللاشعار به وتعظيم الموعود به، لون الخطاب. قال البيضاوي: واستدل به الوعيدية، واجيب بأن وعيد الفساق مشروط بعدم العفو، لدلائل منفصلة، كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا (١) (٢). ويرد على هذا الجواب: إن العفو بالتوبة موعود، بخلاف العفو بدونه، واشتراط وعيد الفساق بعدم العفو لا معنى له، إذ لا يسمى أضربك إن لم أعف وعيدا، كما يسمى أعطيك إن جئتني وعدا، فتأمل يظهر الفرق. إن الذين كفروا: الظاهر أنه عام في الكفرة. وقيل: المراد وفد نجران أو

---

(١) تفسير البيضاوي: ج ١، ص ١٥٠، في تفسيره لقوله تعالى: " إن الله لا يخلف الميعاد ". (٢)

اختج الجبائي بهذه الآية على القطع بوعيد الفساق، قال: وذلك لان الوعيد داخل تحت لفظ الوعد، بدليل قوله تعالى: " أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا " والوعد والموعد والميعاد واحد، وقد أخبر في هذه الآية أنه لا يخلف الميعاد فكان هذا دليلا على أنه لا يخلف في الوعيد. قلنا: لم لا يجوز أن يكون ذلك كما في قوله: " فبشر هم بعذاب أليم " وقوله: " ذق إنك أنت العزيز

اليهود، أو مشركوا العرب. لن تغنى عنهم أموالهم ولآ أولادهم من الله شيئا: أي من رحمته، أو طاعته على معنى البدلية، أو من عذابه. أولئك هم وقود النار: حطبها. وقرئ بالضم بمعنى أهل وقودها. كدأب ءال فرعون: متصل بما قبله، أي لن تغني عنهم أموالهم، كما لم تغن عن اولئك، أو توقد بهم كما توقد باولئك. أو استئناف مرفوع المحل وتقديره أن دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب. وهو مصدر دأب في العمل: كدح فيه، فنقل إلى معنى الشأن. والذين من قبلهم: عطف على آل فرعون أو استئناف. كذبوا بئيتنا فأخذهم الله بذنوبهم: حال بتقدير قد، أو استئناف بتفسير حالهم على التقدير الاول، وخبر على التقدير الثاني. والله شديد العقاب: تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة. وفي الآية دلالة على أن الكفار طريقتهم واحدة في الكفر والعذاب والخلود فيه، سواء فيه الذين كفروا بعد النبي (صلى الله وآله) والذين كفروا قبله. ويظهر منه: أن المنكرين للولاية المحكوم عليهم بكفرهم، دأبهم كدأب آل فرعون في ذلك، لا يجوز إطلاق اسم الاسلام بالمعنى المقصود منه عليهم، كما لا يجوز إطلاقه على آل فرعون، وإن جاز إطلاقه عليهم بمعنى آخر، كما جاز إطلاقه على فرعون أيضا، بمعنى أنه أسلم لابليس، أو أسلم لهواه، أو غير ذلك.

الكريم " وأيضا لم لا يجوز أن يكون المراد منه أنهم كانوا يتوقعون من أوثانهم أنها تشفع لهم عند الله، فكان المراد من الوعد تلك المنافع. وذكر الواحدي في البسيط طريقة اخرى فقال: لم لا يجوز أن يحمل هذا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء، لان خلف الوعيد كرم عند العرب قال: والدليل عليه أنهم يمدحون بذلك، قال الشاعر: إذا وعد السراء أنجز وعده * وإن أو عد الضراء فالعفو ما نعه (التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٧ ص ١٨٣ آل عمران: ٩). (*)

[قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد (١٢) قد كان لكم ءاية في فئتين التقتا فئة تقتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشآء إن في ذلك لعبرة لاولى الابصر (١٣)] قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم: في مجمع البيان: روي محمد بن إسحاق بن يسار عن رجاله: قال لما أصاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قريشا ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال: يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر، وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما أنزل الله بهم، فقد عرفتم أني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم، فقالوا: يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا (١) لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، أما والله لو قاتلتنا لعرفت إنا نحن الناس، فأنزل الله هذه الآية (٢). وروى أيضا عن عكرمة وسعيد بن جبير، عن ابن عباس، ورواه أصحابنا (٣) (٤). وقال البيضاوي: أي قل لمشركي مكة ستغلبون، يعني يوم بدر (٥). وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما، على أن الامر للنبي (صلى الله عليه وآله) بأن

---

(١) الاغمار: جمع غمر بالضم، ورجل غمر وغمر: لا تجربة له بحرب ولا أمر ولم تحنكه التجارب (لسان العرب: ج ٥ ص ٣٢ لغة غمر). (٢) و (٣) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٤١٣ في شأن نزول آية ١٢ من سورة آل عمران. (٤) ورواه السيوطي في الدر المنثور: ج ٣ ص ١٥٨ عن ابن عباس وعكرمة وقتادة. (٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١ في تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران " قل للذين كفروا " الخ. (*)

يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه (١). وبئس المهاد: تمام ما يقال لهم، أو استئناف. وتقديره: بئس المهاد جهنم، أو ما مهدوه لانفسهم. قد كان لكم ءاية: قيل: الخطاب لقريش، وقيل: للمؤمنين. في فئتين التقتا: يوم بدر. في مجمع البيان: أن الآية نزلت في قصة بدر، وكان المسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر. سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين، ومائتان وستة وثلاثون من الانصار. واختلف في عدد المشركين، فروي عن

علي بن مسعود أنهم كانوا ألفا (٢). فئة تقتل في سبيل الله: وهم المؤمنون. وأخرى كافرة: وهم مشركوا قريش. يرونهم مثليهم: أي يرى المشركون المؤمنين مثليهم. أو يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين. وكانوا ثلاثة أمثال لهم، ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم في قوله: " فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين " (٣). وقرئ بهما بالبناء للمفعول، أي يريهم الله، أو يريكم ذلك بقدرته. و " فئة " بالجر على البدل من " فئتين " والنصب على الاختصاص، أو الحال من فاعل " التقتا ". رأى العين: رؤية ظاهرة معاينة. والله يؤيد بنصره من يشآء: كما أيد أهل بدر. إن في ذلك: أي في التقليل والتكثير، أو غلبة القليل، أو وقوع [الامر] على ما أخبر به الرسول الله (صلى الله عليه وآله). لعبرة لاولى الابصر: لعظة لذوي البصائر، وقيل: لمن أبصرهم.

---

(١) المصدر السابق. (٢) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٤١٤ في تفسير الآية ١٣ من سورة آل عمران. (٣) الانفال: ٦٦. (*)

[زين الناس حب الشهوت من النساء والبنين والقنطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعم والحرث ذلك متع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المئاب (١٤)] زين للناس حب الشهوت: أي المشتهيات، سماها شهوات، مبالغة، وإيماء إلى أنهم انهمكوا في محيتها حتى أحبوا شهوتها، كقوله تعالى: " أحببت حب الخير " (١). وذهب الاشعري إلى أن المزين هو الله تعالى، لانه الخالق للافعال، والدواعي كلها عندهم، ويقولون: زينة ابتلاء، أو لانه يكون وسيلة إلى السعادة الاخروية، إذا كان على وجه يرتضيه الله، أو لانه من أسباب التعيش وبقاء النوع. والمعتزلة إلى أنه الشيطان. والجبائي فرق بين المباح والمحرم (٢). وهو الصواب. من النساء: في الكافي: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن أبي عبد الله البرقي، عن الحسن بن أبي قتادة، عن رجل، عن جميل بن دراج قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) ما يتلذذ الناس في الدنيا والآخرة بلذة أكثر لهم من لذة النساء، وهو قول الله عز وجل: " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين " إلى آخر الآية. ثم قال: وإن أهل الجنة ما يتلذذون بشئ من الجنة أشهى عندهم من النكاح، لاطعام ولا شراب (٢). والبنين والقنطير المقنطرة: قناطير جمع قنطار.

---

(١) ص: ٣٢. (٢) انوار التنزيل: ج ١ ص ١٥١، في تفسيره لآية ١٤ من سورة آل عمران. (٣)

الكافي: ج ٥ ص ٣٢١ * كتاب النكاح، باب حب النساء ح ١٠. (*)

---

[٣٥]

(٣٠/٣)

وفي مجمع البيان: اختلف في مقدار القنطار، قيل: هو ملاء مسك ثور ذهبا، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام): انتهى (١). واختلف في أنه فعلال أو فنعال، والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم: بدرة مبدرة. من الذهب والفضة: صفة للقناطير. ويحتمل التعلق بـ " المقنطرة " على تضمين معنى المملوة. وفي كتاب الخصال: عن محمد بن يحيى العطار، رفع الحديث قال: الذهب والفضة حجران ممسوخان، فمن أحبهما كان معهما (٢). والخيل المسومة: أي المعلمة، من السومة، وهي العلامة، أو المرعية من أسام الدابة وسومها، أو المطهمة التامة الخلق من السوم في البيع، لانها يسام كثيرا، أو من السومة كأنها علم في الحسن. والانعم: الابل والبقر والغنم. والحرث: في اصول الكافي: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن نوح بن شعيب، عن عبد الله الدهقان، عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن أول ما عصي الله عز وجل به ست: حب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب الطعام، وحب النوم، وحب الراحة، وحب النساء (٣). وفي كتاب الخصال: عن الاصبغ بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): الفتن ثلاث: حب النساء وهو سيف الشيطان، وشرب الخمرو هو فخ الشيطان، وحب الدينار والدرهم وهو سهم الشيطان. ومن أحب النساء لم ينتفع بعيشته، ومن أحب الاشربة حرمت عليه الجنة، ومن أحب الدينار والدرهم فهو

---

(١) مجمع البيان، ج ١ - ٢ ص ٤١٧، سورة آل عمران: ١٤. (٢) الخصال: باب الاثنين ص ٤٣ ح ٣٨. (٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٨٩، كتاب الايمان والكفر، باب في اصول الكفر وأركانه، ح ٣. (*)

---

[٣٦]

(٣١/٣)

[قل أؤ نبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنت تجرى من تحتها الانهر خلدين فيها وأزواج مطهرة ورضون من الله والله بصير بالعباد (١٥)] عبد الدنيا (١). ذلك متع الحيوة الدنيا: إشارة إلى ما ذكر، أي هو متمتع في هذه الحياة الدنيا التي مدتها قليلة. والله عنده حسن الماب: أي المرجع. وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات الناقصة الفانية. قل أؤنبئكم بخير من ذلكم: تقرير لما عنده. للذين اتقوا عند ربهم جنت تجرى من تحتها الانهر خلدين فيها: استئناف لبيان ما هو عنده. وقيل: يجوز أن يتعلق اللام بـ " خير "، ورفع " جنات " بتقدير: هو جنات، ويؤيده قراءة من جرها، بدلا من خير. وأزوج مطهرة: مما يستقذر من النساء. وفي تفسير العياشي: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل " فيها أزواج مطهرة " قال: لا يحضن ولا يحدثن (٢). وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: " وأزواج مطهره " قال: في الجنة، لا يحضن ولا يحدثن (٣). ورضون من الله: وهو أكبر، وقراءة عاصم في رواية أبي بكر في جميع

---

(١) الخصال: ص ١١٣ باب الثلاثة، الفتن ثلاث، قطعة من ح ٩١. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٤ ح ١١. (٣) تفسير القمي: ج ١ ص ٩٨، في تفسير بيه " وأزواج مطهرة ". (*)

[الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار (١٦) الصبرين والصدقين والقنتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار (١٧)] القرآن بضم الراء ما خلا الحرف الثاني في المائدة، وهو قوله: " رضوانه سبل السلام " (١) وهما لغتان (٢). والله بصير بالعباد: فيثيب المحسن ويعاقب المسئ، ويعلم استعداد المتقين لما أعد لهم. الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار: صفة للمتقين، أو للعباد، أو مدح منصوب أو مرفوع. ويحتمل الاستئناف. رتب المغفرة والوقاية من النار على الايمان بالفاء، إشعارا بأنه يستلزمهما، وهو كذلك، لان المراد به الايمان بالله ورسوله وجميع ما جاء به الرسول الذي أعظمه الولاية. الصبرين: في البأساء والضراء. والصدقين: في الاقوال والاعمال. والقنيتن: الخاشعين. والمنفقين: أموالهم في سبيل الله. والمستغفرين بالاسحار: أي المصلين وقت السحر. في مجمع البيان: رواه الرضا (عليه السلام)، عن أبيه، عن أبي عبد الله (عليه السلام) (٣). وروي عن أبي عبد الله (عليه السلام): ان من استغفر سبعين مرة من وقت السحر، فهو من أهل هذه الآية (٤).

---

(١) المائدة: ١٦. (٢) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٢ في تفسيره لآية ١٥ من سورة آل عمران. (٣) و (٤) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٤١٩ في بيان معنى الآية ١٦ من سورة آل عمران. (*)

[شهد الله أنه لآ إله إلا هو والملئكة وأو لوا العلم قائما بالقسط لآ إله إلا هو العزيز الحكيم (١٨)] وفي كتاب الخصال: عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: من وتره إذا أوتر: استغفر الله وأتوب إليه، سبعين مرة وهو قائم، فواظب على ذلك حتى تمضي له سنة، كتبه الله من المستغفرين بالاسحار ووجبت له المغفرة من الله تعالى (١). وروي في من لا يحضره الفقيه: عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله (عليه السلام) مثله (٢). وفي تفسير العياشي: عن مفضل بن عمر قال: قلت لابي عبد الله (عليه السلام): جعلت تفوتني صلاة الليل، فاصلي صلاة الفجر، فلي أن اصلي بعد صلاة الفجر ما فاتني من صلاة وأنا في صلاة قبل طلوع الشمس ؟ فقال: نعم ولكن لا تعلم به أهلك، فيتخذه سنة، فيبطل قول الله عز وجل " والمستغفرين بالاسحار " (٣). وقال البيضاوي: حصر مقامات السالك على أحسن ترتيب، فإن معاملته مع الله تعالى: إما توسل وإما طلب. والتوسل إما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما، وإما بالبدن وهو إما قولي وهو الصدق، وإما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة، وإما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير. وإما الطلب فهو الاستغفار، لان المغفرة أعظم المطالب، بل الجامع لها. وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها، وكما لهم فيها، أو لتغاير الموصوفين بها (٤). شهد الله أنه لآ إله إلا هو: أي بين وحدانية بنصب الدلائل الدالة عليها،

---

(١) الخصال: ص ٥٨١، أبواب السبعين وما فوقه، ثواب من استغفر الله عز وجل في الوتر سبعين مرة، ح ٣. (٢) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٣٠٩، باب دعاء قنوت الوتر، ح ٤ (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٥ ح ١٧. (٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١ ص ١٥٢، في تفسير لقوله تعالى: " والمستغفرين بالاسحار ". (*)

أو شهد به لنفسه. والملئكة: بالاستغفار، أو شهدوا كما شهد. وأو لوا العلم: وهم الائمة (عليهم السلام) بالاحتجاج عليه، أو شهدوا كما شهد. وعلى المعنى الاول في شهد استعارة تبعية حيث شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد. قائما بالقسط: مقيما للعدل في حكمه وقضائه. وانتصابه على الحال من " الله "، وإنما جاز إفراده بها، ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا ؟ لعدم اللبس، أو عن " هو " والعامل فيها معنى الجملة، أي تفرد قائما، أو أحقه لانها حال مؤكدة. أو على المدح، أو الصفة للمنفي. وفيه ضعف للفصل، وهو داخل في المشهود به إذا جعلته صفة أو حالا عن الضمير. وقرئ: القائم بالقسط، على البدل من " هو " خبر، أو الخبر لمحذوف. وفي تفسير العياشي: عن جابر قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن هذه الآية: " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم " قال أبو جعفر (عليه السلام): " شهد الله أنه لا إله إلا هو " فإن الله تبارك وتعالى يشهد بها لنفسه وهو كما قال، فأما قوله: " والملائكة " فإنه أكرم الملائكة بالتسليم لربهم، وصدقوا وشهدوا كما شهد لنفسه، وأما قوله: " واولوا العلم قائما بالقسط " فإن اولي العلم الاولياء والاوصياء، وهم قيام بالقسط، والقسط هو العدل في الظاهر، والعدل في الباطن أمير المؤمنين (عليه السلام) (١). فعلى هذه الرواية: " قائما " حال عن " اولي العلم "، وإفراده على تأويل كل واحد والاشعار بأن كل واحد منهم قائم به، لئلا يتوهم أن القسط قائم بمجموعهم من حيث هو مجموع. وفي ذلك التفسير عن مرزبان القمي قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام)

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٥ ح ١٨. (*)

عن قول الله تعالى: " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط " قال: هو الامام (١). وفي بصائر الدرجات: عن عبد الله بن جعفر، عن محمد بن عيسى، عن الحسين ابن علي الوشا، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: قلت: " واولوا العلم قائما بالقسط " قال: الامام (٢). لآ إله إلا هو: كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء، فيبنى عليه قوله: العزيز الحكيم: فيعلم أنه الموصوف بهما.

وقدم " العزيز " لتقدم العلم بالقدرة على العلم بحكمته، ورفعهما على البدل من الضمير، أو الصفة لفاعل " شهد " وقد ذكر في أول الفاتحة ماروي في فضل هذه الآية عن النبي (صلى الله عليه وآله). وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى محمد بن عثمان العمري (رحمه الله) قال: لما ولد الخلف المهدي (صلوات الله عليه) سطع نور من فوق رأسه إلى عنان السماء، ثم سقط لوجهه ساجدا لربه تعالى ذكره، ثم رفع رأسه وهو يقول: " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة " إلى آخر الآية (٣). وفى اصول الكافي: علي بن محمد، عن عبد الله بن إسحاق العلوي، عن محمد بن زيد الرزامي، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث طويل يذكر فيه (عليه السلام) مواليد الائمة (صلوات الله عليهم) وفيه يقول (عليه السلام): وإذا وقع من بطن امه، وقع واضعا يديه على الارض رافعا رأسه إلى السماء، فأما وضعه يديه على الارض فإنه يقبض كل علم الله أنزله من السماء إلى الارض. وأما رفعه رأسه إلى السماء فإن مناديا ينادي من بطنان العرش من قبل رب العزة من الافق الاعلى باسمه واسم أبيه يقول: يا فلان بن فلان أثبت تثبت، فلعظيم ما خلقتك، أنت صفوتي من خلقي

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٦ ح ١٩. (٢) تفسير نور الثقلين: ج ١ ص ٣٢٣ ح ١٩ سورة آل عمران، نقلا عن بصائر الدرجات. (٣) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٤٣٣ الباب الثاني والاربعون ح ١٣. (*)

---

[٤١]

[إن الدين عند الله الاسلم وما اختلف الذين أو توا الكتب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بايت الله فإن الله سريع الحساب (١٩)] وموضع سري وعيبة علمي وأميني على وحيي وخليفتي في أرضي. لك ولمن تولاك أو جبت رحمتي، ومنحت جناني، وأحللت جواري. ثم وعزتي وجلالي لاصلين من عاداك أشد عذابي، وإن وسعت عليه في دنياي من سعة رزقي. فإذا انقضى الصوت – صوت المنادي – أجابه هو واضعا يديه رافعا رأسه إلى السماء، يقول: " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم " فإذا قال ذلك أعطاه الله العلم الاول والعلم الآخر واستحق زيادة الروح في ليلة القدر (١). إن الدين عند الله الاسلم: جملة مستأنفة مؤكدة للاولى، أي لا دين مرضي عند الله، إلا الاسلام وهو التوحيد والتورع بالشرع الذي جاء به محمد (صلى الله عليه وآله) الذي لا يتم إلا بالولاية يدل على ذلك ما رواه الشيخ الطوسي

(رحمه الله) في أماليه قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن النعمان (رحمه الله)، قال: حدثنا الشيخ أحمد بن محمد بن الحسن [بن الحسن بن الوليد قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا محمد ابن الحسن] الصفار (رحمه الله) عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن المفضل بن عمر، عن الصادق (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): اعطيت تسعا، لم يعطها أحد قبلي سوى رسول الله (صلى الله عليه وآله) لقد فتحت لي السبل، وعلمت المنايا والبلايا والانساب وفصل الخطاب، ولقد نظرت إلى الملكوت بإذن ربي فما غاب عني ما كان قبلي ولا ما يأتي بعدي، فإن بولايتي أكمل الله لهذه الامة دينهم وأتم عليهم النعم ورضي لهم الاسلام، إذ يقول

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٣٨٥ كتاب الحجة، باب مواليد الائمة، قطعة من ح ١. (*)

يوم الولاية لمحمد (صلى الله عليه وآله): يا محمد أخبرهم أني أكملت لهم اليوم دينهم وأتممت عليهم النعم ورضيت إسلامهم، كل ذلك من الله [به] علي، فلله الحمد (١). ولا فرق بينه وبين الايمان في المتعلق، وإنما الفرق بأنه يقال له الايمان: بعد رسوخه ودخوله في القلب، وقبل ذلك يسمى إسلاما. يدل على ذلك ما رواه في اصول الكافي، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عمن ذكره، عن يونس بن يعقوب، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): إن الاسلام قبل الايمان، وعليه يتوارثون ويتناكحون، والايمان عليه يثابون (٢). وما رواه عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى، عن أحمد ابن محمد جميعا، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر (عليه السلام (قال: سمعته يقول: الاسلام لا يشرك الايمان، والايمان يشرك الاسلام، وهما في القول والفعل يجتمعان، كما صارت الكعبة في المسجد والمسجد ليس في الكعبة، وكذلك الايمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان، وقد قال الله عز وجل " قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم " فقول الله عز وجل أصدق القول والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة (٣). وفي الآية دلالة على ذلك، حيث أفادت أن ليس دينا مرضيا عند الله سوى الاسلام. ولو كان الاسلام أعم، بمعنى أن الاسلام كان عبارة عن الاقرار بالتوحيد والنبوة، والايمان عبارة عنهما و عن الاقرار بالولاية لكان الاقراران بدون الولاية دينا مرضيا عنده، وليس كذلك بالاتفاق منا.

---

(١) أما لي الشيخ الطوسي: ج ١ ص ٢٠٨ ح ١. (٢) الكافي: ج ١ ص ١٧٣ كتاب الحجة، باب الاضطرار إلى الحجة، قطعة من ح ٤. (٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٦ كتاب الايمان والكفر، باب أن الايمان يشرك الاسلام.. قطعة من ح ٥. (*)

لا يقال: الآية دلت على أن الدين المرضي مما يصدق عليه الاسلام، ولم يدل على أن كل إسلام دين مرضي، فلعل ذلك باعتبار بعض أفراده. وأيضا يكفي في كونه مرضيا، كونه مما يحقن به الدم وترتب بعض الاحكام عليه ولا يلزم كونه مما يثاب عليه ويصير سبب نجاة في الآخرة. لانا نقول: في الجواب عن الاول: إن تعريف جزئي الجملة يفيد انحصار كل منهما في صاحبه كما حقق في موضعه، فيفيد أن الاسلام لا يكون دينا غير مرضي أصلا. وعن الثاني: أن المتبادر الصريح من كونه مرضيا عند الله كونه مما يثيب عليه في الآخرة. وأما كونه مرضيا بالمعنى الذي ذكرته فمما لا ينقاد له الذهن، فلا يحمل عليه بوجه. وقرأ الكسائي بالفتح على أنه بدل " أنه ". وقرئ " إنه " بالكسر، و " أن " بالفتح على وقوع الفعل على الثاني وإعتراض ما بينهما. أو إجزاء " شهد " مجرى قال تارة، وعلم اخرى، لتضمنه معناهما. وما اختلف الذين أو توا الكتب: في دين الاسلام، فقال قوم: حق، وقال قوم: مخصوص بالعرب، ونفاه آخرون مطلقا. أو في التوحيد، فثلث النصارى، وقالت اليهود: عزير بن الله. " والذين اوتوا الكتاب " أصحاب الكتب المتقدمة، وقيل: اليهود والنصارى، وقيل: هم قوم موسى اختلفوا بعده، وقيل: هم النصارى اختلفوا في أمر عيسى. إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيابينهم: أي من بعد ما جائهم الآيات الموجبة للعلم. ومن يكفر بايت الله فإن الله سريع الحساب: وعيد لمن كفر منهم. وفي الاية دلالة على كفر من تمكن من العلم بدين الحق، وأنكر، وإن لم يحصل له العلم باعتبار تهاونه. وبذلك يظهر كفر من سمع من أهل السنة من أهل تقليدهم، أن دينا غير دينهم موجود يتدين به غيرهم، وتهاون في تحصل العلم مع تمكنه منه.

فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتب والاميين ءاسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلغ والله بصير بالعباد إن الذين يكفرون بايت ويقتلون النبين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم فإن حاجوك: في الدين بعد إقامة الحجج وجاد لوك عنادا فقل أسلمت وجهى لله: أخلصت له نفسي، لا أشرك فيها أحدا. وعبر بالوجه لانه أشرف الاعضاء الظاهرة، ومظهر القوى المدركة. ومن اتبعن: عطف على الضمير المرفوع للفصل، أو مفعول معه. وقل للذين أوتوا الكتب والاميين: الذين لا كتا ب لهم، كمشركي العرب. ءأسلمتم: كما أسلمت بعد إقامة الحجة، أم أنتم باقون على كفركم. وفيه تعيير لهم بالبلادة، أو المعاندة. فإن أسلموا فقد اهتدوا: فقد انتفعوا بالهداية. وإن تولوا فإنما عليك البلغ: فلم يضروك، إذ ما عليك إلا التبليغ، وقد بلغت. والله بصير بالعباد: وعد للنبي (صلى الله عليه وآله) وللمؤمنين، ووعيد للمتولين. إن الذين يكفرون بايت الله ويقتلون النبين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم: هم أهل

[أولئك الذين حبطت أعملهم في الدنيا والاخرة وما لهم من نصرين (٢٢)] الكتاب الذين في عصره. قتل أولوهم الانبياء ومتابعيهم ومشايعيهم ورضوا به. وقصدوا قتل النبي والمؤمنين، ولكن الله عصمهم. ونقل أن بني إسرائيل قتلوا ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة رجل واثنى عشر رجلا من عباد بني إسرائيل، فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فقتلوا جميعا من آخر النهار (١). وقرأ حمزة: يقاتلون الذين (٢). فبشرهم: خبر المبتدأ، ودخول الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط. ويمنع سيبويه دخول الفاء في خبر إن ك " ليت ولعل ولذلك " قبل الخبر. أولئك الذين حبطت أعملهم في الدنيا والاخرة: كقولك: زيد - فافهم - رجل صالح. وبينه وبينهما فرق فإنها لا تغير معنى الجملة، بخلافهما. وقد دخلت الفاء في خبر " إن " في قوله: " إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم " (٣). وما لهم من نصرين: في الدنيا يدفع عنهم الخزي واللعن، وفي الآخرة يدفع عنهم العذاب. وفي إيراد الجمع إشعار بأن خزيهم وعذابهم عظيم على تقدير وجود الناصرين، لا يمكن لواحد منهم دفعه. وفي كتاب الخصال: عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال: قال رسول الله

---

(١) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٤٢٣ بيان المعنى لاية ٢١ من سورة آل عمران. (٢) أنوار

التنزيل: ج ١ ص ١٥٣ في تفسير آية ٢١ من سورة آل عمران. (٣) الجمعة: ٨. (*)

---

[٤٦]

(٤١/٣)

[ألم تر إلى الذين أو توا نصيبا من الكتب يدعون إلى كتب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون (٢٣)] (صلى الله وعليه وآله): لن يعمل ابن آدم عملا أعظم عند الله تبارك وتعالى من رجل قتل نبيا أو إماما، أو هدم الكعبة التي جعلها الله تعالى قبلة لعباده، أو أفرغ ماءه في امرأة حراما (١). وفيه: فيما علم أمير المؤمنين (عليه السلام) أصحابه: إحذروا السفلة، فإن السفلة من لا يخاف الله، فيهم قتله الانبياء وهم أعداؤنا (٢). وفي اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن يونس بن ظبيان قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله: " إن الله عز وجل يقول: ويل للذين يجتلبون الدنيا بالدين، وويل للذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وويل للذين يسير المؤمن فيهم بالتقية. أبي يغترون، أم علي يجترؤون، فبي حلفت لا تيحن لهم فتنة تترك الحليم منهم حيرانا " (٣). ألم تر إلى الذين أو توا نصيبا: أي حظا وافيا، والتنكير للتعظيم. من الكتب: أي التوراة، أو جنس الكتب السماوية، و " من " للتبعيض، أوللتبيين. يدعون إلى كتب الله ليحكم بينهم: أي يدعوهم محمد إلى القرآن، ليحكم

---

(١) الخصال: ص ١٢٠ باب الثلاثة لن يعمل ابن آدم عملا أعظم عند الله عز وجل من ثلاثة، ح ١٠٩. (٢) الخصال: ص ٦٣٥ باب علم أمير المؤمنين أصحابه في مجلس واحد أربعمائة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه، قطعه من ح ١٠. (٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٩٩ كتاب الايمان والكفر، باب اختتال الدنيا بالدين، ح ١ وفيه: " يختلون " بدل " يجتلبون ". (*)

---

[٤٧]

(٤٢/٣)

[ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلآ أياما معدودت وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون (٢٤) فكيف إذا جمعنهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون (٢٥)] بينهم، أو التوراة. لما نقل أنه (عليه السلام) دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت ؟ فقال: على دين إبراهيم، فقال له نعيم: إن إبراهيم كان يهوديا، فقال هلموا إلى التوارة ليحكم بيننا وبينكم، فأبيا (١). وقيل: نزلت في الرجم، وقد اختلفوا فيه. وقرئ " ليحكم " على البناء [للمفعول] فيكون الاختلاف فيما بينهم. ثم يتولى فريق منهم: استبعاد لتوليهم مع علمهم بأن الرجوع إليه واجب. وهم معرضون: حال من " فريق " لتخصيصه بالصفة، أي وهم قوم عادتهم الاعراض عن الحق، وهو نهاية التقريع. ذلك: أي الاعراض. بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودت: بسبب تسهيلهم أمر العذاب. وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون: من قولهم السابق، أو أن آبائهم الانبياء يشفعون لهم، أو أنه تعالى وعد يعقوب أن لا يعذب أولاده. إلا تحلة القسم، وتكرير الكذب والافتراء يصيره في صورة الصدق عند قائله ومفتريه. فكيف إذا جمعنهم ليوم لا ريب فيه: تكذيب لقولهم: " لن تمسنا النار إلا أياما " ولغرورهم بما كانوا يفترون.

---

(١) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٤ في تفسير آية ٢٢ من سورة آل عمران. (*)

[قل اللهم ملك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيديك الخير إنك على كل شئ قدير (٢٦)] ووفيت كل نفس ما كسبت: جزاء ما كسبت. قال البيضاوي: وفيه دليل على أن العبادة لا تحبط، وأن المؤمن لا يخلد في النار، لان توفية إيمانه وعمله لا يكون في النار، ولا قبل دخولها، فإذن هي بعد الخلاص (١). ويرد عليه في الاول. أنه على تقدير الاحباط يصدق على النفس المحسنة التي أحبطت حسنته بالسيئة التي صدرت عنها، أنها وفيت ما كسبت، بمعنى أنها لحسنتها لم تعاقب بالسيئة التي صدرت عنها. وفي الثاني: أنه يمكن توفية إيمانه وعمله في النار، بأن يخفف عذابه عن قدر ما ينبغي لسيئته، لايمانه وعمله. والتحقيق: أن المؤمن يعني الموالي اللائمة (عليهم السلام) لا يدخل النار، وغيره يدخل ولا يخرج، ومناط الايمان ما جعله الله ورسوله إيمانا، لا ما جعله كل حزب إيمانا وعده عملا صالحا. فكم من يعد نفسه مؤمنا، وهو مؤمن بنفسه وهواه، وكم ممن يعد نفسه مواليا، وهو يوالي الشيطان. وهم لا يظلمون: الضمير لـ " كل نفس " على المعنى، لانه في معنى كل إنسان. قل اللهم: الميم عوض عن

حرف النداء، ولذلك لا يجتمعان، وقد وقع في الشعر ضرورة (٢).

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١ ص ١٥٤ في تفسيره لآية ٢٥ من سورة آل عمران. (٢) كقول امية بن أبي الصلت: (*)

وهو من خصائص هذا الاسم، كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته، وتاء القسم. وقيل: أصله يا الله آمنا بخير، فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته. ملك الملك: على الحقيقة، وهو صفة لله. وعند سيبويه نداء ثان، فإن الميم عنده يمنع الوصفية. تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء: أي تعطي منها ما تشاء من تشاء وتسترد، فالملك الاول عام والاخيران بعضان منه. وقيل: المراد بالملك النبوة، ونزعها نقلها من قوم إلى قوم. وفي روضة الكافي: بإسناده إلى عبد الاعلى مولى آل سام، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: " قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء " أليس قد آتى الله عز وجل بني امية الملك ؟ قال: ليس حيث تذهب، إن الله عز وجل آتانا الملك وأخذته بنوامية بمنزلة الرجل يكون له الثوب فيأخذه الآخر، فليس هو للذي أخذه (١). فالمراد بإيتاء الملك بناء على هذا الخبر، جعل الملك لاحد وجعله جائز التصرف فيه، لا التسليط على الملك كما يتوهم بعض الاوهام وذهب إليه، وهو مولى آل سام. وهو الآن لمن جعل الله الملك له وجعله قائما فيه. وتعز من تشاء وتذل من تشاء: في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان. بيدك الخير: أي ما هو فعلك خير والشر مما يرجع إلينا مع كون الشر مقدورا لك أيضا.

إني إذا ما حدث ألما * أقول: يا اللهم يا اللهما (شرح ابن عقيل: ج ٢ ص ٢٦٥ شاهد " ٣١٠ ")

(١) الكافي: ج ٨ ص ٢٦٦ ح ٣٨٩. (*)

إنك على كل شئ قدير: خيرا كان أو شرا، لكن ما يصدر عن يدك وقدرتك، هو الخير، هذا. وقال البيضاوي: ذكر الخير وحده ؟ لانه المقضي بالذات، والشر مقضي بالعرض، إذا لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا، أو لمراعاة الادب في الخطاب أو لان الكلام وقع فيه، إذ روي أنه (عليه السلام) لما خط الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون، فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيه المعاول، فوجهوا سلمان إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بخبره، فجاء فأخذ المعول منه، فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق إضاء ما بين لا بتيها، لكأن [بها] مصباحا في جوف لبلة (١)، فكبر وكبر معه المسلمون، وقال: أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب، ثم ضرب الثانية فقال: أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم، ثم ضرب الثالثة فقال: أضاءت لي قصور صنعاء، وأخبرني جبرائيل أن امتي ظاهرة على كلها، فأبشروا، فقال المنافقون: ألا تتعجبون ؟ ! يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة [ومدائن كسرى] وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق من الفرق، فنزلت. ونبه على أن الشر أيضا بيده، بقوله: " إنك على كل شئ قدير " (٢) انتهى كلامه. وهذا بناء على زعمه الكاسد مما ذهب إليه الاشعرية: من أن الخير والشر كليهما من أفعال الله تعالى، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. بل ما يصدر عنه تعالى مما ظاهره الشر من التعذيب والخزي والاماتة والتمريض وغير ذلك فهو خير في الواقع وحسن بالنظر إلى مصالحه وحكمه، كيف والشر قبيح يقبح صدوره عنه تعالى. * * *

---

(١) في المصدر: في جوف بيت مظلم. (٢) أنوار التنزيل واسرار التأويل: ج ١ ص ١٥٤ – ١٥٥ سورة آل عمران في تفسيره لآية الملك. (*)

[تولج الليل في النار وتولج النهار في اليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب (٢٧)] تولج الليل في النار وتولج النهار في اليل: أي تزيد في النهار وتنقص من الليل، وبالعكس، أو تعقب أحد هما الآخر، والولوج: الدخول في مضيق. وفي كتاب الاهليلجة، قال: الصادق (عليه السلام): بعد أن ذكر الليل والنهار يلج أحد هما في الآخر، ينتهي كل واحد منهما إلى غاية معروفة محدودة في الطول والعرض على مرتبة ومجرى واحد (١). وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى: تنشئ الحيوانات من موادها وتميتها، أو تخرج الحيوان من النطفة والنطفة منه، أو تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن. وفي كتاب معاني الاخبار:

وسئل الحسن بن علي بن محمد (عليهم السلام) عن الموت ما هو ؟ فقال: هو التصديق بما لا يكون. حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن الصادق (عليه السلام) قال: إن المؤمن إذا مات لم يكن ميتا، فإن الميت هو الكافر، إن الله عز وجل يقول: " يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي " يعني المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن (٢). وفي مجمع البيان " وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي " قيل: معناه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله

---

(١) بحار الانوار: ج ٣ ص ١٦٥ كتاب التوحيد، باب ٥ الخبر المروي عن المفضل بن عمر في التوحيد المشتهر بالاهليلجة. (٢) معاني الاخبار: ص ٢٩٠ باب معنى الموت ح ١٠. (*)

[لا يتخذ المؤمنون الكفرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ إلآ أن تتقوا منهم تقة ويحذر كم الله نفسه وإلى الله المصير (٢٨)] (عليهما السلام) (١). وقرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو بكر (الميت) بالتخفيف (٢). وترزق من تشاء بغير حساب: في مهج الدعوات عن أسماء بنت زيد قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اسم الله الاعظم الذي إذا دعي به اجاب " قل اللهم مالك الملك " إلى " بغير حساب " (٣). وقد مر في أول الفاتحة ما يدل على فضال هذه الآية أيضا. لا يتخذ المؤمنون الكفرين أولياء: نهي عن موالاتهم والاستعانة بهم. من دون المؤمنين: في موضع الصفة لـ " أولياء " أو الحال إن جوزت عن النكرة، والمعنى: أنهم لا يتخذوهم أولياء بدل المؤمنين، فيكون إشارة إلى أن المؤمنين أحقاء بالموالاة، وفي موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة، فإن الله ولي الذين آمنوا. ومن يفعل ذلك: أي اتخاذ الكافرين أولياء. فليس من الله في شئ: من الولاية، لانه ترك موالاة المؤمنين الذين وليهم الله، ووالى عدواله. إلا أن تتقوا منهم تقة: أي لا يجوز موالاتهم في شئ من الاحوال إلا في

---

(١) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٤٢٨ في بيان معنى آية الملك من سورة آل عمران. (٢) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٥ في تفسير لاية ٢٧ من سورة آل عمران. (٣) مهج الدعوات ومنهج العبادات: ص ٣١٧ (ط إيران ١٣٢٣) ومن ذلك ما نذكره في تعيين الاسم الاعظم. (*)

حالة أن تتقوا منهم، أي تخافوا من جهتهم. و " تقاة " مصدر، اما بمعنى ما يجب اتقاءة فيكون مفعولا به، أو بمعناه فيكون مفعولا مطلقا، والفعل معدى بـ (من) لانه في معنى تحذروا وتخافوا. وقرأ يعقوب: (تقية) (١). وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل يقول فيه لبعض اليونانيين: وامرك أن تستعمل التقية في دينك، فإن الله يقول: " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ إلا أن تتقوا منهم تقاة " وإياك ثم إياك أن تتعرض للهلاك وأن تترك التقية التي أمرتك بها فإنك شائط بدمك ودماء إخوانك معرض لنعمك ولنعمهم للزوال مذلهم في أيدي أعداء الله وقد امرك بإعزازهم (٢). وفي تفسير العياشي: عن الحسين بن زيد بن علي، عن جعفر نب محمد (عليهما السلام) [عن أبيه عليه السلام] قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: لا إيمان لمن لا تقية له، ويقول: فإن الله يقول: " إلا أن تتقوا منهم تقاة " (٣). وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم: عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن اذينة، عن إسماعيل الجعفي، ومعمر بن يحيى بن بسام، ومحمد بن مسلم وزرارة قالوا: سمعنا أبا جعفر (عليه السلام) يقول: التقية في كل شئ يضطر إليه ابن آدم فقد أحله الله له (٤). علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن ابن مسكان، عن حريز، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: التقية ترس الله بينه وبين خلقه (٥). ويحذركم الله نفسه: في موالاة الكفار من غير ضرورة، وترك التقية في

---

(١) أنوار التنزيل ج ١ ص ١٥٥ في تفسير لآية ٢٨ من سورة آل عمران. (٢) الاحتجاج: ص ٢٣٩ احتجاجه على من قال: بزوال الادواء بمداوات الاطباء.. ط. بيروت. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٦ ح ٢٤. (٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٢٠ كتاب الايمان والكفر، باب التقية، ح ١٨. (٥) الكافي: ج ٢ ص ٢٢٠ كتاب الايمان والكفر، باب التقية، ح ١٩.

[قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم مافى السموت و ما في الارض والله على كل شئ قدير (٢٩) يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد (٣٠)] حال الضرورة. وذكر النفس ليعلم أن المحذور منه عقاب [يصدر] منه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح. وإلى الله المصير: تأكيد للتهديد. وإتيان الظاهر موضع الضمير، للمبالغة. قل إن تخفوا ما في صدور كم أو تبدوه يعلمه الله: يعلم السر منكم والعن. ويعلم ما في السموت وما في الارض: فيعلم ما تضمرونه وما تخفونه. والله على كل شئ قدير: فيقدر على تعذيبكم وخزيكم إن لم تنتهوا عن ما نهيتم عنه. يوم: منصوب بـ " تود " أو اذكر، مضاف إلى. تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا: أي تجد صحائف أعمالها، أو جزاء أعمالها، من الخير حاضرا. وما عملت من سوء: أي محضرا. تود: حال على تقدير تعلق " يوم " باذكر، من الضمير في عملت أو خبر لـ " ما علمت من سوء "، و " تجد " مقصور على " ما عملت من خير ". ولا تكون " ما " شرطية لارتفاع " تود ". وقرئ: " ودت " وعلى هذا يحتمل أن تكون " ما " شرطية. لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا: بتأويل المصدر، مفعول " تود " أي تود كون

[قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (٣١)] الامد البعيد بينها وبين عملها. ويحذركم الله نفسه: التكرير للتأكيد. والله رءوف بالعباد: إشارة إلى أن النهي للرأفة، رعاية لمصالحهم، وأنه لذو مغفرة وذو عقاب فيجب أن ترجى رحمته ويخش عقابه. قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني: المحبة ميل النفس إلى الشئ لكمال أدرك فيه بحيث يحملها على ما يقربها إليه. ومحبة العباد مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره، ورغبتهم فيها، وهي مستلزمة لاتباع الرسول في جميع ما جاء به، ومن جملته بل العمدة فيه اتباع الائمة (عليهم السلام). يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم: جواب للامر، أي يرضى عنكم ويتجاوز عن ذنوبكم، عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة، أو المقابلة. وفي روضة الكافي: بإسناده إلى أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث طويل يقول: فيه: ومن سره أن يعلم أن الله يحبه، فليعمل بطاعة الله وليتبعنا، ألم يسمع قول الله عز وجل لنبيه (صلى الله عليه وآله): " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم " والله لا يطيع الله عبد أبدا إلا أدخل الله عليه في طاعته اتباعنا، ولا

والله لا يتبعنا عبد أبدا إلا أحبه الله، ولا والله ولا يدع أحد اتباعنا أبدا إلا أبغضنا، ولا والله لا يبغضنا أحد أبدا إلا عصى الله، ومن كان عاصيا لله أخزاه، وأكبه على وجهه في النار والحمد لله رب العالمين (١). وفيها خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) وهي خطبة الوسيلة، يقول فيها (عليه

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ١٤ رسالة أبي عبد الله إلى جماعة الشيعة، آخر ح ١ وفيه: ومن مات عاصيا. (*)

السلام) بعد أن ذكر النبي (صلى الله عليه وآله): فقال تبارك وتعالى في التحريض على اتباعه والترغيب في تصديقه والقبول لدعوته: " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم " فاتباعه (صلى الله عليه وآله) محبة الله، ورضاه غفران الذنوب وكمال الفوز ووجوب الجنة (١). علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إني لارجو النجاة لمن عرف حقنا من هذه الامة، إلا لاحد ثلاثة: صاحب سلطان جائر، وصاحب هوى، والفاسق المعلن، ثم تلا: " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله " ثم قال: يا حفص الحب أفضل من الخوف، ثم قال: والله ما أحب [الله] من أحب الدنيا ووالى غيرنا. ومن عرف حقنا وأحبنا فقد أحب الله تبارك وتعالى (٢). وفي كتاب الخصال: عن سعيد بن يسار قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): هل الدين إلا الحب ؟ إن الله تعالى يقول: " إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله " (٣). وعن يونس بن ظبيان قال: قال الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام): إن الناس يعبدون الله تعالى على ثلاثة أوجه: فطبقة يعبدونه رغبة في ثوابه فتلك عبادة الحرصاء وهو الطمع، وآخرون يعبدون فرقا من النار فتلك عبادة العبيد وهي الرهبة، ولكني أعبده حبا له فتلك عبادة الكرام وهو الامن لقوله تعالى: " وهم من فزع يومئذ آمنون " (٤) ولقوله تعالى: " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فمن أحب الله أحبه الله ومن أحبه الله كان من الآمنين (٥). وفي تفسير العياشي: عن زياد، عن أبي عبيدة الحذاء قال: دخلت على أبي

---

(١) الكافي: ٨ ص ٢٦ خطبة الوسيلة لأمير المؤمنين (عليه السلام). (٢) الكافي: ج ٨ ص ١٢٨ ح ٩٨. (٣) الخصال: ص ٢١ باب الواحد (الدين هو الحب) ح ٧٤. (٤) النمل: ٨٩. (٥) الخصال: ص ١٨٨ باب الثلاثة (الناس يعبدون الله عز وجل على ثلاثة أوجه) ح ٢٥٩. (*)

---

[٥٧]

جعفر (عليه السلام) فقلت: بأبي أنت وأمي ربما خلا بي الشيطان فخشيت نفسي، ثم ذكرت حبي إياكم وانقطاعي إليكم فطابت نفسي، فقال: يا زياد ويحك وما الدين إلا الحب ألا ترى إلى قول الله تعالى: " إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله " (١). وعن بشير الدهقان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قد عرفتم في منكرين كثير واحببتم في مبغضين كثير وقد يكون حبا لله في الله ورسوله، وحبا في الدنيا، فما كان في الله ورسوله فثوابه على الله، وما كان في الدنيا فليس شئ، ثم نفض يده، ثم قال: إن هذه المرجئة (٢) وهذه القدرية (٣) وهذه الخوارج (٤) ليس منهم أحد إلا يرى أنه على الحق، وأنكم إنما أحببتمونا في الله، ثم تلا: " اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم " (٥) " وما أتاكم الرسول فخذوه وما نها كم عنه فاتهوا " (٦) " ومن يطع الرسول فقد أطاع الله " (٧) " إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله " (٨).

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٧ ح ٢٥. (٢) المرجئة بالميم ثم بالراء ثم بالهمزة بغير تشديد من الارجاء بمعنى التأخير، عند أكثر اللغويين، وبالياء بدل الهمزة من غير تشديد أيضا، وقد وقع الخلاف في تفسير اللفظة، فقيل: هم فرقة من المسلمين يقولون: الايمان قول بلا عمل، كأنهم قدموا القول وأرجئوا العمل، أي أخروه لانهم يريدون أنهم لو لم يصلوا ولم يصوموا لنجاهم إيمانهم. وقيل: هم فرقة من المسلمين يعتقدون أنه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة (تنقيح المقال: ج ٣ في عد المذاهب الفاسدة ص ٨٦). (٣) القدرية وهم على ما في المجمع وغيره المنسوبون إلى القدر، يزعمون أن كل عبد خالق فعله، ولا يرون المعاصي والكفر بتقدير الله ومشيئته، فنسبوا إلى القدر، لانه بدعتهم وضلالتهم، وفي شرح المواقف قيل: القدرية هم المعتزلة، لاسناد أفعالهم إلى قدرتهم. في الحديث: لا يدخل الجنة قدري، وهو الذي يقول: لا يكون ما شاء الله ويكون ما شاء إبليس انتهى، وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) إن القدري مجوس هذه الامة.

(تنقيح المقال: ج ٣ في عد المذاهب الفاسدة ص ٨٦). (٤) وهم فرقة من فرق الاسلام، سموا خوارج لخروجهم على علي (عليه السلام). ذكر المؤرخون أنه. (عليه السلام) قتل منهم يوم النهروان ألفي نفس (مجمع البحرين: لغة خرج). (٥) النساء: ٥٩. (٦) الحشر: ٧. (٧) النساء: ٨٠. (٨) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٧ ح ٢٦. (*)

وعن بريد بن معاوية، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: والله لو أحبنا حجر حشره الله معنا، وهل الدين إلا الحب ؟ إن الله يقول: " إن كنتم تحبون الله فا تبعوني يحببكم الله " وقال: " يحبون من هاجر إليهم " (١) وهل الدين إلا الحب (٢). وعن ربعى بن عبد الله قال: قيل لابي عبد الله (عليه السلام) جعلت فداك، انا نسمي بأسمائكم وأسماء آبائكم، فينفعنا ذلك ؟ فقال: اي والله، وهل الدين إلا الحب، قال الله تعالى: " إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم " (٣). والله غفور رحيم: لمن تحبب إليه بطاعته واتباع رسوله (صلى الله عليه وآله). قال البيضاوي: روي أنها نزلت لما قالت اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقيل: نزلت في وفد نجران لما قالوا: إنا نعبد المسيح حبا لله، وقيل: في أقوام زعموا على عهده (عليه السلام) أنهم يحبون الله، فامروا أن يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل (٤). ولنعم ما قال صاحب الكشاف هنا: وإذ رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر (٥) ويصعق، فلا تشك في أنه لا يعرف ما الله، ولا يدري مامحبة الله، وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته (٦) إلا أنه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة، فسماها الله بجهله ودعارته، ثم صفق وطرب ونعر

---

(١) الحشر: ٩. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٧، قطعة من ح ٢٧. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٧ ح ٢٨. (٤) انوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١ ص ١٥٦ في تفسيره لقوله تعالى " إن كنتم تحبون الله فا تبعوني " من سورة آل عمران. (٥) النعرة: صوت في الخيشوم، قال الراجز: إني ورب الكعبة المستورة * والنعرات من أبي محذورة يعني آذانه، ونعر الرجل ينعر نعيرا (لسان العرب: ج ٥ ص ٢٢٠ لغة نعر). (٦) يقال: صعق الرجل صعقة، أي غشى عليه من صوت يسمعه كالهدة الشديدة (لسان العرب: ج ١٠ ص ١٩٨ لغة صعق). (*)

[قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكفرين (٣٢) * إن الله اصطفئ ادم ونوحا وءال إبرهيم وءال عمرن على العلمين (٣٣)] وصعق على تصورها، وربما رأيت المني قد ملا ازار ذلك المحب عند صعقته، وحمقى العامة على حواليه قد ملؤا أدرانهم (١) بالدموع رقتهم من حاله قال: احب ابا ثروان من حب تمرة * واعلم ان الرفق بالجار ارفق ووالله لو لا تمره ما حببته * ولا كان أدنى من عبيد ومشرق (٢) قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا: يحتمل المضي والمضارعة، بمعنى فإن تتولوا. فإن الله لا يحب الكافرين: لا يرضى عنهم ولا يغفر لهم. ووضع المظهر موضع المضمر، لقصد العموم، والدلالة على أن التولي كفر، وأنه ينفي محبة الله، ومحبته مخصوصة بالمؤمنين. وفي الآية، مع ما ذكر من الاخبار في بيانها، دلالة صريحة على كفر من تولى عن الولاية، فتبصر. إن الله اصطفى: لما أوجب طاعة الرسول وأولاده الاوصياء، وبين أنها (١) الدرن بالتحريك: الوسخ وقد درن الثوب بالكسر درنا فهو درن (لسان العرب: ج ١٣ ص ١٥٣ لغة درن). (٢) لغيلان بن شجاع النهشلي، يقول: أحب هذا الرجل من أجل حب تمره، وأعلم أن الرفق بالجار أرفق منه بغيره، اي اشد رفقا، ويروي: ابا مروان، وفيه استعطاف لابي مروان وطلب الرفق منه بالشاعر. ولا كان أدنى، أي أقرب إلى من عبيد ومشرق، وهما ابناه (تلخيص من هامش الكشاف: ج ١ ص ٣٥٣). (*)

الجالبة لمحبة، عقب ذلك ببيان مناقب الرسل وآلهم الذين أوصياء الرسول منهم تحريضا عليها. ءادم ونوحا وءال إبرهيم: وآله: إسماعيل وإسحاق وأولادهما، ودخل فيهم الرسول (صلى الله عليه وآله) وأولاده الاوصياء (عليهم السلام). في مجمع البيان: إن آل إبراهيم هم آل محمد الذين هم أهله، ويحب أن يكون الذين اصطفاهم الله مطهرين معصومين منزهين عن القبائح، لانه سبحانه لا يختار ولا يصطفي إلا من كان كذلك، ويكون ظاهره مثل باطنه في الطهارة والعصمة، ثم قال: وهو المروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) (١). وفي تفسير العياشي، عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض " قال: نحن منهم ونحن بقية تلك العترة (٢). وفي شرح الآيات الباهرة: روى

الشيخ أبو جعفر الطوسي (رحمه الله) عن روح ابن رواح، عن رجاله، عن إبراهيم النخعي، عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقلت: يا أبا الحسن أخبرني بما أوصى إليك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ فقال: سأخبركم، إن الله اصطفى لكم الدين وارتضاه وأتم عليكم نعمته، وكنتم أحق بها وأهلها، وأن الله أوحى إلى نبيه أن يوصي إلي فقال النبي (صلى الله عليه وآله): يا علي احفظ وصيتي وارفع ذمامي واوف بعهدي وانجز عداتي [واقض ديني] وقومها واحيي سنتي وادع إلى ملتي، لان الله تعالى اصطفاني واختارني، فذكرت دعوة أخي موسى (عليه السلام) فقلت: اللهم اجعل لي وزيرا من أهلي كما جعلت هارون من موسى، فأوحى الله عز وجل إلي أن عليا وزيرك وناصرك والخليفة من بعدك، ثم يا علي أنت من أئمة

---

(١) مجمع البيان: ج ١ – ٢ ص ٤٣٣ في بيان معنى آيتي ٣٣ و ٣٤ من سورة آل عمران، والظاهر أن قوله: (وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام) لا علاقة له بما نقله أولا. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٨ ح ٢٩. (*)

الهدى وأولادك منك، فأنتم قادة الهدى والتقى والشجرة التي أنا أصلها وأنتم فرعها، فمن تمسك بها فقد نجا ومن تخلف عنها فقد هلك وهوى، وأنتم الذين أوجب الله تعالى مودتكم وولايتكم والذين ذكرهم الله في كتابه ووصفهم لعباده، فقال عز وجل من قائل: " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم " فأنتم صفوة الله من آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران، وأنتم الاسرة من إسماعيل والعترة الهادية من محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) (١). وفي عيون الاخبار في باب ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المأمون في الفرق بين العترة والامة في حديث طويل، وفيه: فقال المأمون: هل فضل الله العترة على سائر الناس ؟ فقال أبو الحسن (عليه السلام): إن الله تعالى أبان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه، فقال المأمون: أين ذلك من كتاب الله ؟ فقال الرضا (عليه السلام): في قوله تعالى: " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين " (٢). وءال عمرن: آله: موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر، وقيل: عيسى ومريم بنت عمران بن ثاثان، وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة (٣). وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال العالم (عليه السلام): نزل (آل إبراهيم وآل عمران وآل محمد على

العالمين) فأسقطوا آل محمد من الكتاب (٤) (٥).

---

(١) لا يوجد لدينا هذا الكتاب، ووجدناه في تفسير البرهان ج ١ سورة آل عمران ص ٢٧٩ ح ١٦ نقلا عن الامالي. (٢) عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢٣٠ باب ٢٣ ذكر مجلس الرضا مع المأمون. ح ١. (٣) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٦ – ١٥٧ في تفسير آية ٣٣ من سورة آل عمران. (٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٠ في تفسير آية " ان الله اصطفى آدم ونوحا. " الآية. (٥) سيأتي من المصنف انكار ان يكون اسقاط من القرآن أو زيادة فيه. وسنعرض له في تعاليق آتية. ونقول هنا: ان روايات هكذا، وبهذه الصراحة في وقوع التحريف في الكتاب العزيز، تخالف نص القرآن اولا. وصحيح الروايات ثانيا. قال تعالى: " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ". (*)

---

[٦٢]

وفي مجمع البيان: وفي قراءة أهل البيت (عليهم السلام): وآل محمد على العالمين (١). وفي تفسير العياشي عن هشام بن سالم قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: " إن الله اصطفى آدم ونوحا " فقال: هو آل إبراهيم وآل محمد على العالمين، فوضعوا اسما مكان اسم (٢) .(٣)

وقال: " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ". وفي رسالة ابي جعفر (عليه السلام) إلى سعد الخير: " وكان من نبذهم الكتاب ان اقاموا حروفه وحرفوا حدوده. " (الكافي: ج ٨ ص ٥٣ ح ١٦). فقد صرح الامام الباقر (عليه السلام) أنهم لم يمسوا حروفه وعباراته شيئا، وانما عمدوا إلى تأويله وتفسيره على غير الوجه. وهو تحريف بالمبنى. وكذلك في حديث أبي بصير مع الامام الصادق (عليه السلام) سأله عن السبب في عدم ذكر اهل البيت صريحا في القرآن، فاجابه الامام (عليه السلام) انه سبحانه انما ذكر في القرآن اصول الشريعة وكليات الاحكام، اما الفروع والجزئيات،

فموكول إلى بيان الرسول (صلى الله عليه وآله) يبينها للناس على سواء. فلو كان هناك تحريف في لفظ الكتاب لما صح هذا الجواب (الكافي: ج ١ ص ٢٨٦ ح ١). وعليه، فحيث دل صريح الكتاب وصحيح الروايات على عدم التحريف، فكل ما ورد على خلاف ذلك، فهو مردود على اهله، ويضرب به عرض الجدار. نعم لو احتمل تأويلا مقبولا اولناه ولو بعيدا، لانه اولى من الطرح مهما امكن. وقد حاول العلماء تأويل هكذا روايات إلى ارادة الاسقاط من التفسير، اي هكذا كانت الآية تفسر فغيروا تفسيرها إلى غر ذلك. على انا ذكرنا عند الكلام عن " صيانة القرآن من التحريف " ان هذا التفسير المشتهر بتفسير " علي بن إبراهيم القمي " ليس من تأليفه، وانما هو تأليف تلميذه " ابي الفضل العلوي " المجهول، وقد اهمله اصحاب التراجم. وهذا قد اخذ شطرا من املاءات القمي، واضاف إليه شطرا من تفسير ابي الجارود، الملعون المطرود، فمزج بينهما مزجا، وكانت حصيلته هذا التفسير الموجود اليوم، المنسوب إلى القمي نسبة غير صحيحة، وهو جفاء صريح. اذن فلا يمكن الاعتماد على روايات جاءت في هذا التأليف غير معلوم النسب. (١) مجمع البيان ج ١ - ٢ ص ٤٣٣ في بيان معنى آية ٣٣ من سورة آل عمران. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٨، سورة آل عمران، ح ٣٠. (٣) هذه الرواية ايضا

منقولة عن تفسير مقطوع الاسانيد، كان في اصله تفسيرا مسندا ذا اعتبار ووزن (*)

على العلمين: قيل: فيه دلالة ظاهرة على تفضليهم على الملائكة، وقد مر ما فيه في سورة البقرة. وفي كتاب الخصال: عن أبي الحسن الاول (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الله تبارك وتعالى اختار من كل شئ أربعة، إلى أن قال: واختار من البيوت أربعة فقال تعالى: " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين " (١). وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال في وصية له: يا علي، إن الله عز وجل أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين، صم اطلع الثانية فاختارك على رجال العالمين بعدي، ثم اطلع الثالثة فاختار الائمة من ولدك على رجال العالمين بعدك، ثم اطلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين. (٢). وفي عيون الاخبار: في باب مجلس الرضا (عليه السلام) عند المأمون مع أهل الملل والمقالات وما أجاب به علي بن محمد بن الجهم في عصمة الانبياء (صلوات الله عليهم) حديث طويل يقول فيه الرضا (عليه السلام): أما قوله عز وجل في آدم: " وعصى آدم ربه فغوى " فان الله عز وجل خلق

آدم حجة في أرضة وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم (عليه السلام) في الجنة لا في الارض، وعصمته يجب أن تكون في الارض لتتم مقادير أمر الله عز وجل، فلما اهبط إلى

(٦١/٣)

ثمين، لكن مع الاسف الشديد، عمد بعض من لا خبرة له إلى استنساخ هذا السفر القيم فاسقط اسناد رواياته طرا لغرض الاختصار أو لغاية اخرى اعقبت أسفا وضياعا مرا. وعلى اي حال، فان هذا الكتاب كسابقه (في التعليق المتقدم) ساقط عن درجة الاعتبار غير صالح للاستناد إليه، لانه مبتور مقطوع الاسانيد. وعلى فرض الصحة فالرواية محمولة على ارادة التفسير، والا فهي معارضة باصح منها سندا واظهر متنا ودلالة، فضلا عن معارضة الكتاب وصحيح الروايات. (١) الخصال: ص ٢٢٥ باب الاربعة إن الله " عز وجل " اختار من كل شئ أربعة، قطعة من ح ٥٨. (٢) الخصال: ص ٢٠٦ باب الاربعة الاطلاعات الاربع من الله عز وجل إلى الدنيا، ح ٢٥. (*)

---

[٦٤]

(٦٢/٣)

[ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم (٣٤) إذ قالت امرأت عمرن رب إنى نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل منى إنك أنت السميع العليم (٣٥)] الارض وجعل حجة وخليفة عصم لقوله عز وجل: " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين " (١). وفيه في باب مجلس آخر للرضا (عليه السلام) عند المأمون في عصمة الانبياء (عليهم السلام) حديث طويل وفيه يقول (عليه السلام): وكان ذلك من آدم قبل النبوة، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار، وانما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الانبياء قبل نزول الوحي عليهم، فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبيا كان معصوما لا يذنب صغيرة ولا كبيرة قال الله تعالى: " وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى " وقال عز وجل: " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين " (٢) ذرية بعضها من بعض: حال، أو بدل من الآلين، أو منهما ومن نوح. أي أنهم ذرية واحدة منشعبة بعضها من بعض، أو بعضها من بعض في الدين. والذرية: الولد،

فعلية من الذرء، أو فعولة من الذرء، ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت. وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى محمد بن الفضل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) في حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): فلما قضى محمد (صلى الله عليه وآله) نبوته واستكملت

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ١٩٢ باب ١٤. (٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ١٩٦ باب ١٥. (*)

أيامه، أوحى الله عز وجل إليه أن يا محمد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك فاجعل العلم الذي عندك والايمان والاسم الاكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة عند علي بن أبي طالب (عليه السلام) فإني لم أقطع العلم والايمان والاسم الاكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريتك كما لم أقطعها من بيوتات الانبياء الذين كانوا بينك وبين أبيك آدم. وذلك قوله عز وجل: " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم " (١). وفي روضة الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن محمد ابن الفضل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) مثله (٢). وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن إبراهيم، عن يونس، عن هشام [بن الحكم] في حديث بريه (٣) [أنه] لما جاء معه إلى أبي عبد الله (عيه السلام) فلقي أبا الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام)، فحكى له هشام الحكاية (٤)، فلما فرغ قال أبو الحسن لبريه: يا برية كيف علمك بكتابك ؟ قال: أنا به عالم، ثم قال: كيف ثقتك بتأويله ؟ قال: ما أو ثقني بعلمي فيه، قال: فابتدأ أبو الحسن (عليه السلام) يقرأ الانجيل، فقال برية: إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة، أو مثلك، قال: فقال: فآمن برويه وحسن إيمانه، وآمنت المرأة التي كانت معه. فدخل هشام وبريه والمرأة على أبي عبد الله (عليه السلام) فحكى له هشام الكلام الذي جرى بين أبي الحسن موسى (عليه السلام) وبين بريه، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): " ذرية

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ج ١ ص ٢١٧ الباب الثاني والعشرون، اتصال الوصية من لدن آدم (عليه السلام) وإن الارض لا تخلو من حجة ح ٢. (٢) الكافي: ج ٨ ص ١١٧ حديث آدم (عليه السلام) مع الشجرة، ح ٩٢. (٣) في بعض نسخ الكافي (بريهة) في المواضع كلها، وهو جاثليق من جثالقة النصارى، والحديث طويل وتمامه في كتاب التوحيد للصدوق (قدس سره): ص ٢٧٠ باب ٣٧ الرد على الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد ح ١، والبحار: ج ١٠ ص ٢٣٤ باب ١٦ احتجاجات موسى بن جعفر (عليه السلام)، ح ١. (٤) أي ما جرى بينه وبين بريهة من الاحتجاج. (*)

بعضها من بعض والله سميع عليم " فقال بريه: أنى لكم التوراة والانجيل وكتب الانبياء ؟ قال: هي عندنا وراثة من عندهم نقرأها كما قرأوها ونقولها كما قالوا: إن الله لا يجعل حجة في أرضه يسأل عن شئ، فيقول: لا أدري (١). وفي تفسير العياشي: عن أحمد بن محمد، عن الرضا، عن أبي جعفر (عليه السلام): من زعم أنه قد فرغ من الامر فقد كذب، لان المشيئة لله في خلقه يريد ما يشاء ويفعل ما يريد قال الله عز وجل: " ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم " آخرها من أولها وأولها من آخرها، فإذا اخبرتم بشئ منها بعينه أنه كائن وكان في غيره منه، فقد وقع الخبر على ما أخبرتم عنه (٢). أبو عمر والزبيري، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت [له]: ما الحجة في كتاب الله إن آل محمد هم أهل بيته ؟ قال: قول الله تبارك وتعالى: إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد هكذانزلت على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم. ولا يكون الذرية من القوم إلا نسلهم من أصلا بهم، وقال: اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور (٣) وآل عمران وآل محمد (٤). وفي كتاب المناقب لا بن شهر آشوب: أن عليا (عليه السلام) قال لابنه الحسن (عليه السلام): اجمع الناس، فاجتمعوا، فأقبل فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه وتشهد، ثم قال: أيها الناس إن الله اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه، وأنزل علينا كتابه ووحيه، وأيم الله لا ينقصنا أحد من حقنا شيئا إلا انتقصة الله من حقه في عاجل دنياه وآجل آخرته، ولا يكون علينا دولة إلا كانت لنا العاقبة " ولتعلمن نبأه بعد حين " (٥)، ثم نزل وجمع بالناس وبلغ أباه فقبل بين عينيه، ثم قال: بأبي وأمى " ذرية بعضها من بعض والله سميع

عليم " (٦).

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٢٧ كتاب الحجة، باب إن الائمة عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله (عز وجل). ح ١. (٢) تفسير العياشي. ح ١ ص ١٦٩ ح ٣٢. (٣) سبأ: ١٣. (٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٩ ح ٣٥. (٥) ص: ٨٨. (٦) مناقب آل طالب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١١ باب إمامة أبي محمد الحسن بن علي، فصل في علمه وفصاحته. (*)
---

[٦٧]

ومما جاء في معنى الاصطفاء ما رواه في شرح الآيات الباهرة عن الشيخ الطوسي " رحمه الله " قال: روى أبو جعفر القلانسي، قال: حدثنا الحسين بن الحسن، قال: حدثنا عمرو بن أبي المقدام، عن يونس بن حباب، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما بال أقوام إذا ذكروا آل إبراهيم وآل عمران استبشروا وإذا ذكروا آل محمد اشمأزت قلوبهم، والذي نفس محمد بيده لو أن أحدهم وافى بعمل سبعين نبيا يوم القيامة ما قبل الله منه حتى يوافي بولايتي وولاية علي بن أبي طالب (عليهما السلام) (١). وفي روضة الكافي: علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن علي بن حماد، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: " توقد من شجرة مباركة " فأصل الشجرة المباركة إبراهيم (عليه السلام) وهو قول الله عز وجل: " رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد " وهو قول الله عز وجل: " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم " (٢) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. وفي أمالي الصدوق (رحمه الله) بإسناده إلى أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال محمد بن أشعث بن قيس الكندي للحسين (عليه السلام): يا حسين بن فاطمة أية حرمة لك من رسول الله ليس لغيرك ؟ فتلا الحسين (عليه السلام) هذه الآية: " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض " الآية [

ثم] قال: والله إن محمدا لمن آل إبراهيم، والعترة الهادية لمن آل محمد (٣). والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. والله سميع عليم: بأقوال الناس وأعمالهم، فيصطفي من له المصلحة في اصطفائه.

---

(١) لا يوجد عندنا هذا الكتاب، ورواه الشيخ الطوسي في أماليه: ج ١ ص ١٤٠ الجزء الخامس، بسند آخر. (٢) الكافي: ج ٨ ص ٣٨١ تفسير آيات من القرآن ح ٥٧٤. (٣) الامالي للصدوق: ص ١٣٤ المجلس الثلاثون ح ١. (*)

قيل: أو " سميع بقول امرأة عمران " عليم " بنيتها. إذا قالت امرأت عمرن رب إني نذرت لك ما في بطني: فينتصب به " إذ " أو بإضمار اذكر. وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى. وأما ماروي في اصول الكافي: عن أحمد بن مهران وعلي بن إبراهيم جميعا، عن محمد بن علي، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) أنه قال لرجل نصراني: أما أم مريم فاسمها مرثا، وهي وهيبة بالعربية (١). فمحمول على تعدد الاسم، وسيأتي في الخبر: أن اسمها حنة. وقيل: كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم، أكبر من هارون وموسى وهو المراد، وزوجته. ويرده كفالة زكريا، فإنه كان معاصرا لا بن ما ثان، وتزوج ابنته ايشاع، وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الاب (٢). محررا: معتقا لخدمته لا أشغله بشئ، أو مخلصا للعبادة. ونصبه على الحال. نقل أنها كانت عاقرا عجوزا فبينا هي في ظل شجرة إذ رأت طائرا يطعم فرخه، فحنت إلى الولد وتمنته، فقالت: اللهم إن لك علي نذرا إن رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس، فيكون من خدمه، فحملت بمريم وهلك عمران. وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان، فلعلها بنت الامر على التقدير، أو طلب ذكرا (٣).

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٧٩ كتاب الحجة، باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام)، قطعة من ح ٤. (٢) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٧ تفسير آية ٣٥ من سورة آل عمران. (٣) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٧ تفسير آية ٣٥ من سورة آل عمران. (*)

[فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثا والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثا وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطن الرجيم (٣٦)] فتقبل منى: ما نذرته. إنك أنت السميع: لقولي. العليم: بنيتي. فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى: الضمير لما في بطنها، وأنثه لانه كان مؤنثا، أو لان انثى حال عنه، والحال وصاحبها واحد بالذات، أو على تأويل مؤنث كالنفس، ولفظه خبر، ومعناه تحسر. والله أعلم بما وضعت: استئناف من الله تعظيما لموضوعها. وقرأ عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب (وضعت) على أنه من كلامها تسلية لنفسها، أي ولعل لله فيه سرا، أو الانثى كانت خيرا. وقرئ (وضعت) على خطاب الله تعالى لها. وفي اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد وعلي بن إبراهيم،: عن أبيه جميعا، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن الله أوحى إلى عمران: أني واهب [لك] ذكرا سويا مباركا، يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى بإذن الله، وجاعله رسولا إلى بني إسرائيل، فحدث عمران امرأته حنة بذلك وهي ام مريم، فلما حملت كان حملها بها عند نفسها غلاما " فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها انثى وليس الذكر كالانثى " ولا تكون البنت رسولا، يقول الله (عز وجل): " والله أعلم بما وضعت " فلما وهب الله [تعالى] مريم عيسى، كان هو الذي يشربه عمران ووعده إياه، فإذا قلنا في الرجل منا شيئا

فكان في ولده أو ولده، فلا تنكروا ذلك (١). وليس الذكر كالانثى: واللام فيهما للعهد، أي ليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت، فيكون بيانا لقوله " والله أعلم بما وضعت " أو للجنس بمعنى وليس الذكر والانثى سواء فيما نذرت، فيكون من قولها. وفي تفسير العياشي: عن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله تعالى: " إني نذرت لك ما في بطني محررا " المحرر يكون في الكنيسة لا يخرج منها، فلما وضعتها انثى " قالت رب إني وضعتها انثى " " وليس الذكر كالانثى " والانثى تحيض فتخرج من المسجد، والمحرر لا يخرج من المسجد (٢). وإني سميتها مريم: عطف على ما سبق من قولها، وما بينهما اعتراض، وإنما ذكرت ذلك لربها تقربا إليه وطلبا لان يعضبها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لا سمها، فإن مريم في لغتهم: العابدة. وإنى أعيذها بك: اجيرها بحفظك. وذريتها من الشيطان الرجيم: المطرود، من الرجم بمعنى الطرد بالحجارة. وفي تفسير العياشي: عن سعد الاسكاف، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لقي إبليس عيسى بن مريم فقال، هلى نالني من حبائلك شئ ؟ قال: جدتك التي قالت: " رب إنى وضعتها انثى

" إلى " الشيطان الرجيم " (٣). وفي أمالي الشيخ: بإسناده إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في حديث طويل يذكر فيه تزويج فاطمة الزهراء (عليها السلام) وما أكرمه به النبي (صلى الله عليه وآله) وفيه يقول (عليه السلام): ثم أتاني فأخذ بيدي فقال: قم بسم الله، وقل: على بركة الله وما شاء الله لا قوة إلا بالله توكلت على الله، ثم جاء بي

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٥٣٥ كتاب الحجة، أبواب التاريخ، باب في أنه إذا قيل في الرجل شئ فلم يكن فيه، وكان في ولده أو ولد ولده فإنه هو الذي قيل فيه، ح ١. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٠ ح ٣٧. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧١ ح ٤٠. (*)

[فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يمريم أنى لك هاذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشآء بغير حساب (٣٧)] حتى أقعدني عندها (عليها السلام) ثم قال: اللهم أنهما أحب خلقك إلي فأحبهما وبارك في ذريتهما واجعل عليهما منك حافظا أني اعيذ هما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم (١). فتقبلها ربها: فرضي بها في النذر مكان الذكر. بقبول حسن: بوجه يقبل به النذائر، وهو إقامتها مقام الذكر، وتقبلها عقيب ولادتها قبل أن تكبر وتصلح للسدانة. قال البيضاوي: روي أن حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت: دونكم هذه النذيرة، فتنافسوا فيها، لانها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم، فإن بني ما ثان كانت رؤوس بني إسرائيل وملوكهم، فقال زكريا: أنا أحق بها، لان عندي خالتها، فأبوا إلا القرعة، وكانوا سبعة وعشرين، فانطلقوا إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم، فطفا قلم زكريا ورسبت أقلامهم فتكفلها [زكريا] (٢). ويجوز أن يكون مصدرا على تقدير مضاف، أي بذي قبول حسن، وأن يكون " تقبل " بمعنى استقبل، كتقصي وتعجل، أي فأخذها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن.

---

(١) الامالي: ج ١ ص ٣٨ س ١٩ الجزء الثاني عشر. (٢) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٨ في تفسير قوله تعالى: " فتقبلها ربها بقبول حسن ". (*)

وأنبتها نباتا حسنا: مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها. وكفلها زكريا: شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم، وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على أن الفاعل هو الله وزكريا مفعول، وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا. كلما دخل عليها زكريا المحراب: أي الغرفة التي بني لها، أو المسجد، أو أشرف مواضعه ومقدمه سمي به، لانه محل محاربة الشيطان. وجد عندها رزقا: جواب " كلما " وناصبه. وفي تفسير العياشي: وفي رواية حريز عن أحدهما (عليهما السلام) قال: نذرت ما في بطنها للكنيسة، أن تخدم العباد، وليس الذكر كالانثى في الخدمة، قال: فشبت، وكانت تخدمهم وتناولهم حتى بلغت، فأمر زكريا أن يتخذ لها حجابا دون العباد، وكان يدخل عليها فيرى عندها ثمرة الشتاء في الصيف وثمرة الصيف في الشتاء فهنالك دعا وسأل ربه أن يهب له ذكرا فوهب له يحيى (١). قال يمريم أنى لك هذا: من أين لك هذا الرزق الآتي في غير أوانه، والابواب مغلقة عليك ؟ قالت هو من عند الله: فلا تستبعد. إن الله يرزق من يشاء بغير حساب: بغير تقدير لكثيرته، أو بغير استحقاق تفضلا به، وهو يحتمل أن يكون من كلامها، وأن يكون من كلام الله. وفي تفسير العياشي: عن إسماعيل الجعفي، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إن امرأة عمران لما نذرت ما في بطنها محررا، قال: المحرر للمسجد إذا وضعته وادخل المسجد فلم يخرج من المسجد أبدا، فلما ولدت مريم " قالت رب إني وضعتها انثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وإني سميتها مريم وإني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم " فساهموا عليها (فساهم عليها النبيون خ ل)، فأصاب القرعة زكريا، وهو زوج اختها، وكفلها، وأدخلها المسجد، فلما بلغت ما يبلغ النساء

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٠ ح ٣٨. (*)

من الطمث، وكانت أجمل النساء، فكانت تصلي فيضي، المحراب لنورها، فدخل عليها زكريا، فإذا عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، فقال: " أني لك هذا قالت هو من عند الله هنالك دعا زكريا ربه " قال: " وإني خفت الموالي من ورائي " (١) إلى ما ذكر الله من قصة يحيى وزكريا (٢). وفيه أيضا عن سيف، عن نجم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إن فاطمة

(عليها السلام) ضمنت لعلي (عليه السلام) عمل البيت والعجن (٣) والخبز وقم البيت (٤)، وضمن لها علي (عليه السلام) ما كان خلف الباب [من] نقل الحطب وأن يجئ بالطعام، فقال لها يوما: يا فاطمة هل عندك شئ ؟ قالت: لا والذي عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام إلا شئ نقربك به (٥)، قال: أفلا أخبرتني ؟ قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) نهاني أن أسألك شيئا، فقال: لا تسألي ابن عمك شيئا، إن جائك بشئ عفوي وإلا فلا تسأليه قال: فخرج (عليه السلام) فلقي رجلا فاستقرض منه دينارا، ثم أقبل به وقد أمسى فلقي مقداد بن الاسود فقال للمقداد: ما أخرجك في هذه الساعة ؟ قال: الجوع والذي عظم حقك يا أمير المؤمنين، قال: قلت لابي جعفر (عليه السلام): ورسول الله (صلى الله عليه وآله) حي ؟ قال: ورسول الله (صلى الله عليه وآله) حي، قال: فهو أخرجني وقد استقرضت دينارا، وسنؤثرك (٦) به، فدفعه إليه، فأقبل فوجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) جالسا، وفاطمة تصلي وبينهما شئ مغطى، فلما فرغت اختبرت (٧) ذلك الشئ، فإذا جفنة من خبز ولحم، قال: يا فاطمة أنى لك هذا ؟ قالت: " هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب " قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ألا احدثك بمثلك، ومثلها ؟ قال: بلى، قال: مثل زكريا إذا دخل على مريم المحراب، فوجد عندها رزقا، قال: يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله

---

(١) مريم: ٥. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٠ ح ٣٦. (٣) العجين: المصدر. (٤) قم الشئ قما كنسه (لسان العرب: ج ١٢ ص ٤٩٣ لغة قمم). (٥) ثلاثة ايام شئ نفريك به المصدر. (٦) سأوثرك: المصدر. (٧) احضرت: المصدر. (*)

يرزق من يشاء بغير حساب، فأكلوا منها شهرا، وهي الجفنة التي يأكل منها القائم (عليه السلام)، وهي عندنا (١). وفي شرح الآيات الباهرة نقل الشيخ أبو جعفر الطوسي (رحمه الله) في كتاب مصباح الانوار يحذف الاسناد قال: روي عن أبي سعيد الخدري قال: أصبح علي (عليه السلام) ذات يوم فقال لفاطمة (عليهما السلام): هل عندك شئ نغتذيه ؟ فقالت: لا والذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك بالوصية ما أصبح الغداة عندي إلا شئ اوثرك به على نفسي وعلى ابني الحسن والحسين، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): يا فاطمة ألا كنت أعلمتيني فأبغيكم شيئا، فقالت: يا أبا الحسن إني لاستحيي من إلهي أن تكلف نفسك ما لا تقدر عليه، فخرج علي (عليه السلام) من عندها واثقا

بالله وبحسن الظن به فاستقرض دينارا فأخذه ليشتري به ما يصلحهم فعرض له المقداد بن الاسود (رضوان الله عليه)، وكان يوما شديد الحر وقد لوحته الشمس من فوقه وآذته من تحته، فلما رآه أمير المؤمنين (عليه السلام) أنكر شأنه فقال له: يا مقداد ما أزعجك الساعة من رحلك ؟ فقال: يا أبا الحسن خل سبيلي ولا تسألني عما ورائي، فقال: يا أخي لا يسعني أن تجاوزني حتى أعلم علمك، فقال: يا أبا الحسن رغبة إلى الله وإليك أن نخلي سبيلي، ولا تكشفني عن حالتي، فقال: يا أخي لا يسعك أن تكتمني حالك، فقال: يا أبا الحسن أما إذا أبيت فوالذي أكرم محمد بالنبوة واكرمك بالوصية ما أزعجني من رحلي إلا الجهد وقد تركت عيالي جياعا، فلما سمعت بكاهم لم تحملني الارض خرجت مهموما راكبا رأسي، هذه حالتي وقصتي، قال: فانهملت عينا علي بالبكاء حتى بلت دموعه كريمته، فقال: احلف بالذي حلفت به أن ما أزعجني إلا الذي أزعجك، وقد

اقترضت دينارا، فها كه، اوثرك به على نفسي، فدفع إليه الدينار ورجع فدخل المسجد فسلم فرد رسول الله (صلى الله عليه وآله) السلام، وقال: يا أبا الحسن هل عندك عشاء تعشيناه، فتقبل معك، فمكث أمير المؤمنين (عليه السلام) مطرقا لا يحير جوابا حياء

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧١ ح ٤١. (*)

من رسول الله (صلى الله عليه وآله). وكان قد عرفه الله ما كان من أمر الدينار ومن أين وجهه بوحي من الله يأمره أن يتعشى عند علي تلك الليلة، فلما نظر إلى سكوته قال: يا أبا الحسن مالك لا تقول: لا، فانصرف عنك، أو نعم، فأمضي معك، فقال: حبا وكرامة، اذهب بنا، فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيد أمير المؤمنين وانطلقا حتى دخلا على فاطمة (صلوات الله وعليهم أجمعين) وهي في محرابها، قد قضت صلاتها، وخلفها جفنة تفور دخانا، فلما سمعت كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرجت من مصلاها وسلمت عليه، وكانت أعز الناس عليه، فرد عليها السلام، ومسح يده على رأسها، وقال: يا بنتاه كيف أمسيت يرحمك الله ؟ قالت: بخير، قال: عشينا رحمك الله وقد قعد، فأخذت الجفنة ووضعتها بين يدي رسول الله وعلي (صلى الله عليه وآلهما)، فلما نظر أمير المؤمنين إلى الطعام وشم ريحه رمى فاطمة ببصره رميا شحيحا، فقالت له فاطمة: سبحان الله ما أشح نظرك وأشده، فهل أذنبت فيما بيني وبينك ذنبا استوجب به السخطة منك ؟ فقال: وأي ذنب أعظم من ذنب أصبت اليوم، أليس عهدي بك وأنت تحلفي بالله مجتهدة انك ما طعمت طعاما

منذ يومين ؟ فنظرت إلى السماء وقالت: إلهي تعلم ما في سمائك وأرضك اني لم أقل إلا حقا، فقال لها: يا فاطمة أنى لك هذا الطعام الذي لم أنظر إلى مثل لونه، ولم أشم مثل ريحه قط، ولم آكل أطيب منه ؟ قال: فوضع النبي (صلى الله عليه وآله) كفه المبارك على كتف على أمير المؤمنين (عليه السلام) وهزها، ثم هزها ثلاث مرات، [ثم] قال: يا علي هذا بدل دينارك، هذا أجر دينارك

من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، تم استعبر باكيا، وقال: الحمد لله الذي أبى لكما أن يخرجكما من الدنيا حتى يجريك يا علي مجرى زكريا، ويجريك يا فاطمة مجرى مريم بنت عمران، وهو قوله تعالى: " كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب " (١).

---

(١) لا يوجد لدينا كتاب الآيات الباهرة، ونقله الشيخ في مصباح الانوار في الباب الحادي عشر في (*)

---

[٧٦]

[هنا لك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء (٣٨) فنادته الملئكة وهو قائم يصلى في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصلحين (٣٩)] هنا لك دعا زكريا ربه: في ذلك المكان أو في ذلك الوقت. وهنا، وثم، وحيث، تستعار للزمان. لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله، أو لما رأى الفواكه في غير أوانها تنبه لجواز ولادة العاقر من الشيخ، فسأل ربه. قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة: كما وهبتها لحنة العجوز العاقر. إنك سميع الدعاء: مجيبه. وفي عيون الاخبار: بإسناده إلى الريان بن شبيب قال: دخلت على الرضا (عليه السلام) في أول يوم من المحرم فقال: يابن شبيب أصائم أنت ؟ فقلت: لا، فقال: إن هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا (عليه السلام) ربه عز وجل، فقال: " رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء " فاستجاب الله له، وأمر الملائكة فنادت زكريا " وهو قائم يصلي في المحراب أن اله يبشرك بيحيى مصدقا " فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله تعالى استجاب الله تعالى له، كما استجاب لزكريا (عليه السلام) (١).

مناقب الزهراء وفضلها (مخطوط) بحار الانوار: ج ٤٣ ص ٥٩ تاريخ سيدة النساء، باب ٣ مناقبها وبعض أحوالها (عليهما السلام)، ح ٥١. تفسير فرات بن إبراهيم: ص ٢١، مع اختلاف يسير فيهما. (١) عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢٩٩ باب ٢٨ فيما جاء عن الامام علي بن موسى عليهما السلام من الاخبار المتفرقة، قطعة من ح ٥٨. (*)

---

[٧٧]

وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن رجل عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: من أراد أن يحبل له، فليصل ركعتين بعد الجمعة يطيل فيهما الركوع والسجود، ثم يقول: اللهم إني أسألك بما سألك به زكريا (عليه السلام)، إذا قال: " رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين " (١) هب لي ذرية طيبة انك سميع الدعاء، اللهم باسمك استحللتها وفي أمانتك اخذتها، فإن قضيت في رحمها ولدا، فاجعله غلاما ولا تجعل للشيطان فيه نصيبا، ولا شركا (٢). وفي مجمع البيان: روى الحارث بن المغيرة قال: قلت لابي عبد الله (عليه السلام): إني من أهل بيت قد انقرضوا وليس لي ولد، فقال ادع الله وأنت ساجد " رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء، رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين " قال: فقلت: فولد علي والحسين (٣). فنادته الملئكة: أي من جنسهم، كقولهم: زيد يركب الخيل، فإن المنادى ملك، وقرأ حمزة والكسائي: فنادته بالامالة والتذكير. وهو قائم يصلي في المحراب: أي قائما في الصلاة، " يصلي " صفة " قائم "، أو خبر آخر، أو حال أخرى، أو حال عن الضمير في قائم. وفي من لا يحضره الفقيه: وقال الصادق (عليه السلام): إن طاعة الله عز وجل خدمته في الارض، وليس شئ من خدمته يعدل الصلاة، فمن ثم نادت الملائكة زكريا وهو قائم يصلي في المحراب (٤). أن الله يبشرك بيحيى: أي بأن الله. وقرأ نافع وحمزة وابن عامر بالكسر على إرادة القول، أو لان النداء نوع منه. وقرأ

---

(١) الانبياء: ٨٩. (٢) الكافي: ج ٣ ص ٤٨٢ كتاب الصلاة، باب صلاة من أراد أن يدخل بأهله ومن أراد أن يتزوج ح ٣. وأورده أيضا في ج ٦ ص ٨ كتاب العقيقة، باب الدعاء في طلب الولد ح ٣. (٣) مجمع البيان: ج ٧ – ٨ ص ٦٠ في بيان آية ٨٩ من سورة الانبياء. (٤) من لا يحضره

الفقيه: ج ١ ص ٢٠٨ باب ٣٠ فضل الصلاة ح ٦٢٣. (*)

---

[٧٨]

حمزة والكسائي يبشرك من الابشار، ويحيى أعجمي، وإن جعل عربيا، فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل. مصدقا: حال من (يحيى). بكلمة من الله: أي بعيسى، سمي بذلك لانه وجد بأمره تعالى من دون أب، أو كتاب الله، سمي بها تسميته للكل باسم جزئه. وسيدا: يسود قومه ويفوقهم بالعصمة، لانه كان نبيا. وحصورا: مبالغافي حبس النفس عن الشهوات والملاهي. ونقل: أنه مربصبيان فدعوه إلى اللعب، فقال: ما للعب خلقت (١). وفي مجمع البيان: حصورا لا يأتي النساء، وهو المروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) (٢). ونبيا من الصلحين: ناشئا منهم، أو كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة. وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى محمد بن إسماعيل القرشي، عمن حدثه، عن إسماعيل بن أبي رافع، عن أبيه أبي رافع قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) – وقد ذكر عيسى بن مريم (عليهما السلام) –: فلما أراد الله أن يرفعه أوحى إليه أن استودع نور الله وحكمته وعلم كتابه شمعون بن حمون الصفا، خليفته على المؤمنين، ففعل ذلك، فلم يزل شمعون في قومه يقوم بأمر الله عز وجل ويهتدي بجميع مقال عيسى (عليه السلام) في قومه من بني إسرائيل ويجاهد الكفار، فمن أطاعه وآمن به وبما جاء به كان مؤمنا، ومن جحده وعصاه كان كافرا حتى استخلص ربنا تبارك وتعالى وبعث في عاده نبيا من الصالحين وهو يحيى بن زكريا، فمضى شمعون وملك عند ذلك أرد شير بن بابكان أربع عشرة سنة وعشرة أشهر، وفي ثماني سنين من ملكه قتلت اليهود يحيى بن زكريا (عليه السلام) فلما

---

(١) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٩ في تفسير آية ٣٩ من سورة آل عمران. (٢) مجمع البيان: ج ١ – ٢ ص ٤٣٨ في بيان معنى آية ٣٩ من سورة آل عمران. (*)

---

[٧٩]

[قال رب أنى يكون لى غلم وقد بلغني الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشآء (٤٠) قال رب اجعل لئ اية قال ءايتك ألاتكلم الناس ثلثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكر (٤١)] أراد الله عز وجل أن يقبضه أوحى إليه أن يجعل الوصية في ولد شمعون ويأمر الحواريين وأصحاب عيسى بالقيام معه، ففعل ذلك، وعندها ملك سابور بن أردشير ثلاثين سنة حتى قتله الله،

وعلم الله ونوره وتفصيل حكمته في ذرية يعقوب ابن شمعون ومعه الحواريون من أصحاب عيسى (عليه السلام)، وعند ذلك ملك بختنصر مائة سنة وسبعا وثمانين سنة، وقتل من اليهود سبعين ألف مقاتل على دم يحيى بن زكريا، وخرب بيت المقدس، وتفرقت اليهود في البلدان (١). قال رب أنى يكون لى غلم: استبعادا من حيث العادة، أو استعظاما وتعجبا، أو استفهاما عن كيفية حدوثه. وقد بلغني الكبر: أدركني كبر السن. قال البيضاوي: وكان له تسع وتسعون سنة، ولا مرأته ثمان وتسعون (٢). وامر أتى عاقر: لا تلد، من العقر وهو القطع، لانها ذات عقر من الاولاد. قال كذلك الله يفعل ما يشآء: " كذلك الله " مبتدأ مؤخر وخبر مقدم للقرينة أي الله على مثل هذه الصفة. و " يفعل ما يشاء " بيان له، أي ما يشاء من العجائب، وهو أنشاء الولد من شيخ

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٢٥ س ١١ الباب الثاني والعشرون اتصال الوصية من لدن آدم، ح ٢٠. (٢) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٩، في تفسير آية ٤٠ من سورة آل عمران. (*)

فان وعجوز عاقر. و " كذلك " خبر مبتدأ محذوف، أي الامر كذلك. و " الله يفعل ما يشاء " جملة اخرى لبيان أنه يفعل ما يريده من العجائب، أي أنت وزوجك كبير وعاقر، والله يفعل ما يشاء من خلق الولد. ويحتمل أن يكون " كذلك " مفعولا مطلقا لـ " يفعل " ويكون ذلك إشارة إلى ما تعجب منه، أي الله يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل، أي إنشاء الولد من الفاني والعاقر، أو إشارة إلى ما بينه من حالتهما، أي الذي يفعل ما يشاء من خلق الولد كما أنت عليه وزوجك من الكبر والعقر. قال رب اجعل لئ اية: علامة أعلم بها أن ذلك الصوت من الله، ويكون عبادة يتدارك بها ما دخله من تلك الهبة، وذلك لانه إذا جعل له آية وأوحى إليه الآية من الله عبادة وشكرا للموهبة يعلم أن صوت الملائكة بأمر الله ووحيه، ويخضع لله تعالى شكرا لنعمه. وفي تفسير العياشي: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن زكريا لما دعا ربه أن يهب له ولدا فنادته الملائكة بما نادته به أحب أن يعلم أن ذلك الصوت من الله، فأوحى إليه أن آية ذلك يمسك لسانه عن الكلام ثلاثة أيام. قال: فلما أمسك لسانه ولم يتكلم، علم أنه لا يقدر على ذلك إلا الله، وذلك قول الله: " رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا " (١). وعن حماد، عمن حدثه، عن أحدهما (عليه السلام) قال: لما سأل ربه أن يهب له ذكرا فوهب له يحيى، فدخله من ذلك، فقال: " رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا " فكان يومى برأسه، وهو الرمز (٢).

قال ءايتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام: أي الله أوحى إليه أن آيتك وعبادتك ألا تكلم الناس في ثلاثة أيام وتخلص المدة لذكر الله شكره قضاء لحق النعمة.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٢ ح ٤٣. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٢ ح ٤٤. (*)

(٨٠/٣)

إلا رمزا: إشارة برأسك، وأصله التحرك، ومنه الراموز للبحر، والاستثناء منقطع، وقيل: متصل، والمراد بالكلام مادل على الضمير. هذا إذا قرأ (يمسك) في الخبر الاول على البناء للفاعل وإرجاع ضميره إلى زكريا. وأما إذا قرأ على البناء للمفعول، أو يجعل فاعل الامساك هو الله سبحانه، فالحل ما نقله البيضاوي من أن المعنى: " اجعل لي آية " علامة أعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار، " قال " آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام " أي لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا (١). وقرئ رمز كخدم جمع رامز، ورمز كرسل جمع ورمز كرسل جمع رموز على أنه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله: متى ماتلقني فردين ترجف * روانف اليتيك وتستطار (٢) واذكر ربك كثيرا: في أيام الامساك عن الكلام مع الناس، وهو مؤكد لما قبله، مبين للغرض منه. قال البيضاوي: وتقييد الامر بالكثير، يدل على أنه ليس للتكرار (٣). وفيه أنه لعل التقييد لتأكيد ما يفيده الامر، فلا يدل على المدعي. وسبح بالعشى: من الزوال إلى الغروب، وقيل: من العصر أو الغروب إلى ذهاب صدر الليل. والابكار: من طلوع الفجر إلى الضحى. وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار.

---

(١) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٥٩ في تفسير آية ٤١ من سورة آل عمران. (٢) لعنترة يخاطب عمارة بن زياد العبسي، لما قال لقومه: ليتني لقيته فأرحتكم منه وأعلمتكم أنه عبد. قال متى تلاقني حال كوننا منفردين عن غيرنا، تخف مني فترتعد أطراف اليتيك، فارتعادها كناية عن الخوف، وتستطارا مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة الفا، والفاعل ضمير المخاطب، كان الخوف يطيره (تلخيص من هامش الكشاف: ج ١ ص ٣٦١ في هامش تفسير آية ٤١ من سورة آل عمران. (٣) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٦٠ في تفسير آية ٤١ من سورة آل عمران. (*)

[وإذ قالت الملئكة يمريم إن الله اصطفك وطهرك واصطفك على نساء العلمين (٤٢) يمريم اقنتي لربك واسجدي واركعى مع الركعين (٤٣)] وإذقالت الملئكة يمريم إن الله اصطفك وطهرك واصطفك على نساء العلمين: قال البيضاوي: كلموها شفاها كرامة لها، ومن أنكر الكرامة زعم أن ذلك كان معجزة لزكريا، أو أرها صا لنبوة عيسى (عليه السلام) فإن الاجماع على أنه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله: " وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا " (١) وقيل: ألهموها انتهى (٢). ويمكن أن يقال من قبل منكر الكرامة: لا يكون الكرامة لمن لم يكن فيه نص بالكرامة، وأما من حصل له التخصيص بالتنصيص كمريم وفاطمة (صلوات الله عليهما) فهو بمنزلة الاستثناء والمقصود أنه لا يجوز الكرامة لمن سواه كوقوع المعجزة للانبياء والائمة فإنهم يتخصصون بها، ولا يلزم من وقوع شئ لاحد جواز وقوعه لكل أحد شرعا وإن لم يمتنع عليه عقلا، والمجوز وقوعه لكل أحمد بوقوعه لبعض، التبس عليه معنى الجواز فتبصر. قيل: الاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم يقبل قبلها أنثى وتفريغها للعبادة، وإغناؤها برزق الجنة عن الكسب، والثاني هدايتها وإرسال الملائكة إليها، وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب وتبرئتها عما قذفته اليهود بإنطاق

---

(١) يوسف: ١٠٩، والنحل: ٤٣. (٢) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٦٠ في تفسيره لقوله تعالى " وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك " الآية من سورة آل عمران.

الطفل، وجعلها وابنها آية للعالمين (١). والاظهر أن الاصطفاء الاول، اصطفاءها من ذرية الانبياء، والثاني اصطفاءها لولادة عيسى (عليه السلام) من غير فحل وتطهيرها، طهرها من أن بكون في آبائها وامهاتها وفي نفسها سفاح. و قيل: وتطهيرها مما يستقذر من النساء. وينافيه ظاهر ما سبق في الخبر من قوله: فلما بلغت ما يبلغ النساء من الطمث. وأما ما رواه العياشي في تفسيره عن الحكم بن عيينة قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله في الكتاب: " إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين " اصطفاها مرتين، والاصطفاء إنما هو مرة واحدة، قال: فقال: يا حكم إن لهذا تأويلا وتفسيرا، فقلت له: ففسره لنا أبقاك الله، فقال: يعني

اصطفاءه إياها أولا من ذرية الانبياء المصطفين المرسلين، وطهرها [من] أن يكون في ولادتها من آبائها وامهاتها سفاحا، واصطفاها بهذا في القرآن " يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين " شكرا لله (٢). فالظاهر أن السائل قد خفي عليه الاصطفاء الاول، وانحصر الاصطفاء عنده في الثاني، وسأل فبينه (عليه السلام) له وسكت عن الثاني لظهوره عنده. وفي مجمع البيان: و " واصطفاك على نساء العالمين " أي [على نساء] عالمي زمانك، لان فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيدة نساء العالمين، وهو قول أبي جعفر (عليه السلام). وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: فضلت خديجة على نساء امتي كما فضلت مريم على نساء العالمين، وقال أبو جعفر (عليه السلام) معنى الآية: واصطفاك من ذرية الانبياء وطهرك من الفساح واصطفاك لولادة عيسى من غير فحل وزوج (٣).

---

(١) من قوله: قيل إلى هنا من كلام البيضاوي لا حظ تفسيره للآية السابقة. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٣ قطعة من ح ٤٧. (٣) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٤٤٠ في بيان معنى آية ٤٢ من سورة آل عمران. (*)

يمريم اقنتي لربك واسجدي واركعى مع الركعين: قيل امرت بالصلاة في الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة عليها، وقدم السجود على الركوع إما لكونه كذلك في شريعتهم، أو للتنبيه على أن الواو لا توجب الترتيب، أو ليقترن " اركعى " بالراكعين، للايذان بأن من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين (١). وقيل: يحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع، وفيه من يركع، فأمرت بأن تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع (٢). وقيل: المراد بالقنوت إدامة اطاعة، كقوله: أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما (٣)، وبالسجود الصلاة كقوله: وادبار السجود (٤) وبالركوع الخشوع والاخبات (٥). وفى كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: إنما سميت فاطمة (عليها السلام) محدثة لان الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة، إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدثهم ويحدثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران ؟ فقالوا: إن مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإن الله عز وجل جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها وسيدة نساء الاولين والآخرين

(٦). وفي اصول الكافي: بإسناده إلى علي بن محمد الهرمزي عن ابي عبد الله الحسين بن على (عليهما السلام) قال: لما قبضت فاطمة (عليها السلام) دفنها أمير المؤمنين (عليه السلام) سرا وعفا على موضع قبرها ثم قال: فحول وجهه إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: السلام عليك يا رسول الله عني، والسلام عليك عن ابنتك

---

(١) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٦٠ في تفسيره لقوله تعالى " يا مريم اقنتي.. " من سورة آل عمران. (٢) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٣٦٢ في تفسيره لقوله تعالى " واركعي مع الراكعين " من سورة آل عمران. (٣) الزمر: ٩. (٤) ق: ٤٠. (٥) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٦٠ في تفسيره لقوله تعالى " يا مريم اقنتي.. " من سورة آل عمران. (٦) علل الشرائع: ج ١ ص ١٨٢ باب ١٤٦ العلة التي من أجلها سميت فاطمة محدثة، ح ١. (*)

وزائرئك والبائتة في الثرى ببقعتك والمختار الله لها سرعة اللحاق بك، قل يا رسول الله عن صفيتك صبري وعفا عن سيدة نساء العالمين تجلدي (١). والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. وفي نهج البلاغة: من كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جوابا: ومنا خير نساء العالمين، ومنكم حمالة الحطب (٢). وفي من لا يحضره الفقيه: روى المعلى بن محمد البصري، عن جعفر بن سليمان، عن أبي عبد الله بن الحكم، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): إن عليا وصيي. خليفتي، وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين ابنتي (٣)، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. وفي أمالي الصدوق (رحمه الله): باسناده إلى النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: أيما امرأة صلت في اليوم والليلة خمس صلوات وصامت شهر رمضان وحجت بيت الله الحرام وزكت مالها وأطاعت زوجها ووالت عليا دخلت الجنة بشفاعة ابنتي فاطمة، وأنها سيدة نساء العالمين، فقيل له: يا رسول الله أهي سيدة نساء عالمها ؟ فقال (عليه السلام):: ذاك لمريم بنت عمران، وأما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الاولين والآخرين، وأنها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين وينادونها بما نادت به الملائكة مريم، فيقولون: يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين (٤)، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. وبإسناده إلى الاصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين

(عليه السلام) في بعض خطبة: أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه عني، فإن الفراق قريب، أنا إمام البرية

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٥٨ باب مولد الزهراء فاطمة (عليها السلام)، ح ١. (٢) نهج البلاغة: ص ٣٨٧، رقم (٢٨) ومن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جوابا، صبحي الصالح. (٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٧٤ كتاب الوصية، باب الوصية من لدن آدم ح ٥٤٠٢. وأيضا أورده في ج ٤ باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب، ص ٤٢٠ ح ٥٩٢٠. (٤) الامالي للصدوق: المجلس الثالث والسبعون ص ٣٩٣ قطعة من ح ١٨. (*)

[ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلمهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون (٤٤)] ووصي خير الخليقة وزوج سيدة نساء هذه الامة (١). ذلك: أي ما ذكرنا من قصص زكريا ويحيى ومريم. من أنباء الغيب نوحيه إليك: من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي. وما كنت لديهم إذ يلقون أقلمهم: قيل: أقداحهم للاقتراع في نهر أردن. وقيل: أقلامهم التي كانوا يكتبون التوارة تبركا (٢). والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه، فإن طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع، وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم، فبقي أن يكون الابهام باحتمال العيان، ولا يظن به عاقل. ليعلموا. أيهم يكفل مريم: معمول لما دل عليه " يلقون أقلامهم ". وفي كتاب الخصال: عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: أول من سوهم [عليه] مريم بنت عمران، وهو قول الله تعالى: " وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم " والسهام ستة (٣). وفي من لا يحضرة الفقيه مثله (٤). وما كنت لديهم إذ يختصمون: تنافسا في كفالتها.

---

(١) الامالي للصدوق: المجلس الثامن والثمانون ص ٤٨٤ قطعة من ح ٩. (٢) أنوار التنزيل: ج ١ ص ١٦٠ في تفسير آية ٤٤ من سورة آل عمران. (٣) الخصال: ص ١٥٦ باب الثلاثة، أول من سوهم عليه، قطعة من ح ١٩٨. (٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٥١ باب الحكم بالقرعة،

قطعة من ح ٣٣٨٨. (*)

---

[٨٧]

[إذ قالت الملئكة يمريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين (٤٥)] في تفسير علي بن إبراهيم: قال لما ولدت، اختصموا آل عمران فيها، وكلهم قالوا: نحن نكفلها، فخرجوا وضربوا بالسهام بينهم وخرج سهم زكريا، فكفلها زكريا (١). وفي تفسير العياشي: عن الحكم بن عيينة، عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): قال لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) يخبره بما غاب عنه من خبر مريم وعيسى، يا محمد " ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك " في مريم وابنها وبما خصهما منه، وفضلهما وكرمهما حيث قال: " وما كنت لديهم " يا محمد، يعني بذلك رب الملائكة " إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم " حين ايتمت من أبيها (٢). وفي رواية اخرى عن ابن أبي خرزاد: " أيهم يكفل مريم " حين ايتمت من أبيها " وما كنت لديهم " يا محمد إذ يختصمون في مريم [عند ولادتها بعيسى بن مريم] أيهم يكفلها ويكفل ولدها، قال له: أبقاك الله فمن كفلها ؟ فقال: أما تسمع لقوله الآية (٣). إذ قالت الملئكة: بدل من " إذ قالت " الاولى، أو من " إذ يختصمون " بناء

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج ١ ص ١٠٢ في تفسيره لقوله تعالى " وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم "، وفيه: فتكفلها زكريا. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٣ قطعة من ح ٤٧ وفيه: خصهما الله به وفضلهما وأكرمهما.. لرب الملائكة. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٣، ح ٤٨. (*)

---

[٨٨]

على أن الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك: لقيته سنة كذا. يمريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم: المسيح لقبه، من الالقاب المادحة، وأصله مشيحا بالعبرانية، ومعناه: المبارك كقوله: " وجعلني مباركا " (١) وعيسى معرب اليسوع، ومشتقهما من المسح، لانه مسح بالبركة، أو بما طهره من الذنوب، أو مسح الارض ولم يقم في موضع، أو مسحه جبرائيل، ومن العيس، وهو بياض يعلوه حمرة كالراقم على الماء. فإن قلت: لم قيل: اسمه المسيح عيسى بن مريم، وهذه ثلاثة أشياء، الاسم منها عيسى، وأما المسيح والابن فلقب وصفة. قلت: الاسم للمسمى علامة

يعرف بها، ويتميز بها عن غيره، فكأنه قيل: الذي يعرف به ويتميز ممن سواه. مجموع هذه الثلاثة. ويحتمل أن يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف، وابن مريم صفته. وأن يكون كل من الثلاثة اسما، بمعنى أن كلا منها يميز تمييز الاسماء، ولا ينافي تعدد الخبر أفراد البمتدأ، فإنه اسم جنس مضاف. وانما قيل: ابن مريم، والخطاب لها تنبيها على أنه يولد من غير أب، إذ الاولاد تنسب إلى الآباء، ولا تنسب إلى الام إلا إذا فقد الاب. وجيها في الدنيا: حال مقدرة من " كلمة " الموصوفة بقوله " منه " والتذكير للمعنى، ووجاهته في الدنيا بالنبوة. والاخرة: بالشفاعة. ومن المقربين: من الله، وقيل: إشارة إلى علو درجته في الجنة، وقيل: إلى رفعه [إلى] السماء وصحبته الملائكة. * * *

---

(١) مريم: ٣١. (*)

(٨٨/٣)

[ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصلحين (٤٦) قالت رب أنى يكون ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشآء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (٤٧) ويعلمه الكتب والحكمة و التورة والانجيل (٤٨)] ويكلم الناس في المهد وكهلا: أي حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت. وفي اصول الكافي: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد عيسى، عن ابن محبوب عن هشام بن سالم، عن يزيد الكناسي، قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) أكان عيسى بن مريم حين تكلم في المهد حجة الله على أهل زمانه ؟ فقال: كان يومئذ نبيا حجة الله غير مرسل (١)، أما تسمع لقوله حين قال: " أني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأو صاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا " (٢). والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

(٨٩/٣)

---

(١) قوله (غير مرسل) إذ لم يرسل إليه الانجيل في تلك الحال ولم يكن مأمورا بأحكامه وتبليغه ولكن كان نبيا عالما بالتوراة تابعا لها، وقال: (إني عبد الله) قدم العبودية على إعطاء الكتاب والنبوة، لتقدمها في الواقع، وليندفع توهم ربوبيته أول مرة، وأراد بالكتاب التوراة. وفي لفظ الماضي حيث قال:

(آتاني وجعلني) دلالة واضحة على أنه كان حين التكلم نبيا عالما بالتوراة. والوارید بالكتاب الانجيل كما زعم، لاشكل، لانه إن اعطي الانجيل كما جعل نبيا في ذلك الوقت لكان رسولا، فلا يوافق قوله (غير مرسل) اللهم إلا أن يحمل قوله (أتاني الكتاب) على مجاز المشارفة، أو على أن محقق الوقوع كالواقع، أو على القضاء السابق بقرينة عدم إرسال الانجيل إليه في ذلك ولا يلزم منه أن يحمل قوله (وجعلني نبيا) على هذه الامور، لعدم وجود قرينة صارفة له عن ظاهره، وبالجملة حمل أحد اللفظين المتجاورين على المجاز لقرينة، لا يوجب حمل الآخر عليه مع عدمها (شرح اصول الكافي للمازندراني: ج ٦ ص ٣٤٨). (٢) الكافي: ج ١ ص ٣٨٢ كتاب الحجة باب حالات الائمة في السن قطعة من ح ١. (*)

والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه. والكهل من وخطه الشيب ورأيت له بجالة (١). ولذا قيل: والمراد " وكهلا " بعد نزوله، لانه رفع شابا. وذكر أحواله المختلفة المتنافية، إشارة إلى أنه ممكن، ليس بإله. ومن الصلحين: حال ثالث من " كلمة " أو ضميرها الذي في " يكلم ". قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسني بشر: تعجب، وقيل: استبعاد عادي، أو استفهام عن أنه يكون بتزوج أو غيره. قال: جبرائيل، أو الله و جبرائيل حكى لها قوله تعالى: كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون: أي كما يقدر أن يخلق الاشياء بأسباب ومواد متدرجا يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك. ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل: أما كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وإزاحة لما همها من خوف اللوم على أنها تلد من غير زوج، أو عطف على " يبشرك " أو " وجيها ". و " الكتاب " الكتبة، أو جنس الكتب المنزلة. وتخصيص الكتابين لفضلهما. وقرأ عاصم ونافع بالياء. * * *

---

(١) الكهل: الرجل إذ وخطه الشيب ورايت له بجالة، وفي الصحاح الكهل من الرجال الذي جاوز الثلاثين ووخطه الشيب (لسان العرب: ج ١١ حرف اللام – لغة كهل).

[ورسولا إلى بنى إسراءيل أنى قد جئتكم بئاية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الاكمه والابرص وأحى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لاية لكم إن كنتم مؤمنين (٤٩)] ورسولا إلا بنى إسراءيل: منصوب بمقدر على إرادة القول، والتقدير ويقول: أرسلت رسولا، أو بالعطف على الاحوال المتقدمة.

وتخصيص بني إسرائيل لخصوص بعثته، أو للرد على من زعم أنه مبعوث إلى غيرهم. وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى محمد بن الفضل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) في حديث طويل يقول فيه: ثم إن الله عز وجل أرسل عيسى (عليه السلام) إلى بني إسرائيل خاصة، وكانت نبوته ببيت المقدس (١). أنى قد جئتكم بئاية من ربكم: متعلق برسولا على تصمين معنى النطق، أي ناطقا بأني إلى آخره، والآية ما يذكر بعده وهو: أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير: نصب بدل من " أني " أو جر بدل من " آية " أو رفع على هي أني، والمعنى: اقدر واصور لكم مثل صورة الطير. فأنفخ فيه: الضمير للكاف، أو في ذلك المثل. فيكون طيرا: فيصير طيارا. بإذن الله: بأمره، ونبه به على أن إحياءه من الله لا منه.

---

(١) كتاب كمال الدين وتمام النعمة: ج ١ ص ٢٢٠ باب ٢٢ اتصال الوصية من لدن آدم وأن الارض لا تخلو من حجة.. قطعة من ح ٢. (*)

و قرأ نافع هنا وفي المائدة طائرا بألف وهمزة. وفي كتاب الخصال: عن الحسين بن علي (عليهما السلام) قال: كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالكوفة في الجامع إذ قام إليه رجل من أهل الشام فسأله عن مسائل فكان فيما سأله: أخبرني عن ستة لم يركضوا في رحم ؟ فقال: آدم، وحواء، وكبش إسماعيل، وعصا موسى، وناقة صالح، والخفاش الذي عمله عيسى ابن مريم فطار بإذن الله (١) وأبرئ الاكمه: الذي ولد أعمى والممسوح العين. والابرص: الذي به البرص. نقل أنه ربما يجتمع عليه الوف من المرضى، من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى، وما يداوى إلا بالدعاء (٢). وأحى الموتى بإذن الله: كرره لدفع توهم الالوهية، فإن الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية. وفي عيون الاخبار: بإسناده إلى أبي يعقوب البغدادي قال: قال ابن السكيت لابي الحسن

الرضا (عليه السلام) لما ذا بعث الله موسى بن عمران بيده البيضاء [والعصى] وآلة السحر، وبعث عيسى بالطب، وبعث محمدا (صلى الله عليه وآله) بالكلام والخطب فقال له أبو الحسن (عليه السلام): إن الله تعالى لما بعث موسى – إلى أن قال – وإن الله تعالى بعث عيسى (عليه السلام) في وقت ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب فأتاهم من عند الله تعالى بما لم يكن عندهم مثله، وإنما أحيى لهم الموتى وأبرأ الاكمه والابرص بإذن الله تعالى وأثبت به الحجة عليهم (٣).

---

(١) الخصال: ص ٣٢٢ باب الستة (ستة لم يركضوا في رحم) ح ٨. (٢) رواه البيضاوي: ج ١ ص ١٦١ عند تفسيره لقوله تعالى " وابرء الاكمه والابرص " الآية. وفي الدر المنثور ج ٢ ص ٣٢ ما لفظه (وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفا). وفي انكشاف: ج ١ ص ٣٦٤ أيضا مثله، وفي مجمع البيان: ج ١ – ٢ ص ٤٤٥، أيضا مثله. (٣) عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٧٨ باب ٣٢ في ذكر ما جاء عن الرضا من العلل، ح ١٢. (*)

وفي روضة الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن ابن محبوب، عن أبي جملية، عن أبان بن تغلب وغيره، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه سئل هل كان عيسى بن مريم أحيى أحدا بعد موته حتى كان له أكل ورزق ومدة وولد ؟ فقال: نعم، إنه كان له صديق مواخ له في الله تعالى وكان عيسى (عليه السلام) يمر به وينزل عليه، وإن عيسى (عليه السلام) غاب عنه حينا ثم مر به ليسلم عليه فخرجت إليه امه فسألها عنه ؟ فقالت: مات يا رسول الله، قال اتحبين أن تريه ؟ قالت: نعم، فقال لها: فإذا كان غدا فأتيك حتى احييه لك بإذن الله تبارك وتعالى، فلما كان من الغد أتاها فقال لها: انطلقي معي إلى قبره، فانطلقا حتى أتيا قبره قوقف عيسى (عليه السلام) ثم دعا الله عز وجل فانفرج القبر وخرج ابنها حيا، فلما رأته امه ورآها بكيا فرحمهما عيسى (عليه السلام) فقال عيسى: أتحب أن تبقى مع أمك في الدنيا ؟ فقال له: يا نبي الله بأكل ورزق ومدة، أم بغير أكل و [لا] رزق و [لا] مدة ؟ فقال له عيسى (عليه السلام): بأكل ورزق ومدة، تعمر عشرين سنة وتزوج ويولد لك، قال: نعم إذا، قال: فدفعه عيسى إلى امه فعاش عشرين سنة وولد له (١). وفي الكافي: علي بن محمد، عن بعض أصحابنا، عن علي بن الحكم، عن ربيع ابن محمد، عن عبد الله بن سليم العامري، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن عيسى بن مريم جاء إلى

قبر يحيى بن زكريا (عليهما السلام) وكان سأل ربه أن يحييه له، فدعاه فأجابه وخرج إليه من القبر فقال له: ما تريد مني ؟ فقال له: اريد أن تؤنسني كما كنت في الدنيا، فقال له: يا عيسى ما سكنت عني حرارة الموت وأنت تريد أن تعيدني إلى الدنيا وتعود علي حرارة الموت. فتركه فعاد إلى قبره (٢). وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم: بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها.

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ٣٣٧، حديث الذي أحياه عيسى ح ٥٣٢. (٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٦٠ كتاب الجنائز، باب النوادر ح ٣٧. (*)

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثنا أحمد بن محمد الهمداني، قال: حدثني جعفر ابن عبد الله، قال: حدثنا كثير بن عياش، عن زياد بن المنذر، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر محمد بن علي (عليهما السلام) في قوله: " وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون " فإن عيسى (عليه السلام) كان يقول لبني إسرائيل: إني رسول الله إليكم و " إني اخلق لكمن من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وابرأ الاكمه والابرص " والاكمه هو الاعمى، قالوا: ما نرى الذي تصنع إلا سحرا، فأرنا آية نعلم أنك صادق ؟ قال: أنك صادق ؟ قال: أرابتكم إن اخبرتكم " بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم " يقول: ما أكلتم في بيوتكم قبل أن تخرجوا، وما ادخرتم بالليل، تعلمون اني صادق ؟ قالوا: نعم، فكان يقول [للرجل]: أنت أكلت كذا وكذا وشربت كذا وكذا ورفعت كذا وكذا، فمنهم من يقبل منه فيؤمن، ومنهم من يكفر، وكان لهم في ذلك آية إن كانوا مؤمنين (١). إن في ذلك لاية لكم إن كنتم مؤمنين: موفقين للايمان، فإن غيرهم لا ينتفع بالعجزات، أو مصدقين بالحق غير معاندين. وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): روي عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي (عليهم السلام) أنه قال: أن يهوديا من يهود الشام وأحبارهم قال لعلي (عليه السلام) في أثناء كلام طويل: فإن هذا عيسى بن مريم يزعمون أنه تكلم في المهد صبيا، قال له علي (عليه السلام): لقد كان كذلك، ومحمد (صلى الله عليه وآله) سقط من بطن امه واضعا يده اليسرى على الارض ورافعا يده اليمنى إلى السماء يحرك شفتيه بالتوحيد، وبدا من فيه نور رأي أهل مكة قصور بصرى من الشام وما يليها، والقصور الحمر من أرض اليمن وما يليها، والقصور البيض من اصطخر وما يليها، ولقد أضاءت الدنيا ليلة ولد النبي (صلى الله عليه

وآله) حتى فزعت الجن والانس والشياطين وقالوا: حدث في الارض حدث.

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٢ في تفسيره لقوله تعالى " إني أخلق لكم من الطين " الآية. (*)

---

[٩٥]

قال له اليهودي: فإن عيسى يزعمون أنه خلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فكان طيرا بإذن الله عز وجل. فقال له علي: لقد كان كذلك ومحمد (صلى الله عليه وآله) قد فعل ما هو شبيه بهذا، إذ أخذ يوم حنين حجرا فسمعنا للحجر تسبيحا وتقديسا، ثم قال للحجر: انفلق، فانفلق ثلاث فلق يسمع لكل فلقة منها تسبيحا لا يسمع للاخرى، ولقد بعث إلى شجرة يوم البطحاء فأجابته، ولكل غصن منها تسبيح وتهليل وتقديس، ثم قال لها: انشقي، فانشقت نصفين ثم قال لها: التزقي فالتزقت، ثم قال لها: اشهدي لي بالنبوة، فشهدت. ثم قال له اليهودي: فإن عيسى يزعمون أنه قد أبرأ الاكمه والابرص بإذن الله تعالى. فقال له علي (عليه السلام): لقد كان كذلك ومحمد (صلى الله عليه وآله) اعطي ما هو أفضل [من ذلك]، أبرأ ذالعاهة من عاهته، فبينما هو جالس (عليه السلام) إذ سأل عن رجل من أصحابه ؟ فقالوا: يا رسول الله إنه قد صار من البلاء كهيئة الفرخ [الذي] لا ريش عليه، فأتاه (عليه السلام) فإذا هو كهيئة الفرخ من شدة البلاء فقال له: قد كنت تدعو في صحتك دعاء ؟ قال: نعم، كنت أقول: يا رب أيما عقوبة أنت معاقبي بها في الآخرة فعجلها لي في الدنيا، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): ألا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. فقالها: فكأنما نشط من عقال وقام صحيحا وخرج معنا. وقد أتاه رجل من جهينة أجذم ينقطع من الجذم فشكا إليه (صلى الله عليه وآله) فأخذ قدحا من الماء فتفل فيه، ثم قال: امسح به جسدك، ففعل فبرئ حتى لم يوجد عليه شئ ولقد اتي بأعرابي أبرص فتفل من فيه عليه فما قام من عنده إلا صحيحا. ولئن زعمت أن عيسى (عليه السلام) أبرأ ذوي العاهات من عاهاتهم فإن محمدا (صلى

الله عليه وآله) بينما هو في بعض أصحابه إذ هو بامرأة فقالت: يا رسول الله إن ابني قد أشرف على حياض الموت كلما أتيته بطعام وقع عليه التثاؤب، فقال

---

[٩٦]

النبي (صلى الله عليه وآله) وقمنا معه فلما أتيناه قال له: جانب يا عدوالله ولي الله، فأنا رسول الله، بجانبه الشيطان فقام صحيحا، وهو معنا في عسكرنا. ولئن زعمت أن عيسى بن مريم أبرأ العمياء، فإن محمدا (صلى الله عليه وآله) قد فعل ما هو أكبر من ذلك. إن قتادة بن ربعي كان رجلا صحيحا فلما كان يوم احد أصابته طعنة في عينه فبدرت حدقته فأخذها بيده، ثم أتى بها النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال يا رسول الله: إن امرأتي الآن تبغضني، فأخذها رسول الله (صلى الله عليه وآله) من يده ثم وضعها مكانها، فلم تكن تعرف إلا بفضل حسنها وفضل ضوئها على العين الاخرى. ولقد جرح عبد الله بن عتيك وبانت يده يوم حنين، فجاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ليلا فمسح عليه يده فلم يكن تعرف من اليد الاخرى. ولقد أصاب محمد بن مسلمة يوم كعب بن الاشرف مثل ذلك في عينه ويده فمسحهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلم يستبينا. ولقد أصاب عبد الله بن أنيس مثل ذلك في عينه فمسحها فما (١) عرفت من الاخرى. فهذه كلها دلالة لنبوته (صلى الله عليه وآله). قال له اليهودي: فإن عيسى يزعمون أنه أحيى الموتى بإذن الله. قال له علي (عليه السلام): لقد كان كذلك، ومحمد (صلى الله عليه وآله) سبحت في يده تسع حصيات فسمع نغماتها في جحودها (٢) ولا روح فيها لتمام حجة نبوته، ولقد كلمة الموتى من بعد موتهم واستغاثوه مما خافوا تبعته، ولقد صلى بأصحابه ذات يوم فقال: ماههنا من بني النجار أحد وصاحبهم محتبس على باب الجنة بثلاثة دراهم لفلان اليهودي، وكان شهيدا. وإن زعمت أن عيسى كلم الموتي، فلقد كان لمحمد (صلى الله عليه وآله) ما هو أعجب من هذا: إن النبي (صلى الله عليه وآله) لما نزل بالطائف وحاصر أهلها بعثوا إليه شاة

مسلوخة مطلية بسم، فنطق الذراع منها فقالت: يا رسول الله لا تأكلني فإني مسمومة، فلو كلمته البهيمة وهي حية لكانت من أعظم حجج الله (عز

---

(١) في النسخة – أ –: (ما) والصحيح ما أثبتناه. (٢) كذا في النسخة – أ –: وفي المصدر جمودها. (*)

ذكره) على المنكرين لنبوته فكيف وقد كلمته من بعد ذبح وسلخ وشوي، ولقد كان (صلى الله عليه وآله) يدعو بالشجرة فتجيبه، وتكلمه البهيمة، وتكلمه السباع، وتشهد له بالنبوة ويحذرهم عصيانه، فهذا أكثر مما أعطى عيسى. قال له اليهودي: إن عيسى تزعمون أنه أنبأ قومه بما تأكلون وما يدخرون في بيوتهم. قال له علي (عليه السلام): لقد كان كذلك، ومحمد بن (صلى الله عليه وآله) فعل ما هو أكبر من هذا، إن عيسى أنبأ قومه بما يأكلون من وراء الحائط، ومحمد (صلى الله عليه وآله) أنبأ عن مؤتة وهو عنها غائب ووصف حربهم ومن اشهد (١) منهم وبينه وبينهم مسيرة شهور، وكان يأتيه الرجل يريد أن يسأله عن شئ فيقولى (صلى الله عليه وآله): تقول أو أقول ؟ فيقول: بل قل يا رسول الله، فيقول: جئتني في كذا وكذا حتى فرغ من حاجته، ولقد كان يخبر أهل مكة بأسرارهم بمكة حتى لا يترك من أسرارهم شيئا، منها: ما كان بين صفوان بن أمية وبين عمير بن وهب، فقال: جئت في فكاك ابني، فقال له: كذبت، بل قلت لصفوان وقد اجتمعتم في الحطيم وذكرتم قتلى بدر وقلتم: والله الموت أهون لنا من البقاء مع ما صنع محمد بنا، وهل حياة بعد أهل القلب ؟ فقلت أنت: لولا عيالي ودين علي لارحتك من محمد، فقال صفوان: على أن أقضي دينك وأن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما يصيبهن من خير أو شر، فقلت أنت: فاكتمها علي وجهزني حتى أذهب فأقتله، فجئت لتقتلني، قال: صدقت يا رسول الله، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وأشباه هذا مما لا يحصى (٢). وفي اصول الكافي: عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم،

---

(١) كذا في نسخة – أ – والصحيح: استشهد. (٢) الاحتجاج للطبرسي: ج ١ ص ٢٢٣ س ١٤، احتجاجه (عليه السلام) على اليهود من أخبارهم ممن قرأ الصحف والكتب في معجزات النبي (صلى الله عليه وآله) وكثير من فضائله مع تقديم وتأخير وحذف وإسقاط لبعض الجمل. (*)

عن مثنى الحناط، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي جعفر (عليه السلام) فقلت له: وأنت ورثت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ قال: نعم، قلت: رسول الله (صلى الله عليه وآله) وارث الانبياء علم كلما علموا ؟ قال: نعم، قلت: فأنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرئوا الاكمه والابرص ؟ قال لي: نعم بإذن الله، ثم قال: ادن مني يا أبا محمد فدنوت منه فمسح على وجهي وعلى عيني،

فأبصرت الشمس والسماء والارض والبيوت وكل شئ في البلد، ثم قال لي: أتحب أن تكون هكذا ولك ما للناس وعليك ما عليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصا (١) ؟ قلت: أعود كما كنت. فمسح على عيني، فعدت كما كنت، فحدثت ابن أبي عمير بهذا، فقال: أشهد أن هذا حق كما أن النهار حق (٢). وفي كتاب التوحيد: في باب مجلس الرضا (عليه السلام) مع أصحاب الاديان والمقالات، قال الرضا (عليه السلام): لقد اجتمعت قريش إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسألوه أن يحيي لهم موتاهم، فوجه معهم علي بن أبي طالب فقال: اذهب إلى حبانة (٣) فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك يا فلان ويا فلان ويا فلان يقول لكم محمد قوموا بإذن الله (عز وجل) فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، وأقبلت قريش تسألهم عن امورهم ثم أخبروهم أن محمدا قد بعث نبيا، وقالوا: وددنا أنا كنا أدركناه فنؤمن به. ولقد أبرأ الاكمه والابرص كلمه البهائم والطير والجن والشياطين، ولم نتخذه ربا من دون الله (عز وجل) (٤).

(٩٩/٣)

---

(١) دل على أن ذا البلية لا يحاسب ويغفر له ما لا يغفر لغيره (شرح الاصول للمازندراني: ج ٧ ص ٢٣٧. (٢) الكافي: ج ١ ص ٣٩١ كتاب الحجة، باب مولد ابي جعفر محمد بن علي، ح ٣. (٣) كذا في نسخة – ١ – والصحيح جبانة والجبانة الصحراء وتسمى بها المقابر، لانها تكون في الصحراء تشبيه للشئ بموضعه، ومنه الحديث: إنما الصلاة يوم العيد على من خرج إلى الجبانة، والجبان بدون الهاء الصحراء أيضا كالجبانة ومنه حديث المباهلة: وأبرز أنت وهو إلى الجبان (مجمع البحرين، لغة جبن). (٤) كتاب التوحيد: ص ٤٢٣ باب ٦٥ ذكر مجلس الرضا علي بن موسى (عليهما السلام) مع أهل الاديان وأصحاب المقالات، قطعة من ح ١ ص ٥. (*)

(١٠٠/٣)

[ومصدقا لما بين يدى من التورة ولا حل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بئاية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون (٥٠) إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صرط مستقيم (٥١)] ومصدقا لما بين يدى من التورة: عطف على (رسولا) على الوجهين، أو منصوب بإضمار فعل دل عليه (قد جئتكم) أي

وجئتكم مصدقا. ولا حل لكم: مقدر بإضمار فعل دل عليه (قد جئتكم) أي وجئتكم لا حل، أو مردود على قوله (قد جئتكم بآية) أي جئتكم لا ظهر آية ولا حل، أو على معنى (مصدقا) أي جئتكم لا صدق ولا حل كقولهم: جئتك معتذرا ولا طيب قلبك. بعض الذى حرم عليكم: أي في شريعة موسى (عليه السلام) كالشحوم والثروب (١) والسمك والحوم الابل، والعمل في السبت. وفي الآية دلالة على أن شرعه كان ناسخا لشرع موسى (عليه السلام). وفي تفسير العياشي: عن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان بين دواد وعيسى بن مريم (عليهما السلام) أربعمائة سنة، وكان شريعة عيسى أنه بعث بالتوحيد والاخلاص، وبما أوصى به نوح وإبراهيم وموسى، وأنزل عليه الانجيل، وأخذ عليه الميثاق الذي أخذ على النبيين، وشرع له في الكتاب أقام الصلاة مع الدين، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحريم الحرام وتحليل الحلال، وأنزل عليه في الانجيل مواعظ وأمثال وحدود، ليس فيها قصاص، ولا أحكام حدود، ولا فرض مواريث، وأنزل عليه تخفيف ما كان نزل على موسى في

---

(١) الثرب: شحم رقيق يغشى الكرش والامعاء وجمعه ثروب، والثرب الشحم المبسوط على الامعاء والمصارين وشاة ثرباء عظيمة الثرب (لسان العرب ج ١ ص ٢٣٤ لغة ثرب). (*)

[فلما أحسن عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون – نحن أنصار الله ءامنا بالله واشهد بأنا مسلمون (٥٣)] التوراة، وهو قول الله في الذي قال عيسى بن مريم لبني إسرائيل " ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم " وأمر عيسى من معه ممن اتبعه من المؤمنين أن يؤمنوا لشريعة التوراة والانجيل (١). وجئتكم باية من ربكم فاتقو الله وأطيعو * إن الله ربى وربكم فاعبدوه هاذا صراط مستقيم: الظاهر أن قوله " جئتكم باية من ربكم " تكرير لما قبله، أي قد جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم. والاول لتمهيد الحجة والثاني للتقريبها إلى الحكم، ولذلك رتب عليه بالفاء قوله (فاتقوا الله) أي أني جئتكم بالمعجزات القاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة وأطيعوا لي فيما أدعوكم إليه، ثم شرع في الدعوة وأشار إليها بالقول المجمل، فقال: " إن الله ربي وربكم " إشارة إلى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد، وقال: " فاعبدوه " إشارة إلى استكمال القوة العملية، فإنه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي، ثم قرر ذلك بأن بين: إن الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود عليه بالاستقامة. وقيل: معناه وجئتكم بآية اخرى

ألهمنيها ربكم، وهو قوله " إن الله ربي وربكم " فإنه دعوة الحق المجمع عليه فيما بين الرسل، الفارقة بين النبي والساحر، أو جئتكم على أن الله ربي وربكم، وقوله " فاتقوا الله وأطيعون " اعتراض. فلما أحسن عيسى منهم الكفر: قيل: تحقق كفرهم عنده، تحقق ما يدرك

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٥ ح ٥٢. (*)

بالحواس. وفي تفسير العياشي: وروي عن ابن أبي عمير، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله: " فلما أحس عيسى منهم الكفر " أي لما سمع ورأى أنهم يكفرون (١). فعلى هذه الرواية كان الاحساس مستعملا في معناه الحقيقي، ولا يكون استعارة تبعية كما في الاول. قال من أنصارى: جمع ناصر، وحمله على (من) لارادة المتعدد منه، أو للمبالغة في كونه ناصرا. إلى الله: ملتجئا إلى الله، أو ذاهبا أو ضاما إليه. ويحتمل تعلقه بـ (أنصاري) على تضمين الاضافة، أي من الليف (٢) يضيفون أنفسهم إلى الله في نصري. وقيل: (إلى) ههنا بمعنى، مع، أو في، أو اللام. قال الحواريون: حواري الرجل صفوته وخالصته، من الحور، وهو البياض الخالص، ومنه الحواريات للحضريات لخلوص ألوانهن ونظافتهن. قال: فقل للحواريات يبكين غيرنا * ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح (٣). وفي وزنه الحوالي، وهو الكثير الحيلة. سمي أصحاب عيسى (عليه السلام)، قال: لخلوص نيتهم ونقاء (٤) سريرتهم. وقيل: كانوا ملوكا يلبسون البيض، استنصربهم عيسى على اليهود. وقيل: قصارون يحورن الثياب ويبيضونها.

---

(١) لم نعثر عليه في تفسير العياشي وذكره علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٣ في تفسيره لقوله تعالى " فلما أحس عيسى " الآية. (٢) كذا في نسخة – ١ – والصحيح الذين. (٣) للحارث بن جلزة اليشكري، يقول: فقل للنساء الحضريات الصافيات البياض يبكين غيرنا، كناية عن أنه ليس من أهل التنعم، ثم نهى عن أن يبكيهم إلا الكلاب التي تساق معهم للصيد، أو التي جرت عادتها بأكل قتلاهم في الحرب، أو التي تنبحهم إذا أقلبوا على أصحابها، كناية عن أنه من أهل البدو والغزو (عن هامش الكشاف: ج ١ ص ٣٦٦). (٤) في نسخة – أ –: وفقاء والصحيح ما أثبتناه لاقتضاء سياق الكلام. (*)

---

[١٠٢]

(١٠٣/٣)

[ربنآء امنا أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشهدين ٥٣ ومكروا ومكر الله والله خيرا المكرين (٥٤)] نحن أنصار الله: في دينه. ءامنا بالله: الذي دعوت إليه. واشهد بأنا مسلمون: لتشهد يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم. ربنآءامنا بما أنزلت: في كتبك. واتبعنا الرسول: أي عيسى (عليه السلام) فيما دعى إليه. فاكتبنا مع الشهدين: بوحدانيتك، أو مع الانبياء الشاهدين. وقيل: أو مع أمة محمد (صلى الله عليه وآله) فإنهم شهداء على الناس (١). ومكروا: أي الذين أحسن منهم الكفر من اليهود، بأن وكلوا عليه من يقتله غيلة. ومكر الله: بأن رفع عيسى والفى شبه على غيره حتى قتل. والمكر حيلة يجلب بها الغير إلى المضرة، وإسناده إلى الله على سبيل الازدواج. وفي عيون الاخبار عن الرضا (عليه السلام) في حديث طويل، وفيه قال: سألته عن قول الله عز وجل: " سخر الله منهم " (٢) وقوله: " الله يستهزئ بهم " (٣) وقول تعالى: " ومكرواو مكر الله " وعن قوله عز وجل: " يخادعون الله وهو خادعهم " (٤).

---

(١) نقله في الكشاف: ج ١ ص ٣٦٦ في تفسيره لقوله تعالى " فاكتبنا مع الشاهدين ". (٢) التوبة: ٧٩. (٣) البقرة: ١٥. (٤) النساء: ١٤٢. (*)

---

[١٠٣]

(١٠٤/٣)

[إذا قال الله يعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون (٥٥)] فقال: إن الله (عز وجل) لا يسخر ولا يستهزئ، ولا يمكر ولا يخادع، ولكنه (عز وجل) يجازيهم جزاء السخرية، وجزاء الاستهزاء، وجزاء المكر والخديعة، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا (١). والله خير المكرين: أقد رهم على أيصال الضر إلى الغير. إذا قال الله: ظرف لـ (مكر الله) وقيل: أو لـ (خير الماكرين) أو لمضمر مثل وقع ذلك. يعيسى إنى متوفيك: أي مستوفي أجلك، عاصما إياك من

قتلهم، أو قابضك من الارض، من توفيت مالي وقيل: أو متوفيك نائما، وقيل: أماته الله سبع ساعات ثم رفعه، وقيل: أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج. ورافعك إلى: إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي، وذلك في ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان. في كتاب الخصال: عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: في حديث طويل يذكر فيه الاغسال في شهر رمضان -: وليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي مات فيها أوصياء الانبياء، وفيها رفع عيسى (عليه السلام) (٢).

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٢٦ باب ١١ ما جاء عن الرضا من الاخبار في التوحيد قطعة من ح ١٩. (٢) الخصال: ص ٥٠٨، باب السبعة عشر، الغسل في سبعة عشر موطنا، قطعة من ح ١. (*)

ومطهرك من الذين كفروا: أي من سوء جوارهم. أو قصدهم. وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: إن عيسى (عليه السلام) وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه، فاجتمعوا إليه عند المساء وهم اثنا عشر رجلا فأدخلهم بيتا، ثم خرج عليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء، فقال: إن الله أوحى إلي، أنه رافعي إليه الساعة ومطهري من اليهود، فأيكم يلقى إليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي ؟ فقال شاب منهم: أنا يا روح الله، فقال: فأنت هو ذا، فقال لهم عيسى: أما إن منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، فقال له رجل منهم: أنا يا نبي الله، فقال عيسى: أتحس بذلك في نفسك ؟ فلتكن هو، ثم قال لهم عيسى: أما إنكم ستفترقون بعدي على ثلاث فرق، فرقتين مفتريتين على الله في النار، وفرقة تتبع شمعون صادقة على الله في الجنة، ثم رفع الله عيسى إليه من زاوية البيت وهم ينظرون إليه، ثم قال: إن اليهود جاءت في طلب عيسى من ليلتهم، فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى أن منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، وأخذوا الشاب الذي ألقى عليه شبح عيسى (عليه السلام)، فقتل وصلب، وكفر الذي قال له عيسى تكفر قبل أن تصبح اثنتي عشرة كفرة (١). وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى محمد بن إسماعيل بن أبي رافع عن أبيه (٢) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن جبرئيل (عليه السلام) نزل علي بكتاب فيه خبر الملوك، ملوك الارض، وخبر من بعث قبلي من

الانبياء والرسل، وهو حديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. قال: لما ملك أشج بن أشجان (٣)، وكان يسمى الكيس، وكان قد ملك

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٣ في تفسيره لقوله تعالى: " إني متوفيك ورافعك إلي ".
(٢) في المصدر: عن محمد بن إسماعيل القرشي عمن حدثه عن إسماعيل بن أبي رافع. (٣) معرب (اشك بن اشكال) كذا في الهامش. (*)

مائتين وستا وستين سنة، ففي سنة إحدى وخمسين من ملكه بعث الله عز وجل عيسى ابن مريم (عليه السلام) واستودعه النور والعلم والحكمة وجميع علوم الانبياء قبله، و زاده الانجيل، وبعثه إلى المقدس إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى كتابه وحكمته وإلى الايمان بالله وبرسوله، فأبى أكثرهم إلا طغيانا وكفرا، فلما لم يؤمنوا دعا ربه وعزم عليه فمسخ منهم شياطين ليريهم آية فيعتبروا، فلم يزدهم ذلك إلا طغيانا وكفرا، فأتى بيت المقدس فمكث يدعوهم ويرغبهم فيما عند الله ثلاث وثلاثين سنة حتى طلبته اليهود وادعت أنها عذبته ودفنته في الارض حيا، وادعى بعضهم أنهم قتلوه وصلبوه، وما كان الله ليجعل لهم سلطانا عليه، وإنما شبه لهم، وما قدروا على عذابه ودفنه، ولا على قتله وصلبه، لانهم لو قدروا على ذلك لكان تكذيبا لقوله " ولكن رفعه الله " بعد أن توفاه (عليه السلام)، فلما أراد الله أن يرفعه أوحى إليه أن استودع نور الله وحكمته وعلم كتابه شمعون بن حمون الصفا خليفة على المؤمنين ففعل ذلك (١). قوله " بعد أن توفاه " يحتمل أن يكون معناه، بعد أن قبضه من الارض، أو بعد أن أماته عن الشهوات العائقة، أو أماته موتا حقيقيا كما ذهب إليه البعض، أو بعد أن قرر في علمه أن يستوفي أجله، وهذا أبعد. وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة: يعلونهم بالحجة أو السيف. ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى، وإلى الآن لم تسمع غلبة اليهود عليهم، ولا يتفق لهم ملك ولا دولة. ثم إلى مرجعكم: فيه تغليب لمخاطبين على غيرهم. فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون: من أمر الدين.

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ج ١ ص ٢٢٤ باب ٢٢ اتصال الوصية من لدن آدم وأن الارض لا تخلو من حجة لله (عز وجل) على خلقه إلى يوم القيامة قطعة من ح ٢٠. (*)

---

[١٠٦]

[فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من نصرين (٥٦) وأما الذين ءامنوا وعملوا الصلحت فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظلمين (٥٧) ذلك نتلوه عليك من الايت والذكر الحكيم (٥٨)] فأما الذين كفروا: من اليهود وغيرهم. فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا: بضرب الجزية والهوان. والاخرة: بالنار. ومالهم من نصرين: يسعون في استخلاصهم. وأما الذين ءامنوا وعملوا الصلحت فيوفيهم أجورهم: أي في الدنيا والآخرة. وقرأ حفص بالياء. والله لا يحب الظلمين: ويحب المؤمنين. ذلك: أي نبأ عيسى وغيره مما تقدم. مبتدأ وخبره. نتلوه عليك وقوله: من الايت: حال من الهاء. ويحتمل أن يكون هو الخبر، و " نتلوه " حالا والعامل فيه معنى الاشارة، وأن يكونا خبرين، ويحتمل أن يكون " ذلك " منصوبا بما يفسره " نتلوه ". والذكر: أي القرآن، وقيل: اللوح. الحكيم: المشتمل على الحكم، أو المحكم عن تطرق الخلل إليه.

---

[١٠٧]

[إن مثل عيسى عند الله كمثل ءادم خلقه من تراب ثم قال له، كن فيكون (٥٩) الحق من ربك فلا تكن من الممترين (٦٠)] إن مثل عيسى عند الله كمثل ءادم: أي شأنه الغريب كشأن آدم. خلقه من تراب: جملة مفسرة لوجه الشبه، وهو أنه خلق بلا أب كما خلق آدم بلا اب، وبلام أيضا، شبه حاله بما هو أغرب، إفحاما للخصم بطريق المبالغة. ثم قال له كن: أي إنشأ بشرا، والمراد بالخلق، خلق الغالب، أو المراد قدر تكوينه، ثم كونه، ويحتمل أن يكون " ثم " لتراخي الخبر. فيكون: حكاية حال ماضية. في تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي، عن النضر بن سويد، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام): أن نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان سيدهم الاهتم والعاقب والسيد، وحضرت صلاتهم، فأقبلوا يضربون بالناقوس وصلوا، فقال أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا رسول الله هذا في مسجدك ؟ فقال: دعوهم، فلما فرغوا دنوا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا: إلى ما تدعونا ؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث، قالوا: فمن أبوه ؟ فنزل: الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لهم: ما تقولون في آدم ؟ أكان عبدا مخلوقا يأكل ويشرب ويحدث وينكح، فسألهم

النبي (صلى الله عليه وآله) فقالوا: نعم، فقال: فمن أبوه ؟، فبهتوا، فأنزل الله تبارك وتعالى " إن مثل عيسى عند الله " الآية (١). الحق من ربك: " الحق " مبتدأ، و " من ربك " خبره، أي الحق المذكور من

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٤، في تفسيره لقوله تعالى " إن مثل عيسى " الآية. (*)

[فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أنباء ناو أبناء كم ونساء نا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكذبين (٦١)] الله، أو خبر مبتدأ محذوف و " من ربك " صفة، أو حال منه، ويحتمل تعلقه به. فلا تكن من الممترين: الخطاب إن كان للنبي، فلزيادة التهيج على الثبات، أو للتعريض وإن كان لكل سامع فعلى أصله. فمن حاجك: من النصارى. فيه: في عيسى. من بعد ما جاءك من العلم: أي البينات الموجبة للعلم. فقل تعالوا: هلموا بالعزم والرأى. ندع أبنائنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم: أي يدع كل منا ومنكم نفسه وأعزه أهله إلى المباهلة، ويحملهم عليها. وإنما قدمهم على النفس، لان الرجل يخاطر بنفسه لهم، فهم أهم عنده. وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن أبي عبد الله (عليه السلام): وأما قوله " فمن حاجك "، الآية، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): فباهلوني، فإن كنت صادقا أنزلت اللعنة عليكم، وإن كنت كاذبا أنزلت علي، فقالوا: أنصفت، فتواعدوا للمباهة فلما رجعوا إلى منازلهم قال رؤساؤهم: السيد والعاقب والاهتم، إن باهلنا بقومه باهلناه، فإنه ليس بنبي، وإن باهلنا بأهل بيته خاصة فلانباهله، فإنه لا يقدم أهل بيته إلا وهو صادق، فلما أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين)، فقال النصارى: من هؤلاء ؟ فقيل لهم: إن هذا ابن عمه ووصية وختنه علي بن أبي

طالب، وهذه ابنته فاطمة، وهذان ابناه الحسن والحسين (عليهما السلام) ففرقوا، وقالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله): نعطيك الرضا، فاعفنا عن المباهلة، فصالحهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) على الجزية، وانصرفوا (١). فقد ظهر: من دعى النبي (صلى الله عليه وآله) من الابناء، هو الحسن والحسين، ومن النساء فاطمة، وبقي علي لا يدخل في شئ إلا في قوله " وأنفسنا " فهو نفس الرسول (صلى الله عليه وآله). وقد صح في الخبر أنه (عليه السلام) وقد سأله سائل عن بعض أصحابه، فأجابه عن كل بصفته، فقال: فعلي ؟ فقال (صلى الله عليه وآله): إنما سألتني عن النسا، ولم تسألني عن نفسي (٢). ثم نبتهل: بأن نلعن الكاذب منا. ولبهلة بالضم والفتح اللعنة، وأصله الترك، من قولهم: بهلت الناقة إذ تركتها بلا صرار (٣). وفي كتاب معاني الاخبار: بإسناده إلى علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر قال: التبتل أن تقلب كفيك في الدعاء إذا دعوت، والابتهال أن تقدمهما وتبسطهما (٤). وفي اصول الكافي: عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن إسماعيل بن مهران، عن مخلد أبي الشكر، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر (عليه السلام)

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٤ في تفسيره لقوله تعالى " إن مثل عيسى عند الله " الآية وقد مر آنفا. (٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٥٣ في بيان معنى قوله تعالى: " فقل تعالوا ندع أبناءكم " الآية. (٣) ومنه الحديث (لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحل صرار ناقة بغير إذن صاحبها فإنه خاتم أهلها، من عادة العرب أن تصر ضروع الحلوبات إذا أرسلواها إلى المرعى سارحة، ويسمون ذلك الرباط صرارا، فإذا راحت عشيا حلت تلك الاصرة وحلبت (النهاية ج ٣ لغة صرر). (٤) معاني الاخبار. ص ٣٦٩، باب معنى الرغبة والرهبة والتبتل والابتهال والتضرع والبصبصة في الدعاء، قطعة من ح ٢. (*)

(١١١/٣)

قال: الساعة التي تباهل فيها ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس (١) (٢). فنجعل لعنت الله على الكذبين: عطف فيه بيان. وفي كتاب الخصال: في احتجاج علي (عليه السلام) على أبي بكر قال: فانشدك بالله أبي رد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبأهلي وولدي في مباهلة المشركين من النصارى أم بك ؟ وبأهلك وولدك ؟ قال: بكم (٣). وفيه أيضا: في مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) وتعدادها، قال (عليه السلام): والرابعة والثلاثون فإن النصارى ادعوا أمرا، فأنزل الله (عز

وجل) فيه " فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم " فكانت نفسي نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والنساء فاطمة، والابناء الحسن والحسين، ثم ندم القوم، فسألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) الاعفاء، فعفى عنهم، وقال: والذي أنزل التوارة على موسى والفرقان على محمد، لو باهلونا لمسخهم قردة وخنازير (٤).

وفي روضة الكافي: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الحسن ابن ظريف، عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال لي أبو جعفر (عليه السلام): ما يقولون لكم في الحسن والحسين (عليهما السلام) قال قال: ينكرون علينا إنهما إبنا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: فأي شئ احتججتم عليهم يا أبا الجارود قلت: احتججنا عليهم بقول الله (تعالى) لرسول الله (صلى الله عليه وآله) " قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا

(١١٢/٣)

---

(١) قوله: الساعة التي تباهل فيها إلخ لانه وقت استجابة الدعاء وينبغي طلب هذا الوقت للمباهلة إن أمكن وإلا فيجوز في غيره (شرح اصول الكافي للمازندراني: ج ١٠ ص ٢٦٧ كتاب العداء).

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٥١٤ كتاب الدعاء، باب المباهلة، ح ٢. (٣) الخصال: ص ٥٥٠، أبواب الاربعين وما فوقه، احتجاج أمير المؤمنين على أبي بكر بثلاث وأربعين خصلة، ح ٣٠. (٤) الخصال: ص ٥٧٦ أبواب السبعين وما فوقه، لأمير المؤمنين (عليه السلام) سبعين منقبة لم يشركه فيها أحد من الائمة، ح ١. (*)

(١١٣/٣)

ونساءكم وانفسنا وانفسكم " والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة (١). بإسناده إلى أبي اسحاق، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: فالابتهال رفع اليدين وتمديدهما وذلك عندالدمعة (٢). وبإسناده إلى مروك بياع اللؤلؤ عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: وهكذا الابتهال ومد يديه تلقاء وجهه إلى القبلة، ولا تبتهل حتى تجري الدمعة (٣). عدة من اصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن ابيه، عن فضالة، عن العلاء، عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام):

والابتهال تبسط يدك وذراعيك، والابتهال حين ترى اسباب البكاء (٤). وبإسناده إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: وأما الابتهال فرفع يديك تجاوز بهما رأسك (٥). وبإسناده إلى محمد بن مسلم وزرارة قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): والابتهال ان تمد يديك جميعا (٦). وهذه الاحاديث طوال أخذت منه موضع الحاجة. وفي تفسير العياشي: عن جرير (٧)، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن أمير المؤمنين (عليه السلام) سئل عن فضائله فذكر بعضها، ثم قالوا له: زدنا، فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتاه حبران من أحبار اليهود من أهل نجران فتكلما في أمر عيسى فأنزل هذه الآية " ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه " إلى آخر الآية، فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخذ بيد علي والحسن والحسين وفاطمة، ثم خرج ورفع كفه إلى السماء وفرج بين أصابعه ودعاهم إلى

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ٢٦٣ و ٢٦٤ ح ٥٠١. (٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٧٩ قطعة من ح ١. (٣) الكافي: ج ٢ ص ٤٨٠ قطعة من ح ٣. (٤) الكافي: ج ٢ ص ٤٨٠ قطعة من ح ٤. (٥) الكافي: ج ٢ ص ٤٨٠ قطعة من ح ٥. (٦) الكافي: ج ٢ ص ٤٨١ قطعة من ح ٧. (٧) في المصدر: حريز. (*)

المباهلة قال: وقال أبو جعفر (عليه السلام): وكذلك المباهلة يشبك يده في يده ثم يرفعهما إلى السماء، فلما رآه الحبران قال احدهما لصاحبه: وان كان نبيا لنهلكن وان كان غير نبي كفانا قومه فكفانا وانصرفا (١). عن أبي جعفر الاحول، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): ما تقول قريش في الخمس ؟ قال: قلت: تزعم أنه لها، قال: ما أنصفونا والله ولو كان مباهلة ليباهلن بنا، ولئن كان مبارزة ليبارزن بنا ثم نكون وهم على سواء (٢). وفي مجمع البيان: وقال (عليه السلام): إن كل بني بنت ينسبون إلى أبيهم إلا أولاد فاطمة فاني أنا أبوهم (٣). وفي عيون الاخبار في باب جمل من اخبار موسى بن جعفر (عليه السلام) مع هارون الرشيد لما قال له: كيف تكونون ذرية رسول الله وانتم اولاد ابنته ؟ حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) لهارون: أزيدك يا أمير المؤمنين، قال: هات، قلت: قول الله تعالى: " فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين " ولم يدع احد إنه أدخل النبي (صلى الله عليه وآله) تحت الكساء عند المباهلة للنصارى إلا علي بن أبي طالب

وفاطمة والحسن والحسين فكان تأويل قوله عز وجل: " ابناءنا " الحسن والحسين و " نساءنا " فاطمة " وأنفسنا " علي بن أبي طالب على أن العلماء قد إجتمعوا على أن جبرائيل قال يوم احد: يا محمد إن هذه لهي المواساة من علي قال: لانه مني وأنا منه (٤). وفيه في باب ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المأمون في الفرق بين العترة والامة حديث طويل، وفيه قالت العلماء: فأخبرنا هل فسر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب ؟ فقال الرضا (عليه السلام): فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطنا وموضعا فأول ذلك قوله عز وجل، إلى أن قال: وأما الثالثة حين

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٥ ح ٥٤. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٦ ح ٥٦. (٣) مجمع البيان: ج ٧ - ٨ ص ٣٦١. (٤) عيون الاخبار: ج ١ ص ٦٩ قطعة من ح ٩. (*)

ميز الله الطاهرين من خلقه فأمر نبيه (صلى الله عليه وآله) بالمباهلة بهم في آية المباهلة، فقال عز وجل: يا محمد فمن " حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناء كم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين " فأبرز النبي (صلى الله عليه وآله) عليا والحسن والحسين وفاطمة (صلوات الله عليهم) وقرن أنفسهم بنفسه هل تدرون ما معنى قوله: " وأنفسنا وأنفسكم " " قالت العلماء: عنى به نفسه، قال أبو الحسن (عليه السلام): غلطتم إنما عني به علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومما يدل على ذلك قول النبي (صلى الله عليه وآله): لينتهين بنو وليعة أو لا بعثن إليهم رجلا كنفسي، يعني علي ابن أبي طالب (عليه السلام) [وعنى بالابناء الحسن والحسين عليهما السلام] (١) وعنى بالنساء فاطمة (عليها السلام) فهذه خصوصية لا يتقدمهم فيها أحد وفضل لا يلحقهم فيه بشر وشرف لا يستبقهم إليه خلق إذ جعل نفس علي كنفسه (٢). وفيه عن النبي (صلى الله عليه وآله) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): يا علي من قتلك فقد قتلني ومن ابغضك فقد ابغضني ومن سبك فقد سبني لانك مني كنفسي، وروحك من روحي، وطينتك من طينتي (٣). وفي كتاب علل الشرائع: عن أبي جعفر الثاني (عليه السلام): حديث طويل ذكرته بتمامه في سورة يونس عند قوله تعالى " فان كنت في شك " الآية ففيه: أن المخاطب بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يكن في شك مما أنزل الله (عز وجل) ولكن قالت الجهلة: كيف لا يبعث إلينا نبيا من الملائكة إنه لم يفرق بينه وبين غيره في الاستغناء

عن المأكل والمشرب والمشي في الاسواق، فأوحى الله (عز وجل) إلى نبيه (صلى الله عليه وآله) " فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك

(١١٦/٣)

" بمحضر من الجهلة هل بعث الله (عز وجل) رسولا قبلك إلا وهو يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ولك بهم اسوة وإنما قال: " وان كنت في شك " ولم يقل

---

(١) ما بين المعقوفتين ليس في النسخة – أ – واثبتناه من المصدر لاكمال المعنى. (٢) عيون الاخبار: ج ١ ص ١٨١ قطعة من ح ١. (٣) عيون الاخبار: ج ١ ص ٢٣١ قطعة من ح ٥٣. (*)

---

[١١٤]

[إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم (٦٢) فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين (٦٣)] ولكن ليتبعهم كما قال له (عليه السلام) " فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين " ولو قال: تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يكونوا يجيبون للمباهلة وقد عرف أن النبي (صلى الله عليه وآله) مؤدي عنه رسالته وما هو من الكاذبين وكذلك عرف النبي (صلى الله عليه وآله) أنه صادق فيما يقول ولكن أحب أن ينصف من نفسه (١). وفي تفسير العياشي: عن محمد بن سعيد الاردني، عن موسى بن محمد بن الرضا، عن أخيه (٢) أبا الحسن الرضا (عليه السلام) في هذه الآية: " قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله " عليكم لم يكونوا يجيبون للمباهلة وقد علم أن نبيه مؤدي عنه رسالاته وما هو من الكاذبين (٣). وفيه عن المنذر، قال: حدثنا علي (عليه السلام) قال: لما نزلت هذه الآية " قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم وأنفسنا وأنفسكم " الآية قال: أخذ بيد علي وفاطمة وابنيهما (عليهما السلام) فقال رجل من اليهود: لا تفعلوا فيصيبكم عنت الوجوه فلم يدعوه (٤). وفي شرح الآيات الباهرة: أن النبي (صلى الله عليه وآله) صالحهم على ألفي حلة وثلاثين درعا وثلاثين فرسا، وكتب بذلك كتابا ورجعوا إلى بلادهم (٥). إن هذا: أي ما قص من نبأ عيسى ومريم.

(١١٧/٣)

(١) علل الشرائع: ص ١٢٩ باب ١٠٧ ح ١. (٢) في هامش النسخة – أ –: (إنه سمع جده ظ). (٣) و (٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٦ و ١٧٧ ح ٥٥ و ٥٨. (٥) لم نعثر عليه في شرح الآيات الباهرة بل وجدناه في تأويل الآيات الطاهرة: ص ١١٧. (*)

---

[١١٥]

[قل يأهل الكتب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله والا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون (٦٤)] لهو القصص الحق: بجملتها خبر " إن " أو هو فصل يفيد أن ما ذكره في شأن عيسى ومريم حق، دون ما ذكروه وما بعده خبر، واللا دخلت فيه، لانه أقرب إلى المبتدأ من الخبر، وأصلها أن يدخل على المبتدأ وههنا دخول " إن " عليه مانع، فأخر. وما من إله إلا الله: زيادة " من " لزيادة الاستغراق، لتأكيد الرد على النصارى في تثليثهم. وإن الله لهو العزيز: لا يساويه أحد في القدرة التامة. الحكيم: ولا في الحكمة البالغة، ليشاركه في الالهية. فإن تولوا: عن التوحيد. فإن الله عليم بالمفسدين: إيراد المظهر، ليدل على أن التولي إفساد للدين والاعتقاد. قل يأهل الكتب: قيل: يعم أهل الكتابين، وقيل: يريد به وفد نجران، أو يهود المدينة. تعالوا إلى كلمة سوآء بيننا وبينكم: لا يختلف فيها الرسل والكتب، وهي: ألا نعبد إلا الله: أي نوحده بالعبادة. ولا نشرك به شيئا: لا نجعل له غيره شريكا في استحقاق العبادة. ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله: ولا نقول عزيز ابن الله، ولا المسيح

---

[١١٦]

[يأهل الكتب لم تحاجون في إبرهيم وما أنزلت التورة والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون (٦٥)] ابن الله، ولا نطيع الاحبار في ما أحدثوا من التحريم والتحليل، لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا. وفي مجمع البيان: وقد روي لما نزلت هذه الآية قال عدي بن حاتم: ما كنا نعبدهم يا رسول الله، فقال (عليه السلام): اما كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم ؟ فقالوا: نعم، فقال النبي (عليه السلام) هو ذاك (١). فإن تولوا: عن التوحيد. فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون: أي لزمتكم الحجد فوجب عليكم أن تعرفوا تسلموا بأنا مسلمون دونكم، كما يقول الغالب للمغلوب في جدل وصراع أو غيرهما: أعترف بأني أنا الغالب، وسلم لي الغلبة. ويجوز أن يكون من باب التعريض، ومعناه اشهدوا

واعترفوا بأنكم كافرون، حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره. يأهل الكتب لم تحاجون في إبرهيم: ويدعي كل فريق أن إبراهيم كان على دينهم، اليهود يدعون يهوديته، والنصارى نصرانيته. وما أنزلت التورة: التي ثبت بها اليهودية. والانجيل: التي ثبت به النصرانية. إلا من بعده: أي بعد إبراهيم. انزلت التوراة بعده بألف سنة، والانجيل بألفي سنة، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعده بأزمنة متطاولة. أفلا تعقلون: حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال.

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٥٥ في بيان معنى قوله تعالى: " قل يا أهل الكتاب تعالوا.. " الآية. (*)

[هأنتم هؤلاء حججتم ففيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون (٦٦)] هكذا قاله المفسرون، وفيما قالوه إشكال من وجهين: الاول: أنه يمكن أن يقال من قبل اليهود والنصاري: إن كون إبراهيم منهم لا يتوقف على نزول التوراة والانجيل في زمانه، لامكان إيحاء اليهودية أو النصرانية إليه، ثم أنزل التوراة والانجيل على طبق ما اوحي إليه سابقا. الثاني: أنه قد تواتر أن إبراهيم (عليه السلام) كان مسلما، وقد دلت عليه الآية وشيعة، مع أن الاسلام والتشيع إنما ثبت بالقرآن الذي بعده، فما هو جوابكم فهو جوابهم. والاظهر أن مضمون الآية، والله أعلم، أن كلا من اليهود والنصارى يدعي أن إبراهيم كان علي الدين الذي هم عليه الآن من اليهودية التي حدثت بعد التوراة، والنصرانية التي حدثت بعد الانجيل بالتحريف والتبديل، فقال الله تعالى: " لم تحاجون في إبراهيم " وتدعون أنه كان على ما أنتم عليه الآن، وهو حدث بتحريفكم بعد إنزال التوراة والانجيل بعد إبراهيم، بمدد متطاولة وما كان أصل من الله حتى يحتمل أن يوحيه إلى إبراهيم ويكون هو عليه قبل إنزال التوراة والانجيل، " أفلا تعقلون ". وحينئذ لا يرد عليه شئ من الاشكالين، والله أعلم بحقيقة الحال. هأنتم هؤلاء حججتم فيما لكن به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم: " ها " حرف تنبيه، نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها. و " أنتم " مبتدأ، و " هؤلاء " خبره، و " حاججتم " جملة اخرى مبينة للاولى، أي أنتم هؤلاء الحمقي، وبيان حماقتكم، إنكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والانجيل من نعت النبي (صلى الله عليه وآله) عنادا، فلم تجادلون فيما لا علم

(١٢٠/٣)

ما كان إبرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين (٦٧)] لكم به ولا ذكر له في كتابكم، من أن إبراهيم كان على اليهودية أو النصرانية التي نحن عليها ؟. وقيل: " هؤلاء " بمعنى الذين و " حاججتم " صلته. وقيل: " ها أنتم " أصله، أأنتم، على الاستفهام، للتعجيب من حماقتهم، فقلبت الهمزة هاء. وقرأ نافع وأبو عمرو " ها أنتم " حيث وقع، بالمد من غير همزة، وورش (١) أقل مدا، وقيل: بالهمزة من غير ألف بعد الهاء، والباقون بالمد والهمزة، والبزي (٢) يقصر المد على أصله (٣). والله يعلم: ما حاججتم فيه، أوله العلم. وأنتم لا تعلمون: أي لا تعلمونه، أو لستم ممن له العلم. ما كان إبرهيم يهوديا ولا نصرانيا: بعد ما قرر أن إبراهيم لم يكن على اليهودية والنصرانية التي هم عليه الآن. نفي عنه اليهودية والنصرانية مطلقا، ولما كان يوهم ذلك كونه على غير الحق،

---

(١) ورش: هو عثمان بن سعيد المصري، ويكنى أبو سعيد، وورش لقب له، لقب به فيما يقال لشدة بياضه، وتوفي بمصر سنة سبع وتسعين ومائة. وورش مأخوذ من الورش، والورش شئ أبيض يصنع من اللبن، وقيل: هو مأخوذ من ورشت الطعام ورشا، إذا تناولت منه يسيرا " تحبير التيسير في قراءات الائمة العشرة: ص ١٤ ". (٢) البزي: هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة المؤذن المكي، توفي بمكة سنة أربعين ومائتين (المصدر والصفحة). (٣) لا حظ آرائهم في ذلك، في تحبير التيسير في قراءات الائمة العشرة: ص ٩٩. (*)

(١٢١/٣)

لان أصل اليهودية والنصرانية لم يكن غير حق، نفي ذلك الوهم بقوله: ولكن كان حنيفا: مائلا عن العقائد الزائفة. وما كان من المشركين: تعريض بأنهم مشركون، لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لا دعاء المشركين أنهم على ملة إبراهيم. وفي روضة الكافي: علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن علي بن حماد، عن عمر بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لا شرقية ولا غربية، يقول: لستم بيهود فتصلوا قبل المغرب والانصاري فتصلوا قبل المشرق وأنتم على ملة إبراهيم (عليه السلام) وقد قال الله (عز وجل): " ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما

وما كان من المشركين " (١). في اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله (عز وجل) " حنيفا مسلما " (٢) قال: خالصا مخلصا ليس فيه شئ من عبادة الاوثان (٣). مسلما: منقادا لله فيما شرع له، لان اليهودية صارت شرعا في أيام موسى، والنصرانية في بعثة عيسى، ولم يكونا مشروعين قبل ذلك، والمشروع حينئذ هو الاسلام. وفي تفسير العياشي: عن عبيد الله الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا، لا يهوديا يصلي

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ٣٨١ قطعة من ح ٥٧٤. (٢) قوله: حنيفا مسلما، الحنيف المسلم المنقاد، وهو المائل إلى الدين الحق، وهو الدين الخالص، ولذلك فسره (عليه السلام) بقوله: " خالصا لله مخلصا " عبادته عن ملاحظة غيره مطلقا، ثم وصفه على سبيل التأكيد بقوله (ليس فيه شئ من عبادة الاوثان) أي الاوثان المعروفة، أو الاعم منها، فيشمل عبادة الشياطين في إغوائها، وعبادة النفس في أهوائها، وقد نهي جل شأنه عن عبادتها فقال: " ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان " وقال: " أفرأيت من اتخذ إلهة هواه " شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج ٨ ص ٤٦ كتاب الايمان والكفر، باب الاخلاص. (٣) الكافي: ج ٢ ص ١٥، كتاب الايمان والكفر، باب الاخلاص ح ١. (*)

---

[١٢٠]

[إن أولى الناس بإبرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين ءامنوا والله ولى المومنين (٦٨)] إلى المغرب ولا نصرانيا يصلي إلى المشرق، ولكن كان حنيفا مسلما على دين محمد (صلى الله عليه وآله) (١). إن أولى الناس بإبرهيم: أي أقربهم به، من الولي بمعنى القرب. للذين اتبعوه: من امته. وهذا النبي والذين ءامنوا: لموافقتهم له في أكثر ما شرع لهم. والمراد بـ " الذين آمنوا " هم الائمة وأتباعهم. والله ولى المؤمنين: ينصرهم ويجازيهم الحسنى بإيمانهم. وفي اصول الكافي: الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشا، عن مثنى، عن عبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: " إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه (٢) وهذا النبي والذين آمنوا " قال: هم الائمة (عليهم السلام) ومن اتبعهم (٣).

(١٢٣/٣)

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٧ ح ٦٠. (٢) قوله " ان أولى الناس بإبراهيم " أي أخص الناس بإبراهيم وأقربهم منه للذين اتبعوه من امته وهذا النبي لموافقته له في اصول شريعته، والذين آمنوا بهذا النبي إيمانا حقيقيا وهم الائمة (عليهم السلام) ومن اتبعهم من الشيعة، وفيه قطع لافتخار كل من نسب نفسه إليه في النسب، أو الذين مع مخالفته له في اصول شريعته التي من جملتها تعيين الخليفة. هذا إذا قرئ " النبي " بالرفع على أنه خبر بعد خبر لـ " ان ". وأما إن قرئ بالنصب على العطف بالهاء في " اتبعوه " أو بالجر على العطف بإبراهيم، فيظهر معناه بأدنى تأمل، ويتعين حينئذ تفسير " الذين آمنوا " بالائمة، لا بهم وبمن اتبعهم، ويفتقر في قراءة الجر إلى تقدير والسياق قرينة له، فليتأمل (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج ٧ ص ٥٨). (٣) الكافي: ج ١ ص ٤١٦ كتاب الحجة باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح ٢٠. (*)

(١٢٤/٣)

وفي تفسير العياشي: عن علي بن النعمان عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: هم الائمة وأتباعهم (١). وفي مجمع البيان: قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): إن أولى الناس بالانبياء أعملهم بما جاؤوا به، ثم تلا هذه الآية..، قال: إن ولي محمد من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإن عدو محمد من عصى الله وإن قربت قرابته (٢). وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن عمر بن يزيد قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): أنتم والله من آل محمد، فقلت: من أنفسهم جعلت فداك ؟ قال: نعم والله من أنفسهم، ثلاثا، ثم نظر إلي ونظرت إليه، فقال: يا عمر إن الله يقول في كتابه: " إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين " (٣). وفيه في حديث طويل، وفيه يقول (صلى الله عليه وآله): ثم صعدنا إلى السماء السابعة فما مررت بملك من الملائكة إلا قالوا: يا محمد احتجم وامر امتك بالحجامة، وإذا فيها رجل أشمط الرأس واللحية (٤) جالس على كرسي، فقلت: يا جبرئيل من هذا الذي في السماء السابعة على باب البيت المعمور في جوار الله ؟ فقال: هذا يا محمد أبوك إبراهيم، وهذا محلك ومحل من اتقى من امتك، ثم قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) " إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين " (٥). حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن

منصور بن يونس، عن أبي خالد الكابلي قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): والله لكأني أنظر إلى القائم (عليه السلام) وقد

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٧ ح ٦٢. (٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٥٨ في بيان معنى قوله تعالى: " ان اولى الناس بإبراهيم " الآية. (٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٥. (٤) في حديث أنس (لو شئت أن أعد شمطات كن في رأس رسول الله (صلى الله عليه وآله) فعلت) الشمط: الشيب والشمطات الشعرات البيض التي كانت في شعر رأسه. (النهاية: ج ٢ ص ٥٠١ لغة شمط). (٥) تفسير علي بن إبراهيم: ج ٢ ص ٩. (*)

[ودت طائفة من أهل الكتب لو يضلونكم وما يضلون إلآ أنفسهم وما يشعرون (٦٩) يأهل الكتب لم تكفرون بايت الله وأنتم تشهدون (٧٠)] أسند ظهره إلى الحجر، ثم ينشد الله حقه، ثم يقول: يا أيها الناس من يحاجني في الله، فأنا أولى بالله، أيها الناس من يحاجني بآدم فأنا أولى بآدم، أيها الناس من يحاجني في نوح فأنا أولى بنوح، أيها الناس من يحاجني بإبراهيم فأنا أولى بإبراهيم، والحديث طويل اخذت منه موضع الحاجة (١). وفي نهج البلاغة: من كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جوابا: وكتاب الله يجمع لنا، ما شذ عنا، وهو قوله سبحانه: " واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله " (٢) وقوله تعالى: " إن أولى الناس بإبراهيم للذين وتارة أولى بالطاعة (٣). وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي في خطبة لعلي (عليه السلام) وفيها، قال الله عز وجل " إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي " وقال عز وجل " واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله " فنحن أولى الناس بإبراهيم، ونحن ورثناه، ونحن اولوا الارحام الذين ورثنا الكعبة، ونحن آل إبراهيم (٤). ودت طائفة من أهل الكتب لو يضلونكم: قيل: نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية (٥). و " لو " بمعنى (أن).

---

(١) لم نعثر عليه في تفسير القمي ونقلناه عن تفسير نور الثقلين: ج ١ ص ٢٩٤ ح ١٨٦. (٢) الانفال: ٧٥. (٣) نهج البلاغة: ص ٣٨٧ س ٦ ومن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جوابا، صبحي الصالح. (٤) الاحتجاج: ص ١٦٠ س ٢١، احتجاجه على الناكثين بيعته في خطبة خطبها حين نكثوها. (٥) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٣٧٢ في تفسيره لقوله تعالى: " ودت طائفة من أهل الكتاب " الاية. (*)

---

[١٢٣]

[يأهل الكتب لم تلبسون الحق بالبطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون (٧١) وقالت طائفة من أهل الكتب ء امنوا بالذى أنزل على الذين ءامنوا وجه النهار واكفروا ءاخره لعلهم يرجعون (٧٢)] وما يضلون إلا أنفسهم: وما يتخطاهم إلا ضلا، ولا يعود وباله إلا عليهم، إذيضاعف به عذابهم، أو يزيد به ضلالتهم ورسوخهم فيها، أو ما يضلون إلا أمثالهم. وما يشعرون: وزره واختصاص ضرره بهم. يأهل الكتب لم تكفرون بايت الله: الدالة على نبوة محمد مما نطقت به التوراة والانجيل. وأنتم تشهدون: إنها آيات الله، أو بالقرآن، أو أنتم تشهدون نعته في الكتابين، أو تعلمون بالمعجزات أنه حق. يأهل الكتب لم تلبسون الحق بالبطل: بالتحريف وإبراز الباطل في صورة الحق، أو بالتقصير في الميز بينهما. وقرئ " تلبسون " بالتشديد، و " تلبسون " بفتح الباء. وتكتمون الحق: من نبوة محمد (صلى الله عليه وآله) وأنتم تعلمون: عالمين بما تكتمونه، أو أنتم من أهل العلم. وقالت طائفة من أهل الكتب ء امنوا بالذى أنزل على الذين ءامنوا وجه النهار واكفرو اءاخره لعلهم يرجعون: أي لعلهم يشكون في دينهم، ظنا بأنكم رجعتم لخلل ظهر لكم. قيل: المراد بالطائفة، اثني عشر من أحبار خيبر تقاولوا بأن يدخلوا في الاسلام أول النهار، ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد

---

[١٢٤]

[ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أو تيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشآء والله وسع عليم (٧٣)] محمدا بالنعت الذي ورد في التوراة، لعل أصحابه يشكون فيه. وقيل: كعب بن الاشرف ومالك بن الضيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة: آمنوا بما انزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها أول النهار، ثم صلوا إلى الصخرة آخره، لعلهم يقولون: هم أعلم منا، وقد راجعوا، فيرجعون (١). وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: "

وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا آخره " قال: نزلت في قوم من اليهود قالوا: آمنا بالذي جاء محمد بالغداة وكفروا به بالعشي (٢). وفي رواية أبي الجارود: عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله " وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون " فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما قدم المدينة وهو يصلي نحو بيت المقدس أعجب ذلك اليهود، فلما صرفه الله عن بيت المقدس إلى بيت الله الحرام وجدت (٣) اليهود من ذلك، وكان صرف القبلة صلاة الظهر، فقالوا: صلى محمد الغداة واستقبل قبلتنا، فآمنوا بالذي أنزل على محمد وجه النهار وا كفروا آخره، يعنون القبلة حين استقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) المسجد الحرام لعلهم يرجعون إلى قبلتنا (٤). ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم: أي لا تقروا عن قصد قلب إلا لاهل

---

(١) نقلهما في الكشاف: ج ١ ص ٣٧٣ في تفسير قوله تعالى " وقالت طائفة من أهل الكتاب ".
(٢ و ٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٥ في تفسير قوله تعالى " وقالت طائفة من أهل الكتاب " الآية: (٣) وجد يجد.. عليه غضب، وجد يوجد وجدا – له حزن (المنجد). (*)

[يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٧٤)] دينكم، أولا تظهر وا إيمانكم وجه النهار إلا لمن كان على دينكم، فإن رجوعهم أرجى. قل إن الهدى هدى الله: يهدي من يشاء إلى الايمان ويثبته. أن يؤتى أحد مثل مآ أو تيتم: تعليل لمحذوف، أي دبرتم وقلتم ذلك لاجل أن يؤتى، أي الحسد حملكم على ذلك، أولا تؤمنوا على المعنى الثاني، أي لا تظهروا إيمانكم للمسلمين، لئلا يزيد ثباتهم، أو للمشركين فيدعوهم إلى الاسلام. وعلى هذا قوله " إن الهدى " الخ اعتراض، يدل على أن كيدهم لا يجدي. ويحتمل أن يكون خبر إن، و " هدى الله " بدلا من (الهدى). وقرأ ابن كثير: " أن يؤتي " على الاستفهام، للتقريع. وقرئ على أن النافية، فيكون من كلام الطائفة. أو يحاجوكم عند ربكم: عطف على " يؤتى " على الوجهين الاولين، وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم، يعني: أن هدى الله أن يؤتي أحد مثل ما اوتيتم حتى يقدر على محاجتكم، والواو ضمير الاحد، لانه في معنى الجمع (١). قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشآء: لا ينفع في جلبه أمثال هذه التدابير. والله وسع: الفضل. عليم: بمن يصلح له الفضل. يختص برحمته من يشاء: من غير استيجاب سابق منه. والله ذو الفضل العظيم: وفضله عظيم، أعظم مما حصل لكم من الحطام

---

(١) قال في الكشاف: ج ١ ص ٣٧٣ عند تفسير الآية ما لفظه (والضمير في يحاجوكم، لاحد، لانه في معنى الجمع) وقال في الهامش: أي حيث كان نكرة في سياق النفي، كما وصفه بالجمع في قوله " فما منكم من أحد عنه حاجزين ". (*)

(١٢٩/٣)

[ومن أهل الكتب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الامين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (٧٥)] الحقير الذي اكتسبتموه بالتحريف والكتمان والكفر. ومن أهل الكتب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك: نقل: إن عبد الله بن سلام استودعه قرشي ألفا ومائتي اوقية ذهبا فأداه إليه (١). ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك: نقل: أن فنحاص بن عازواء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده (٢). وقيل: المأمونون على الكثير النصارى، إذ الغالب فيهم الامانة، والخائنون في القليل اليهود إذ الغالب عليهم الخيانة (٣). وقرأ حمزة وأبو بكر وأبو عمر (يؤده) بإسكان الهاء، وقائلون باختلاس الهاء، والباقون بإشباع الكسرة. إلا مادمت عليه قائما: أي إلا أن تأخذه منه قبل المفارقة. ذلك: أي ترك الاداء المذكور. بأنهم قالوا ليس علينا في الامين سبيل: أي بسبب قولهم واعتقادهم أن ليس علينا في شأن من ليس من أهل الكتاب وعلى ديننا سبيل وعقاب.

---

(١) نقل الاقوال والحديث في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٦٧، وفي الكشاف: ج ١ ص ٣٧٤ أيضا عند تفسير هما لقوله تعالى: " ومن أهل الكتاب من أن تأمنه " الآية. ونقل الاقوال والحديث المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) في مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٦٢ في بيان النزول والمعنى للآية الشريفة. (٢) و (٣) نفس المصدر السابق. (*)

(١٣٠/٣)

[بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين (٧٦) إن الذين يشترون بعهد الله وأيمنهم ثمنا قليلا أولئك لا خلق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (٧٧)] ويقولون على الله الكذب: بقول ذلك. وهم يعلمون: أنهم كاذبون. وقيل: عامل اليهود رجالا من قريش، فلما أسلموا تقاضوهم، فقالوا: سقط حقكم حيث تركتم دينكم، وزعموا أنه كذلك في كتابهم (١). وفي مجمع البيان: روي عن النبي (صلى الله عليه وآله): لما قرأ هذه الآية قال: كذب أعداء الله، ما من شئ كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الامانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر (٢). بلى: إثبات لما نفوه، أي بلى عليهم سبيل. من أو في بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين: استئناف مقرر للجملة التي سدت (بلى) مسدها، والضمير مجرور بإضافة العهد، من الاضافة إلى الفاعل لو رجع إلى (من) ومن الاضافة إلى الفاعل أو المفعول لو رجع إلى (الله). وعموم المتقين ناب الراجع من الخبر إلى (من) (٣). وأشعر بأن التقوى ملاك الامر، وهو يعم الوفاء وغيره من أداء الواجبات والاجتناب عن المناهي.

---

(١) و (٢) نفس المصادر السابقة. (٣) توضيح ما أفاده (قدس سره) يظهر مما قاله في الكشاف: ج ١ ص ٣٧٥، حيث قال في تفسيره: فإن قلت: فأين الضمير الراجع من الجزاء إلى (من) ؟ قلت: عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير. (*)

إن الذين يشترون: يستبدلون. بعهد الله: بما عهد الله عليهم، أو بما عاهدوا الله عليه من الايمان بالرسول واداء الامانات. وأيمنهم: وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه. ومجمع البيان: وفي تفسير الكلبي عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: من حلف على يمين كاذبة ليقطع به مال أخيه المسلم، لقى الله وهو عليه غضبان، وتلا هذه الآية (١). ثمنا قليلا: متاع الدنيا من الرئاسة وأخذ الرشوة والذهاب بمال أخيهم المسلم ونحو ذلك. وفي تفسير علي بن إبراهيم: وقوله: " ان الذين يشترون بعهد الله ثمنا قليلا " قال: يتقربون إلى الناس بأنهم مسلمون فيأخذوه منهم ويخونون وما [هم] (٢) بمسلمين على الحقيقة (٣). وفي أمالي شيخ الطائفة (قدس سره) بإسناده إلى أبي وائل، عن عبد الله، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال من حلف على يمين يقطع بها مال أخيه لقى الله (عز وجل) وهو عليه غضبان فأنزل الله (عز وجل) ذلك في كتابه: (ان الذين يشترون بعهد الله ايمانهم ثمنا قليلا) قال: فبرز الاشعث بن قيس فقال في نزلت خاصمت إلى

رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقضى علي باليمين (٤). أولئك لا خلق لهم في الاخرة: وفي عيون الاخبار: عن الرضا (عليه السلام) حديث طويل في تعداد الكبائر وبيانها من كتاب الله، وفيه يقول الصادق (عليه السلام): واليمن الغموس لان الله

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٦٤ في بيان معنى قوله تعالى: " إن الذين يشترون بعهد الله " الآية. (٢) ما بين المعقوفتين ليس من النسخة – أ – وأثبتناه من المصدر لاقتضاء سياق الكلام. (٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٦. (٤) الامالي: ج ١ ص ٣٦٨. (*)

تعالى يقول: " ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة " (١). وفي كتاب الخصال: عن الحسن بن علي (عليهما السلام) قال: الناس أربعة فمنهم من له خلق ولا خلاق له، ومنهم من له خلاق ولا خلق له، ومنهم من لا خلف له ولا خلاق فذلك من شر الناس ومنهم من له خلق وخلاق فذلك من خير الناس (٢). وفي اصول الكافي: علي بن محمد، عن بعض أصحابه، عن آدم بن إسحاق، عن عبد الرزاق بن مهران، عن الحسين بن ميمون، عن محمد بن سالم، عن أبي جعفر (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه: وأنزل في العهد " ان الذين يشترون " الآية والخلاق النصيب، فمن لم يكن له نصيب فبأي شئ يدخل الجنة (٣). ولا يكلمهم الله: بما يسرهم، أو بشئ أصلا، ويسألهم الملائكة يوم القيامة، أولا ينتفعون بكلمات الله وآياته، أو كناية عن غضبه عليهم. ولا ينظر إليهم يوم القيمة: فإن من سخط على غيره أعرض عن الكلام معه والنظر إليه، كما أن من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر إليه. وفي كتاب التوحيد: عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات: وأما قوله " ولا ينظر إليهم يوم القيامة " أنه لا يصيبهم بخير، وقد تقول العرب: والله ما ينظر إلينا فلان، وإنما يعنون بذلك لا يصيبنا منه بخير، فذلك النظر ههنا من الله (تبارك وتعالى) إلى خلقه، فنظره إليهم رحمة لهم (٤). ولا يزكيهم: قيل: ولا يثنى عليهم. وفي تفسير الامام: ولا يزكيهم من ذنوبهم، وقد مر. ولهم عذاب أليم: على ما فعلوا. قيل: نزلت في أحبار حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد (صلى الله عليه وآله)

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢٢٤ قطعة من ح ٣٣. (٢) الخصال: ج ١ ص ٢٣٦ ح ٧٧. (٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٢، كتاب الايمان والكفر، باب آخر منه، وفيه أن الاسلام قبل الايمان

(باب) بدون عنوان، ح ١ س ٤. (٤) التوحيد: ص ٢٦٥ باب الرد على الثنوية والزنادقة، الحديث ٥ س ٧. (*)

---

[١٣٠]

(١٣٣/٣)

وحكم الامانات وغير هما، وأخذوا على ذلك رشوة (١). وقيل: في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به (٢). وقيل: في ترافع كان بين أشعث بن قيس ويهودي في بئر وأرض وتوجه الحلف على اليهودي (٣). وفي أمالي شيخ الطائفة (قدس سره): بإسناده إلى أبي وائل، عن عبد الله، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: من حلف على يمين ليقطع بها مال أخيه، لقي الله، (عز وجل) وهو عليه غضبان، فأنزل الله (عز وجل) تصديق ذلك في كتابه " ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا " قال: فبرز الاشعث بن قيس فقال: في نزلت خاصمت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: إن هذا البئر على أرض في الجاهلية، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألك بينة ؟ فقال: لا، قال: فيمينه، قال: يذهب والله بأرضي، فقال: إن ذهب بأرضك كان ممن لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يزكيه ولهم عذاب أليم (٤). وفي عيون الاخبار: عن الرضا قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي، وعلى من قاتلهم، وعلى المعين، وعلى من سبهم " اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم " (٥). وفي اصول الكافي [بإسناده] (٦) إلى ابن أبي يعفور قال: سمعت ابا عبد الله يقول: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم من ادعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماما من الله، ومن زعم أن لهما في الاسلام نصيبا (٧). علي بن محمد، عن بعض أصحابه، عن آدم بن إسحاق، عن عبد الرزاق بن

(١٣٤/٣)

---

(١) الكشاف: ج ١ ص ٣٧٦ في تفسيره لمنى الآية الشريفة، وفي انوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٦٨ ومجمع البيان: ج ٢ ص ٤٦٣ في شأن نزول الآية. (٢) و (٣) نفس المصادر السابقة. (٤) الامالي: ج ١ ص ٣٦٨. (٥) عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٣٣

ح ٦٥. (٦) ما بين المعقوفتين اضفناه لاقتضاء السياق. (٧) الكافي: ج ١ ص ٣٧٤ ح ١٢. (*)

---

[١٣١]

مهران، عن الحسين بن ميمون، عن محمد بن سالم، عن أبي جعفر (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): وانزل في العهد أن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا اولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم، والخلاق النصيب فمن لم يكن له نصيب في الآخرة فبأي شئ يدخل الجنة ؟ (١). محمد بن جعفر، عن محمد بن عبد الحميد، عن عاصم بن حميد، عن ابي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك جبار، ومقل مختال (٢). وفي الكافي: بإسناده إلى محمد بن مسلم، عن ابي عبد الله (عليه السلام): قال: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: الشيخ الزاني، والديوث والمرأة توطئ فراش زوجها (٣). وبإسناده إلى محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم منهم: المرأذة توطئ فراش زوجها (٤). وفي من لا يحضره الفقيه: وروى محمد بن أبي عمير، عن أبي اسحاق بن هلال، عن أبي عبد الله (عليه السلام): أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: ألا اخبركم بأكبر الزنا ؟ قالوا: بلى، قال: هي امرأة توطئ فراش زوجها فتأتي بولد من غيره فيلزمه زوجها فتلك التي لا يكلمها الله، ولا ينظر إليها يوم القيامة ولا يزكيها ولها عذاب أليم (٥). وفي مجمع البيان: وفي تفسير الكلبي عن

ابن مسعود قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: من حلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال اخيه المسلم

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٢ قطعة من ح ١. (٢) الكافي: ج ٢ ص ٣١١ ح ١٤. (٣) الكافي: ج ٥ ص ٥٣٧ ح ٧. (٤) الكافي: ج ٥ ص ٥٤٣ ح ١. (٥) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٣٧٦ ح ٣١. (*)

---

[١٣٢]

لقى الله وهو عليه غضبان، وتلى هذه الآية (١). وفي كتاب الخصال: عن ابي بصير قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم

عذاب أليم: الناتف شيبه والناكح نفسه والمنكوح في دبره (٢). عن الاعمش، عن صالح، عن ابي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا إن أعطاه منها ما يريد وفي له وإلا لم يف، ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف بالله لقد أعطى بها كذا وكذا فصدقه فأخذها ولم يعط فيها ما قال، ورجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه ابن السبيل (٣). وفي تفسير العياشي: عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من جحد إماما، أو ادعى إماما من غير الله، أو زعم أن لفلان وفلان في الاسلام نصيبا (٤). وعن محمد الحلبي قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: الديوث من الرجال، والفاحش المنفحش، والذي يسأل الناس وفي يده ظهر غنى (٥). وعن السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المرخي ذيله من العظمة، والمزكي سلعته بالكذب، ورجل استقبلك بود صدره فيواري وقلبه ممتلئ غشا (٦). وفي شرح الآيات الباهرة وفي كتاب مصباح

الانوار للشيخ الطوسي (رحمه

---

(١) مجمع البيان: ١ - ٢ ص ٤٦٤. (٢) الخصال: ج ١ ص ١٠٦ ح ٦٨. (٣) الخصال: ج ١ ص ١٠٦ ح ٧٠. (٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٨ ح ٦٥. (٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٨ ح ٦٧. (٦) تفسير العياشي: ج ١٧٩ ١ ح ٦٩. (*)

الله): بإسناده إلى محمد بن إسماعيل قال: حدثنا أبو الحسن المثنى قال: حدثنا علي ابن مردويه قال: حدثنا داود بن سليمان الفارابي قال: حدثني علي بن موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر، عن أبيه محمد، عن أبيه علي، عن أبيه الحسين، عن أبيه علي ابن أبي طالب (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): حرم الله الجنة على ظالم أهل بيتي وقاتلهم وسابيهم والمعين عليهم، ثم تلا هذه الآية " اولئك لا خلاق لهم في الآخرة " الآية (١). وفي هذا المعنى ما رواه الشيخ محمد بن يعقوب (رحمه الله) قال: روي عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الوشا، عن داود الحمار (٢)، عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: ثلاثة لا يكلمهم

الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم (٣) يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (٤)، من ادعى إمامة ليست له من الله، ومن جحد إماما من الله، ومن زعم أن لهما في الاسلام نصيبا (٥) (٦).

(١٣٧/٣)

---

(١) مصباح الانوار للشيخ الطوسي: ص ٣٠ الباب الثاني مخطوط في المكتبة العامة لآية.. المرعشي النجفي. (٢) الحمار بالحاء المهملة والميم المشددة والراء أخيرا كذا عن خط الشهيد، ولعله بائع الحمير كالنمار والبغال أو مكريها (تنقيح المقال: ج ١ ص ٤٠٨ تحت رقم ٣٨٣١). (٣) ليس في الحديث جملة (ولا ينظر إليهم يوم القيامة) ولكنها موجودة في الشرح كما سيجئ قريبا. (٤) قوله: " ثلاثة لا يكلمهم الله " أي لا يكلمهم كلام رضي، بل كلام سخط، مثل " اخسئوا ولا تكلمون " أو هو كناية عن الاعراض وسلب الرحمة منه، ومعنى (لا ينظر إليهم) لا يحسن إليهم، وليس المراد نفي الرؤية عنهم، لان الرؤية العينية بالنسبة إلى الكل غير متحققة، والرؤية العلمية بالنسبة إلى الجميع ثابتة، فلا وجه للتخصيص على التقديرين. وخصص يوم القيامة، لان الاحسان غير منتف منهم في الدنيا. ومعنى " لا يزكيهم " لا يطهرهم من الذنوب لعظمتها، أو لا يثنى عليهم، لان من لا يثنيه سبحانه يعذبهم، ولهم في الآخرة عذاب أليم، مؤلم موجع (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج ٦ ص ٣٢٦). (٥) الكافي: ج ١ ص ٣٧٣ كتاب الحجة، باب من ادعى الامامة وليس لها بأهل ومن جحد الائمة أو بعضهم ومن أثبت الامامة لمن ليس لها بأهل، ح ٤. (٦) الظاهر عدم الوثوق بصحة الخبر، وذلك أولا لعدم القطع بأن داود الحمار، هو داود بن سليمان الحمار الثقة كما ادعاه في تنقيح المقال فيحتمل التعدد كما لا يخفى، وثانيا الظاهر أنه معارض بما (*)

(١٣٨/٣)

[وإن منهم لفريقا يلون ألسنتهم بالكتب لتحسبوه من الكتب وما هو من الكتب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (٧٨)] وفي هذا الخبر دلالة على حرمة القول بإسلام أهل السنة، وكون القائل بإسلامهم مساويا لهم في أنه ينظر الله إليهم ولا يكلمهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، فتبصر. وإن منهم لفريقا يلون ألسنتهم بالكتب: يفتلونها (١) بقراءة،

فيميلونها عن المنزل إلى المحرف، أو يعطفونها بشبه الكتاب، من لواه يلويه، فتله وثناه. وقرأ ابن كثير (يلؤن) على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها. لتحسبوه من الكتب وما هو من الكتب: الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله (يلون). وقرئ بالياء، والضمير أيضا للمسلمين. ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله: تأكيد لقوله " ما هو من الكتاب " وزيادة تشنيع عليهم، وبيان لانهم يقولون ذلك تصريحا لا تعريضا. قال البيضاوي: وهذا لا يقتضي أن لا يكون فعل العبد فعل الله تعالى (٢)

رواه في الكافي: ج ٢ ص ٣١١ باب الكبر، ح ١٤ عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، شيخ زان، وملك جبار، ومقل مختال، فليتأمل. (١) الفتل: لي الشئ كليك الحبل وكفتل الفتيلة (لسان العرب: ج ١١ ص ٥١٤ لغة فتل). (٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٦٨ في تفسيره لقوله تعالى " وما هو من عند الله ". (*)

[ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربنين بما كنتم تعلمون الكتب وبما كنتم تدرسون (٧٩)] وغرضه، خذله الله، أنه ليس في هذا رد لمذهب الاشاعرة. وفيه: أنه لو كان فعل العبد فعل الله، لزم الكذب في قوله " وما هو من عند الله " لانه على هذا التقدير كل مفترياتهم من عند الله ومن فعله، واختصاصهم بكونهم كاسبين له ومباشرين لا تصافه لا يمنع صدق كونه من عند الله عليه، وإن صحح إضافته إليهم. وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: فان منهم لفريقا يلون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله " قال: كان اليهود يقرؤن شئ ليس في التوراة ويقولون هو في التوراة فكذبهم (١). ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون: تسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه. عن ابن عباس: هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف، وغيروا التوراة، وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة النبي (صلى الله عليه وآله)، ثم أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم (٢). ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله: رد لعبدة عيسى.

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٦. (٢) رواه في الكشاف: ج ١ ص ٣٧٧ في تفسيره لقوله تعالى: " ويقولون هو من عند الله ". (*)

(١٤٠/٣)

وفي مجمع البيان: قيل: إن أبا رافع القرظي والسيد النجراني قالا: يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا ؟ فقال: معاذ الله أن يعبد غير الله، وأن نأمر بغير عبادة الله، فما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني، فنزلت (١). وفي البيضاوي: وقيل: قال رجل: يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا بعضا، أفلا نسجد لك ؟ قال: لا ينبغي أن يسجد لاحد من دون الله، ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله (٢). ولكن كونوا ربنين: أي ولكن يقول ذلك. والرباني منسوب إلى الرب بزيادة الالف والنون، كاللحياتي والرقباني، وهو الشديد المتمسك بدين الله وطاعته. بما كنتم تعلمون الكتب وبما كنتم تدرسون: بسبب كونكم معلمين الكتاب، دارسين له، فإن فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للا عتقاد والعمل. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو يعقوب " تعلمون " بالتخفيف، أي بسبب كونكم عالمين. وقرأ " تدرسون " من التدريس، وتدرسون من أدرس بمعنى درس، كأكرم وكرم. ويجوز أن تكون القراءة المشهورة أيضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس.

(١٤١/٣)

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٦٦ في نقله شأن نزول " ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب " الآية. وفي تفسير الدر المنثور: ج ٢ ص ٢٥٠ أخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الاخبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ودعا هم إلى الاسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس: أو ذاك تريده منا يا محمد ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): معاذ الله.. أن نعبد غير اللع، أو نأمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني، فأنزل الله في ذلك من قولهما. الآية.
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٦٨ في تفسيره لقوله تعالى: " كونوا

عبادا لي ". (*)

---

[١٣٧]

(١٤٢/٣)

[ولا يأمركم أن تتخذوا الملئكة والنبين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون (٨٠)] وفي كتاب عيون الاخبار في باب ما جاء عن الرضا (عليه السلام) في وجه دلائل الائمة (عليهم السلام) والرد على الغلاة والمفوضة (لعنهم الله) في حديث طويل. وفيه فقال المأمون: يا أبا الحسن: بلغني أن قوما يغلون فيكم ويجاوزون عليكم الحد ؟ فقال الرضا (عليه السلام): حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي: عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين ابن علي ابن أبي طالب (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا ترفعوني فوق حقي فإن الله تعالى اتخذني عبدا قبل أن يتخذني نبيا، قال الله تعالى: " ما كان لبشر " إلى آخر الآية، فقال علي (عليه السلام): يهلك في اثنان – ولا ذنب لي – محب مفرط ومبغض مفرط، وانا أبرأ إلى الله تعالى ممن يغلوا فينا فيرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم من النصارى (١). ولا يأمركم أن تتخذوا الملئكة والنبين أربابا: قرأ ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب بفتح الراء، عطفا على " يقول " (لا) إما مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله: " ماكان لبشر " أي ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه، ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا، وغير مزيدة على معنى أنه ليس له أن يأمر بعبادته، ولا يأمر باتخاذ أكفائه أربابا، بل ينهى عنه. والباقون بالرفع على الاستئناف، ويحتمل الحال بتقدير وهو يأمركم، أو لا يأمركم. وقرأ أبو عمرو على أصله لرواية الدودي باختلاس الضم.

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٢٠٠ باب ٤٦ ما جاء عن الرضا في وجه دلائل الائمة والرد على الغلاة والمفوضة (لعنهم الله) قطعة من ح ١. (*)

---

[١٣٨]

(١٤٣/٣)

[وإذا أخذ الله ميثق النبين لماء اتيتكم من كتب وحكمة ثم جاء كم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشهدين (٨١)] وفي تفسير علي بن إبراهيم قال: كان قوم يعبدون الملائكة، وقوم من النصارى زعموا: أن عيسى رب، واليهود قالوا: عزير ابن الله، فقال الله: " ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبين أربابا " (١). أيأمركم بالكفر: أي البشر لمستنبئ، وقيل: الله. بعد إذ أنتم مسلمون: قال البيضاوى: دليل على أن الخطاب للمسلمين، وهم المستأذنون لان يسجدواله (٢). وفيه أنه لا دلالة فيه لجواز الخطاب بأنتم مسلمون لليهود والنصارى، بمعنى أنكم كنتم مسلمين قبل ادعاء الربوبية لهذه الاشياء وإذا أخذ الله ميثق النبين: قيل: إنه على ظاهرة، وإذا كان هذا حكم الانبياء كان اتلامم به أولى. وفي مجمع البيان: وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): أن الله تعالى أخذ الميثاق على الانبياء قبل نبينا (صلى الله عليه وآله) أن يخبروا اممهم بمبعثه ونعته، ويبشروهم به ويأمروهم بتصديقه (٣).

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١، ص ١٠٦ في تفسيره لقوله تعالى: " ولا يأمركم أن تتخذوا ". (٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٦٩ قاله في تفسيره لقوله تعالى " بعد إذا أنتم مسلمون ". (٣) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٦٨ في بيان معنى قوله تعالى: " وإذ أخذ الله ميثاق النبين ". (*)

وقيل معناه: إنه تعالى أخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكر هم عن ذكر الامم (١). وقيل: إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الفاعل، والمعنى: وإذ أخذ الله الميثاق الذي واثقه الانبياء على اممهم (٢). وقيل: المراد أولاد النبيين على حذف المضاف، وهم بنو إسرائيل، وسما هم نبيين تهكما، لانهم كانوا يقولون: نحن أولى بالنبوة من محمد لانا أهل الكتاب، والنبييون كانوا منا (٣). وفي تفسير العياشي: عن الباقر (عليه السلام): أنه طرح عنها لفظ الامم (٤). وقال الصادق (عليه السلام): تقديره: وإذا أخذ الله ميثاق امم النبيين بتصديق نبيها، والعمل بما جاء به وإنهم خالفوهم فيما بعد (٥). لماءاتيتكم من كتاب وحكمة: اللام موطئة للقسم، لان أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف. و (ما) يحتمل الشرطية والخبرية. وقرأ حمزة " لما " بالكسر على أن ما مصدرية، أي لاجل أيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة، ثم لمجئ رسول مصدق له أخذ الله الميثاق. وقرئ لما بمعنى حين أتيتكم، أو لمن أجل ما أتيتكم، على أن أصله (لمن ما) بالادغام فحذفت إحدى الميمات الثلاث

استثقالا. وقرأ نافع " آتيناكم " بالنون بصيغة المتكلم مع الغير، فإن كان أخذ الميثاق على النبيين، فإيتاء الكتاب والحكمة إليهم أنفسهم، وإن كان على الامم، فايتاؤهما إلى أنبيائهم، وهو الايتاء إليهم. ثم جاء كم رسول مصدق لما معكم: وهو محمد (صلى الله عليه وآله)

---

(١) و (٢) و (٣) أورد الاقوال الثلاثة في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٦٩ في تفسيره لقوله تعالى: " وإذ أخذ الله ميثاق النبين " الآية. (٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٠ ح ٧٣ والحديث طويل. (٥) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٦٨ في بيان معنى قوله تعالى: " وإذ أخذ الله ميثاق النبيين " وتمامه " وما وقوا به وتركوا كثيرا من شريعته وحرفوا كثيرا منها ". (*)

المصدق لما من الكتب السابقة، لكونه موصوفا بصفات ذكرت فيها لخاتم النبيين. لتؤمنن به ولتنصرنه: جواب القسم، وساد مساد الشرط على تقدير، وأحدهما على تقدير اخرى، أي أخذ الميثاق على النبيين، أو على اممهم، أو عليهم وعلى اممهم، لتؤمنن بذلك الرسول ولتنصرنه، ونصرته (عليه السلام) من الانبياء السابقة أن يخبروا اممهم بأن يؤمنوا به وبأوصيائه. وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن سنان قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): أول من سبق رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أن قال: ثم أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) على الانبياء له بالامان وعلى ما ينصر أمير المؤمنين فقال: (وإذ أخذ ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاء كم رسول مصدق لما معكم) يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله) " لتؤمنن به ولتنصرن " يعنى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) تخبروا اممكم بخبره وخبر وليه من الائمة (عليهم السلام) (١). وفي مجمع البيان: وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: لم يبعث الله نبيا آدم ومن بعده إلا أخذ عليه العهد لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ العهد بذلك على قومه (٢) من جملة نصرته (عليه السلام) أن ينصر أمير المؤمنين (عليه السلام) في الرجعة. وفي تفسير العياشي: عن حبيب السجستاني قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله تعالى " وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاء كم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه " فكيف يؤمن موسى بعيسى وينصره ولم يدركه وكيف يؤمن عيسى بمحمد (صلى الله عليه وآله) وينصره ولم يدركه فقال يا حبيب إن القرآن قد طرح منه آي كثيرة ولم يزد فيه إلا حروف اخطأت بها الكتبة وتوهمها الرجال

وهذا وهم فأقرأها " وإذا أخذ الله ميثاق النبيين

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ٢٤٦ و ٢٤٧. (٢) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٤٦٨.

(*)

---

[١٤١]

لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاء كم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه " هكذا أنزلها يا حبيب فوالله ما وفت امة من الامم التي كانت قبل موسى بما أخذ الله عليها من الميثاق لكل نبي بعثه الله بعد نبيها (١) كلاما طويلا في تكذيب الامم انبيائها تركناه خوف الاطالة. عن بكير قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): إن الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذر يوم أخذ الميثاق على الذر بالاقرار بالربوبية ولمحمد (صلى الله عليه وآله) بالنبوة وعرض الله على محمد (صلى الله عليه وآله الطيبين) وهم أظلة قال: وخلقهم من الطين التي خلق منها آدم قال: وخلق أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام، وعرض عليهم وعرفهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) [و] وعليا (عليه السلام) ونحن نعرفهم في لحن القول (٢). عن زرارة قال: قلت لابي جعفر (عليه السلام): أرأيت حين أخذ الله الميثاق على الذر في صلب آدم فعرضهم على نفسه كانت معاينة منهم له ؟ قال: نعم يا زرارة وهم ذر بين يديه، وأخذ عليهم بذلك الميثاق بالربوبية [له]، ولمحمد (صلى الله عليه وآله) بالنبوة، ثم كفل لهم بالارزاق وأنساهم وديعته وأيدت في قلوبهم معرفته فلا بد من أن يخرج إلى الدنيا كل من أخذ عليه الميثاق فمن جحد ما أخذ عليه الميثاق لمحمد (صلى الله عليه وآله) لم ينفعه إقراره لربه بالميثاق ومن لم يجحد ميثاق محمد (صلى الله عليه وآله) نفعه الميثاق لربه (٣). عن فيض بن أبي شيبة قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: وتلا هذه الآية " وإذ أخذ الله الآية " قال: لتؤمنن برسول الله ولتنصرن أمير المؤمنين، قلت: ولتنصرن أمير المؤمنين ؟ قال: نعم من آدم فلهم جرا، ولا يبعث الله نبيا ولا رسولا إلا رد إلى الدنيا حتى يقاتل بين يدي أمير المؤمنين (٤). عن سلام بن المستنير، عن أبي عبد الله (عليه

السلام) قال: لقد تسموا باسم

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٠ قطعة من ح ٧٣. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٠ - ١٨١ ح ٧٤. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨١ ح ٧٥. (٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨١ ح ٧٦. (*)

---

[١٤٢]

ما سمى الله به أحدا إلا علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وما جاء تأويله، قلت: جعلت فداك متى يجئ تأويله ؟ قال: إذا جمع الله أمامه النبيين والمؤمنين حتى ينصروه وهو قول الله تعالى " وإذ أخذ الله " الآية ويومئذ يدفع راية رسول الله (صلى الله عليه وآله) اللواء إلى على بن أبي طالب فيكون أمير الخلائق كلهم أجمعين، يكون الخلائق كلهم تحت لوائه ويكون هو أميرهم (١). وفي شرح الآيات الباهرة: روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: إن الله أخذ الميثاق على الانبياء أن يخبروا امتهم بمبعث رسول الله وهو محمد (صلى الله عليه وآله) ونعته وصفته ويبشروهم به ويأمروهم بتصديقه ويقولوا هو مصدق لما معكم من كتاب وحكمة وإنما الله أخذ ميثاق الانبياء ليؤمنن به ويصدقوا بكتابه وحكمته كما صدق بكتابهم وحكمتهم وقوله: " ولتنصرنه " يعني ولتنصروا وصية (٢). وروى الحسن بن أبي الحسن الديلمي (رحمه الله) في كتابه (٣) بإسناده عن فرج بن أبي شيبة قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول وقد تلا هذه الآية: " وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاء كم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به " يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله) " ولتنصرنه " يعني وصيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولم يبعث الله ولا رسولا إلا وأخذ عليه الميثاق لمحمد بالنبوة ولعلي بالامامة (٤). وذكر صاحب كتاب الواحدة (٥) قال: وروى أبو محمد الحسن بن عبد الله

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨١ ح ٧٧. (٢) لا يوجد لدينا هذا الكتاب ووجدته في تأويل الطاهرة: ص ١٢٠ و ١٢١. (٣) يظهر من كتاب أعيان الشيعة أن له تفسيرا، لا حظ كتاب أعيان الشيعة الطبعة الحديثة: ج ٤ ص ٦٢٩ ولا حظ أيضا كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج ٤ ص ٢٧١ تحت رقم ١٢٥٧. (٤) البرهان في تفسير القرآن: ج ١ ص ٢٩٤ ح ٤. (٥) لا حظ ترجمته في كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج ٢٥ ص ٧ تحت رقم ٣٥ ونقل عن ابن النديم أن الكتاب

في الاخبار والمناقب والمثالب، وهو في ثمانية أجزاء، وكانت نسخة من كتاب الواحدة موجودة عند ابن طاووس، نقل عنه في تصانيفه مثل اليقين انتهى. والظاهر أنه كانت (*)

---

[١٤٣]

(١٤٩/٣)

الاطروش الكوفي قال: حدثنا أبو عبد الله جعفر بن محمد البجلي قال: حدثني أحمد ابن محمد بن خالد البرقي قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): إن الله تبارك وتعالى أحد واحد تفرد في وحدانيته ثم تكلم بكلمة فصارت نورا، ثم خلق من ذلك النور محمد (صلى الله عليه وآله) وخلقني وذريتي، ثم تكلم بكلمة فصارت روحا فأسكنه الله في ذلك النور وأسكنه في أبداننا فنحن روح الله وكلماته، فبنا احتجب على خلقه، فما زلنا في ظلة خضراء حيث لاشمس ولا قمر ولا ليل ولانهار، ولا عين تطرف، نعبده ونقدسه ونسبحه، وذلك قبل أن يخلق خلقه، وأخذ ميثاق الانبياء بالايمان والنصرة لنا، وذلك قوله عز وجل " وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاء كم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه " يعني لتؤمنن بمحمد (صلى الله عليه وآله) ولتنصرن وصيه، وسينصرونه جميعا، وإن الله أخذ ميثاقي مع ميثاق محمد (صلى الله عليه وآله) بنصرة بعضنا لبعض، فقد نصرت محمدا (صلى الله عليه وآله) وجاهدت بين يديه وقتلت عدوه ووفيت بما أخذ علي من الميثاق والعهد والنصرة لمحمد (صلى الله عليه وآله) ولم ينصرني أحد من أنبياء الله ورسله وذلك لما قبضهم الله إليه وسوف ينصرونني ويكون لي مابين مشرقها إلى مغربها، وليبعثهم الله من آدم إلى محمد (صلى الله عليه وآله) وكل نبي مرسل يضربون بين يدي بالسيف هام الاموات والاحياء والثقلين جميعا، فيا عجبا وكيف لا أعجب من أموات يبعثهم الله أحياء بلبون زمرة زمرة بالتلبية لبيك لبيك، يا داعي الله قد أظلوا بسكك الكوفة، قد شهروا سيوفهم على عواتقهم يضربون بها هام الكفرة وجبابرتهم وأتباعهم من جبابرة الاولين والآخرين حتى ينجز الله ما وعدهم في قوله (عز وجل) " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في

(١٥٠/٣)

الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني

نسخة منه عندالفيض الكاشاني فإنه ينقل عنه أيضا كما سيأتي، والله أعلم. (*)

---

[١٤٤]

لا يشروكون بي شيئا " (١) أي يعبدونني آمنين لا يخافون أحد في عبادتي ليس عندهم تقية، وإن لي الكرة بعد الكرة، والرجعة بعد الرجعة، وأنا صاحب الرجعات والكرات وصاحب الصولات والنقمات والدولات العجيبات وأنا قرن من حديد، الحديث (٢). قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى: أي عهدي، سمي به، لانه يوصر، أي يشد. وقري بالضم. وهو إما لغة كعبر وعبر، أو جمع إصار، وهو ما يشد به. قالوا أقررنا قال فاشهدوا: أي فليشهد بعضكم لبعض. وقيل: الخطاب للملائكة. وأنا معكم من الشهدين: وأنا أيضا على إقراركم وتشاهدكم شاهد، وهو تخدير عظيم. وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ما بعث الله نبيا من لدن آدم فلهم جرا إلا ويرجع إلى الدنيا وينصر أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو قوله " لتؤمنن به " يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله) " ولتنصرنه " يعني أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم قال لهم في الذر (٣) " أءقررتم وأخذتم على ذلكم إصبري " أي عهدي " قالوا أقررنا " قال الله للملائكة " اشهدوا وأنا معكم من الشاهدين " (٤). وعن الصادق (عليه السلام): ثم قال لهم في الذر: " أءقررتم وأخذتم على ذلكم إصبري " أي عهدي، قال الله للملائكة " فاشهدوا " (٥).

---

(١) النور: ٥٥. (٢) كتاب الصافي للفيض الكاشاني: ج ١ ص ٣٢٥ في تفسير قوله تعالى: " وإذ أخذ الله ميثاق النبيين " الآية. (٣) في النسخة – أ – (الدنيا) والصحيح ما أثبتناه من المصدر. (٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٦ في تفسيره لقوله تعالى: " وإذ أخذ الله ميثاق " الآية. (٥) هذه الجملة تتمة للحديث السابق بإسقاط قوله (وعن الصادق عليه السلام) لا حظ تفسير علي ابن إبراهيم. (*)

---

[١٤٥]

[فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفسقون (٨٢) أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموت

والارض طوعا وكرها وإليه يرجعون (٨٣)] وفي مجمع البيان: عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: اءقررتم وأخذتم العهد بذلك على اممكم ؟ قالوا: أي قال الانبياء واممهم: أقررنا بما أمر تنا بالاقرار به، قال الله: فاشهدوا بذلك على اممكم وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعلى اممكم (١). فمن تولى بعد ذلك: بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة. فأولئك هم الفسقون: المتمردون من الكفرة. أفغير دين الله يبغون: عطف على الجملة المتقدمة، والهمزة متوسطة بينهما، للانكار، أو محذوف، تقديره: أيتولون فغير دين الله يبغون. وتقديم المفعول، لانه المقصود بالانكار. والفعل بلفظ الغيبة عند أبي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب. وبالتاء عند الباقين على تقدير: وقل لهم. وفي تفسير علي بن إبراهيم ثم قال (عز وجل) " أفغير دين الله يبغون " قال: أفغير هذا الدين قلت لكم أن تقروا بمحمد ووصيه (صلى الله عليه وآله) (٢). وله أسلم من في السماوات والارض طوعا وكرها: أي طائعين بالنظر واتباع الحجة، وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجأ إلى الاسلام، كشق الجبل، وإدراك الغرق، والاشراف على الموت، أو مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٦٨ في بيان المعنى لقوله تعالى: " وإذ أخذ الله ميثاق " الآية مع تقديم وتأخير لبعض الكلمات، فلا حظ. (٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٧. (*)

كالكفرة فإنهم لا يقدرون أن يمتنعوا عما قضى عليهم. وفي مجمع البيان: " طوعا وكرها " فيه أقوال: إلى قوله: وخامسها أن معناه اكره أقوام على الاسلام، وجاء أقوام طائعين وهو المروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: " كرها " أي فرقا من السيف (١). وإليه يرجعون: وقري بالياء على أن الضمير لـ (من). وفي تفسير العياشي: عن عمار بن الاحوص، عن أبي عبد الله (عليهم السلام): أن الله (تبارك وتعالى) خلق في مبدأ الخلق بحرين، أحدهما عذب فرات والآخر ملح اجاج، ثم خلق تربة آدم من البحر العذب الفرات، ثم أجراه على البحر الاجاج فجعله حمأ مسنونا، وهو خلق آدم، ثم قبض قبضة من كتف آدم الايمن فذرأها في صلب آدم فقال: هؤلاء في الجنة ولا ابالي، إلى قوله: فاحتج يومئذ أصحاب الشمال وهم ذر على خالقهم، فقالوا: يا ربنا بم أوجبت لنا النار وأنت الحكم العدل من قبل أن تحتج علينا وتبلونا بالرسل وتعلم طاعتنا لك ومعصيتنا ؟ فقال الله (تبارك وتعالى) لمالك خازن النار: مر النار تشهق، ثم يخرج عنقا منها، فخرجت لهم، ثم قال الله لهم: " ادخلوها طائعين، فقالوا: لا ندخلها طائعين، قال: ادخلوها طائعين، أو لا عذبنكم بها كارهين، قالوا:

إنما هربنا إليك منها وحاججناك فيهاحيث أوجبتها علينا وصيرتنا من أصحاب الشمال، فكيف ندخلها طائعين، ولكن ابدأ أصحاب اليمين في دخولها كي يكون قد عدلت فينا وفيهم ". قال أبو عبد الله (عليه السلام): فأمر أصحاب اليمين وهم ذربين يديه بقوله تعالى: " ادخلوا هذه النار طائعين " قال: فطفقوا يتبادرون في دخولها فولجوا فيها جميعا، فصيرها الله عليهم بردا وسلاما ثم أخرجهم منها، ثم إن الله (تبارك وتعالى) نادى في أصحاب اليمين أصحاب الشمال: ألست بربكم ؟

(١٥٣/٣)

قال أصحاب اليمين: بلى يا ربنا نحن بريتك وخلقك مقرنين طائعين، وقال أصحاب الشمال: بلى يا ربنا نحن بريتك وخلقك كارهين، وذلك قول الله تعالى " وله أسلم من في السماوات والارض طوعاوكرها

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٧٠ في بيان المعنى لقوله تعالى: " طوعا وكرها ". (*)

وإليه ترجعون * " قال: توحيد هم لله (١). عن عباية الاسدي أنه سمع أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: " وله أسلم من في السماوات والارض طوعا وكرها وإليه ترجعون " أكا ذلك بعد قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: كلا والذي نفسي بيده حتى تدخل المرأة بمن عذب آمنة، لا تخاف حية ولا عقربا فما سوى ذلك (٢). عن صالح بن ميثم قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله: " وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها " قال: ذلك حين يقول علي (عليه السلام): أنا أولى الناس بهذه الآية " وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت، بلى وعدا عليه حقا " إلى قوله " كاذبين " (٣) (٤). عن رفاعة بن موسى قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: " وله أسلم من في السماوات والارض طوعا وكرها " قال: إذا قام القائم (عليه السلام) لا يبقى أرض إلا نودي فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (٥). عن ابن بكير قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن قوله " وله أسلم من في السماوات والارض طوعا وكرها وإليه ترجعون " قال: انزلت في القائم (عليه السلام) إذا خرج باليهود والنصارى والصابئين والزنادقة وأهل الردة والكفارفي شرق الارض وغربها، فعرض عليهم الاسلام فمن أسلم طوعا أمره بالصلاة والزكاة وما يؤمر به المسلم ويجب لله عليه، ومن لم يسلم ضرب عنقه حتى لا يبقى في المشارق والمغارب أحد إلا وحد الله، قلت له: جعلت فداك أن الخلق أكثر من ذلك ؟ فقال: إن الله تعالى إذا أراد أمرا قلل الكثير وكثر القليل (٦). وفي كتاب التوحيد: أبي (رحمه الله) قال: حدثنا سعد بن عبد

الله، عن إبراهيم

على احدى القراءات والمشهور قراءتها بالياء (.. يرجعون). (١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٢ ح ٧٨. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٢ ح ٧٨. (٣) النحل: ٣٨ - ٣٩. (٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٣ ح ٨٠. (٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٣ ح ٨١. (٦) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٣ ح ٨٢. (*)

---

[١٤٨]

ابن هاشم ويعقوب بن يزيد جميعا، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعته وهو يقول في قوله (عز وجل): " وله أسلم من في السماوات والارض طوعا وكرها " قال: هو توحيد هم لله عز وجل (١). وفي اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن عبد الله بن جعفر، عن السياري، عن محمد بن بكر، عن أبي الجارود، عن الاصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إن دابتي استصعبت علي وأنا منها على وجل، فقال: اقرأفي اذنها اليمنى " وله أسلم من في السماوات والارض طوعا وكرها وإليه ترجعون " فقرأها فذلت له دابته. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة (٢). وفي الكافي: أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي عبيدة، عن أحدهما (عليهما السلام) قال: أيما دابة استصعبت على صاحبها من لجام ونفار، فليقرأ في اذنها أو عليها (٣) " أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والارض طوعا وكرها وإليه ترجعون " (٤). وفي أمالي شيخ الطائفة (قدس سره): بإسناده إلى الصادق (عليه السلام) أنه قال له الاشجع السلمي: إني كثير الاسفار وأحصل في المواضع المفزعة، فعلمني ما آمن به على نفسي ؟ فقال: إذا خفت أمرا فاترك بيمينك على ام رأسك، وأقرأ برفيع صوتك " أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والارض طوعا وكرها وأليه ترجعون " قال أشجع: فحصلت في واد تعبث فيه الجن، فسمعت قائلا يقول: خذوه، فقرأتها، فقال قائل: كيف نأخذه وقد احتجب بآية طيبة (٥). وفي من لا يحضره الفقيه: في وصية النبي (صلى

الله عليه وآله) لعلي (عليه

---

(١) التوحيد: ص ٤٦ باب التوحيد ونفي التشبيه، ح ٧. (٢) الكافي ج ٢ ص ٦٢٤ كتاب فضل القرآن، باب فضل القرآن، قطعة من ح ٢١. (٣) (أو عليها) أي قريبا منها إن لم يقدر على إدناء الفم منها (آت) في هامش الكافي. (٤) الكافي: ج ٦ ص ٥٣٩ كتاب الدواجن، باب نوادر في الدواب، ح ١٤. (٥) كتاب الامالي للطوسي: ج ١ ص ٢٨٨ س ٨. (*)

---

[١٤٩]

[قل ءامنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (٨٤) ومن يبتغ غير الاسلم دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخسرين (٨٥)] السلام): يا علي من استصعب عليه دابته فليقرأ في أذنها الايمن " وله أسلم من في السماوات والارض طوعا وكرها وإليه ترجعون " (١).

قل ءامنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم: أمر للرسول (صلى الله عليه وآله) بأن يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه، منزل عليهم بتوسط تبليغه إليهم. وأيضا: المنسوب إلى واحد من الجمع، قد ينسب إليهم. أو بأن يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك إجلالا له. والنزول كما يعدي بـ (إلى) لانه ينتهي إلى الرسل، يعدي بـ (على) لانه من فوق. وإنما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والمعيار له عليه. لا نفرق بين أحد منهم: بالتصديق والتكذيب. ونحن له مسلمون: منقادون، أو مخلصون في عبادته. ومن يبتغ غير الاسلم دينا: أي غير التوحيد والانقياد لحكم الله.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٢٦٨، باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب، البسطر الاخير. (*)

---

[١٥٠]

[كيف يهدى الله قوما كفروا بعدا إيمنهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينت والله لا يهدى القوم الظلمين (٨٦)] وفي نهج البلاغة: أرسله بحجة كافية وموعظة شافية ودعوة متلافية أظهر به

الشرائع المجهولة وقمع به البدع المدخولة، وبين الاحكام المفصولة فمن يبتغ غير الاسلام دينا متحقق شقوته وتنفصل عروته، وتعظم كبوته، ويكون مآبه إلى الحزن الطويل والعذاب الوبيل (١). فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخسرين: الواقعين في الخسران. والمعنى: أن المعرض عن الاسلام والطالب لغيره، فاقد للنفع واقع للخسران بإبطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها. قال البيضاوي: واستدل به على أن الايمان هو الاسلام، إذ لو كان غيره لم يقبل. والجواب: أنه ينفي قبول كل دين يغايره، لا قبول كل ما يغيره، ولعل الدين أيضا للاعمال (٢). وفيه: أن من قال: بأن الايمان غير الاسلام، يقول بأنه دين غيره، والاستدلال إنما هو عليه والمقصود أن الاسلام والايمان واحد، يسمى إسلاما وإن كان قبل رسوخه ودخوله في القلب، ولا يسمى إيمانا إلا بعد دخوله ورسوخه فيه، والآية تدل على اتحاد هما والفرق يعلم من موضع آخر. كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمنهم وشهدوا أن الرسول حق

---

(١) نهج البلاغة: ص ٢٣٠ الخطبة ١٦١ ط صبحي الصالح. (٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٧٠ في تفسيره لقوله تعالى: " ومن يبتغ غير الاسلام دينا " الآية. (*)

وجاءهم البينت: استبعاد لان يهديهم الله، فإن الجائر عن الحق بعد ما وضع له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد. وقيل: نفي وإنكار له، وذلك يقتضي أن لا يقبل توبة المرتد. وهذا حق في حق الرجل المولود على الاسلام، دون المولود على الكفر والمرأة. ويمكن أن يقال: المتبادر من (بعد إيمانهم)، كونهم مؤمنين بحسب الفطرة، ومن (جاءهم البينات) الرجال، وكذا سياق الآية، ولفظ " قوما "، والضمائر الراجعة إليه قرينة التخصيص بالرجال، وحينئذ يكون استثناء " إلا الذين تابوا " منطقا. ويجوز أن يكون " قوما كفروا " على عمومه لقسمي الرجال، فيكون الاستثناء متصلا. و " شهدوا " عطف على ما في " ايمانهم " من معنى الفعل، أي آمنوا وشهدوا، أو حال بإضمار " قد " من فاعل كفروا. قال البيضاوي: وهو على الوجهين دليل على أن الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان (١). وفيه: أنه يحتمل أن يكون في العطف، أو جعله قيدا، لكونه أهم أجزاء الايمان وأنفع في ترتب الآثار عليه. والله لا يهدى القوم الظلمين: الذين وضعوا الكفر موضع الايمان بعد إذ جاءهم البينات ووضع المظهر موضع المضمر، للاشعار بالعلية. وقيل: الذين ظلموا أنفسهم

بالاخلال بالنظر، ووضع الكفر موضع الايمان، فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم أعرض عنه. * * *

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٧٠ في تفسيره لقوله تعالى: " كيف يهدي الله قوما " الآية. (*)

[أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملئكة والناس أجمعين (٨٧) خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون (٨٨) إلا الذين تابوا من بعد ذالك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم (٨٩)] أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملئكة والناس أجمعين: وفيه تصريح بوجوب لعن من كفر بعد الايمان والعلم بحقيقة الرسول ومجئ البينات، لانه تعالى قال: " جزائهم " هو لعن الله والملائكة والناس وإذا كان جزاءهم ذلك وأخبر الله بأن جزاءهم من الملائكة والناس ذلك، لم يجز للملائكة والناس ترك ما جعله الله جزاءشي، بل يجب عليهم الاتيان به. فهذا وإن لم يكن في صورة الامر، لكن يفيد بمادته الوجوب. خلدين فيها: أي في اللعنة. لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك: أي بعد الارتداد. وأصلحوا: ما أفسدوا، أو دخلوا في الصلاح. فإن الله غفور: يقبل توبته. رحيم: يتفضل عليه. وفي مجمع البيان: قيل: نزلت الآيات في رجل من الانصار يقال له: الحارث ابن سويد بن الصامت. وكان قتل المحذر بن زياد البلوي غدرا وهرب ارتد عن الاسلام ولحق بمكة، ثم ندم فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) هل لي من توبة ؟ فسألوا فنزلت إلى قوله " إلا الذين تابوا " فحملها رجل من قومه إليه، فقال: إني لاعلم أنك لصدوق، ورسول الله (صلى الله عليه وآله)

[إن الذين كفروا بعد إيمنهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون (٩٠) إن الذين كفروا و ما توا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم مل ءالارض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من نصرين (٩١)] أصدق منك، وأن الله تعالى أصدق الثلاثة، ورجع إلى المدينة وتاب وحسن إسلامه، وهو المروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) (١). إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا: كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة، ثم ازدادوا كفرا بمحمد (صلى الله عليه وآله) والقرآن. أو كفروا بمحمد (صلى الله عليه وآله) بعد ما آمنوا به قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان به ونقض الميثاق. أو كقوم ارتدوا والحقوا بمكة، ثم ازدادوا كفرا بقولهم: نتربص بمحمد ريب المنون، أو نرجع إليه وننافقه بإظهاره (٢). أو كقوم كفروا بما نص النبي (صلى الله عليه وآله) في وصيه عند شياطينهم بعد ما آمنوا به عنده، ثم ازدادوا كفرا بادعاء الخلافة والوصاية لانفسهم. لن تقبل توبتهم: لانهم لا يتوبون، إلا عندالياًس ومعاينة الموت، أو لان توبتهم لا تكون إلا نفاقا، فعدم قبول توبتهم لعدم كونها توبة حقيقة، لا لكفرهم وازدياد كفرهم، ولذلك لم يدخل الفاء فيه، بخلاف الموت على الكفر، فإنه سبب (١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٧١ في بيان شأن النزول لقوله تعالى: " كيف يهدي الله " الآيات. (٢) الاحتمالات موجودة في الكشاف، لا حظ: ج ١ ص ٣٨٢ في تفسيره لقوله تعالى: " إن الذين كفروا بعد إيمانهم ". (*)

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ فإن الله به عليم (٩٢)] لعدم قبول الفدية، فدخل الفاء فيه. وأولئك هم الضالون: الثابتون على الضلال. إن الذين كفروا وما تواوهم كفار فلن يقبل من أحدهم مل ء الارض ذهبا: مل ء الشئ، مايملاه وذهبا " تميز. وقرئ بالرفع على البدل من " مل ء الارض " أو الخبر لمحذوف. ولو افتدى به: معطوف على مضمر، أي فلن يقبل من أحدهم مل ء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا، ولو افتدى به من العذاب في الآخرة، أو محمول على المعنى كأنه قيل: فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بمل ء الارض ذهبا. قيل: ويحتمل أن يكون المراد، فلن يقبل من أحدهم إنفاقه في سبيل الله بمل ء الارض ذهبا، ولو كان على وجه الافتداء من عذاب الآخرة من دون توقع ثواب آخر (١). والاوجه آن يقال في تقديره: فلن يقبل من أحدهم مل ء الارض ذهبا ملكه ولو افتدى به. أولئك لهم عذاب أليم: مبالغة في التحذير، وإقناط، لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما. وما لهم من نصرين: في دفع العذاب، ومن " من " مزيدة للاستغراق، وإيراد الجمع إما للتوزيع، أو للمبالغة. لن تنالوا البر: أي لن تبلغوا حقيقة البر، وهو كمال

الخير، أو البر المعهود،

---

(١) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٧١ في تفسيره لقوله تعالى: " إن الذين كفروا وما تواوهم كفار " الآية. (*)

وهو بر الله. حتى تنفقوا مما تحبون: من المال، أو ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس، والبدن في طاعة الله، والمهجة في سبيل الله. وقرأ بعض ما تحبون، وهو يدل على أن " من " للتبعيض، ويحتمل التبيين. وفي روضة الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عمر بن عبد العزيز، عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون " قال: هكذا فاقرأها (١). وفي مجمع البيان: وقد روي عن أبي الطفيل قال: اشترى علي (عليه السلام) ثوبا فأعجبه، فتصدق به وقال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنة، ومن أحب شيئا فجعله لله قال الله يوم القيامة، قد كان العباد يكافئون فيما بينهم بالمعروف، وأنا أكافئك اليوم بالجنة (٢). وفي الكافي: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن محمد بن شعيب، عن الحسين بن الحسن، عن عاصم، عن يونس، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه كان يتصدق بالسكر، فقيل له: أتصدق بالسكر ؟ فقال: نعم، إنه ليس شئ أحب إلي منه، فأنا أحب أن أتصدق بأحب الاشياء إلي (٣). وفي عوالي اللآلي: ونقل عن الحسين (عليه السلام) أنه كان يتصدق بالسكر، فقيل له في ذلك فقال: إني أحبه وقد قال الله تعالى: " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون " (٤). وإنفاق أحب الاموال على أقرب الاقارب، وعلى صلة الامام أفضل. في اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، وعلي بن

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ١٨٣ ح ٢٠٩. (٢) مجمع البيان: ج ٢، ص ٤٧٣ في بيان المعنى لقوله تعالى: " لن تنالوا البر حتى تنفقوا " الآية. (٣) الكافي: ج ٤ ص ٦١ كتاب الزكاة، باب النوادر ح ٣. (٤) عوالي الآلئ: ج ٢ ص ٧٤ ح ١٩٦ والحديث عن الحسن (عليه السلام). (*)

إبراهيم جميعا عن الحسن بن محبوب، عن أبي ولاد الحناط قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله (عز وجل): " وبالوالدين إحسانا " (١) ما هذا الاحسان ؟ فقال: الاحسان أن تحسن صحبتهما (٢)، وأن لا تكلفهما أن يسألاك شيئا مما يحتاجان إليه، وإن كانا مستغنيين، أليس الله (عز وجل) يقول: " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون " (٣). وفي تفسير العياشي: عن مفضل بن عمر قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) ومعي شئ فوضعته بين يديه فقال: ما هذا ؟ فقلت: هذه صلة مواليك وعبيدك، قال: فقال لي: يا مفضل إني لا أقبل ذلك، وما أقبله من حاجة بي إليه، وما أقبله إلا لتزكوابه، ثم قال: سمعت أبي يقول: من مضت له سنة لم يصلنا من ماله، قل أو كثر، لم ينظر الله إليه يوم القيامة، إلا أن يعفو الله عنه، ثم قال: يا مفضل إنها فريضة فرضها الله على شيعتنا في كتابه إذ يقول: " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون " فنحن البر والتقوى وسبيل الهدى وباب التقوى، ولا يحجب دعاؤنا عن الله، اقتصروا على حلا لكم وحرامكم، فاسألوا عنه، وإياكم أن تسألوا أحدا من الفقهاء عما لا يعنيكم، وعما ستر الله عنكم (٤). وما تنفقوا من شئ: محبوب أو غيره، و " من " للبيان. فإن الله به عليم: فيجازيكم بحسبه.

---

(١) البقرة: ٨٣، والنساء: ٣٦ والانعام: ١٥١، والاسراء: ٢٣. (٢) قوله (فقال: الاحسا أن تحسن صحبتهما) بالتلطف وحسن العشرة والطلاقة والبشاشة والتواضع والترحم وغيرها مما يوجب سرورهما وانبساطهما. وإلحاق الاجداد والجدات بهما محتمل، وصرح به عياض من العامة، وقال بعضهم: إنهم أحفض منهما، لانهم ليسوا بآباء وامهات حقيقيين. وإن لا تكلفهما أن يسألاك شيئا مما يحتاجان إليه بل تبادر إلى قضاء حوائجهما قبل المسألة، لانه تمام البر. " وإن كانا مستغنيين " قادرين على القيام بحاجاتهما. أليس يقول الله عز وجل: " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون " البر شامل لبر الوالدين، وبهذا الاعتبار وقع الاستشهاد به (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج ٩ ص ١٨). (٣) الكافي: ج ٢ ص ١٥٧ كتاب الايمان والكفر، باب البر بالوالدين، قطعة من ح ١. (٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٤ ح ٨٥. (*)

[كل العطام كان حلا لبنى إسراءيل إلا ما حرم إسراءيل على نفسه من قبل أن تنزل التورة قل فأتوا بالتورة فاتلوها إن كنتم صدقين (٩٣) فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظلمون (٩٤)] كل الطعام: أي المطعومات، والمراد أكلها، ويشعر به الطعام لقبا. كان حلا لبنى إسراءيل: حلالا لهم، مصدر نعت به، ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، كقوله: " لا هن حل لهم " (١). إلا ما حرم إسراءيل: يعقوب (عليه السلام). على نفسه من قبل أن تنزل التورة: كلحوم الابل. كان إذا أكل لحم الابل هيج عليه وجع الخاصرة، فحرم على نفسه لحم الابل. قبل إنزال التورة وبعده لم يأكله، لاجل أضرارة بمرضه، ولم يحكم بتحريمه على نفسه (٢). في الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد أو غيره، عن ابن محبوب، عن عبد العزيز العبدي، عن عبد الله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن إسرائيل كان إذا أكل من لحم الابل هيج عليه وجع الخاصرة، فحرم على نفسه لحم الابل، وذلك قبل أن تنزل التوراة فلما نزلت التوراة لم يحرمه ولم يأكله (٣)

---

(١) الممتحنة: ١٠. (٢) قال في الكشاف: ج ١ ص ٣٨٥ في تفسيره لقوله تعالى: " كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل " الآية، ما لفظه (والمعنى أن المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني إسرائيل من قبل إنزال التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شئ قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه أبوهم إسرائيل على نفسه، فتبعوه على تحريمه). (٣) الكافي: ج ٥ ص ٣٠٦ كتاب المعيشة، باب النوادر، ح ٩. (*)

وهذا رد على اليهود حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نطق به القرآن، من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم في قوله تعالى: " ذلك جزيناهم ببغيهم " (١) وقوله تعالى: " فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم " (٢) فقالوا: لسنا بأول من حرمت عليه وقد كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعده من بنى إسرائيل إلى أن انتهى التحريم إلينا فكذبهم الله (٣). قل فأتوا بالتورة فاتلوها إن كنتم صدقين: أمر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه، حتى يتبين أنه تحريم حادث بسبب

ظلمهم وبغيهم، لا تحريم قديم كما زعموا، فلم يجسروا على إخراج التوراة، وبهتوا. وفيه دليل على نبوته (عليه السلام). وفي تفسير العياشي: عن عمر بن يزيد قال: كتبت إلى أبي الحسن (عليه السلام) اسأله عن رجل دبر مملوكه هل له ان يبيع عتقه ؟ قال: كتب: " كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه " (٤). وفي تفسير علي بن إبراهيم: وأما قوله: " كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة " قال: كان يعقوب يصيبه عرق النساء فحرم على نفسه لحم الجمل، فقالت اليهود: إن الجمل محرم في التوراة، فقال الله (عز وجل) لهم: " فأتوا بالتوراة فتلوها إن كنتم صادقين " إنما حرم هذا إسرائيل على نفسه ولم يحرمه على الناس (٥). فمن افترى على الله الكذب: بزعمه أن ذلك كان محرما على الانبياء وعلى بني إسرائيل قبل إنزال التوراة. من بعد ذلك: أي لزوم الحجة.

---

(١) الانعام: ١٤٦. (٢) النساء: ١٦٠. (٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٧٢ في تفسيره لقوله تعالى: " من قبل أن تنزل التوراة ". (٤) تفسير العياشي: ج ١، ص ١٨٥ ح ٨٧. (٥) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١، ص ١٠٧. (*)

[قل صدق الله فاتبعوا ملة إبرهيم حنيفا وما كان من المشركين (٩٥) إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعلمين (٩٦)] فأولئك هم الظلمون: لانفسهم لمكابرتهم الحق بعد وضوحه. قل صدق الله: تعريض بكذبهم، أي ثبت أن الله صادق فيما أنزله وأنتم الكاذبون. فاتبعوا ملة إبرهيم حنيفا: أي ملة الاسلام التي عليها. محمد ومن آمن معه التي هي في الاصل ملة إبراهيم، أو مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم إلى التحريف والمكابرة للاغراض الدنيوية، وألزمتكم تحريم طيبات أحلها لابراهيم ومن تبعه. وفي تفسير العياشي: عن حبابة الوالبية قال (١): سمعت الحسين بن علي (عليهما

---

(١) هكذا في النسخ التي بأيدينا، وفي الاصل أيضا، والظاهر (قالت) قال في تنقيح المقال: ج ١ ص ٢٥٠ ما هذا لفظه (خبابة الوالبية، ام الندى عنونها الميرزا هنا، ومحلها فصل النساء إن شاء الله تعالى) وقال في ج ٣ ص ٧٤ من فصل النساء ما لفظه (حبابة بنت جعفر الاسدية الوالبية ام الندى: الضبط: حبابة بالحاء المهملة المفتوحة وبائين موحدتين بينهما ألف وبعدهما هاء، والمشهور

على الالسن عموما هو تشديد الباء الاولى والظاهر أنه من الاغلاط المشهورة، إلى أن قال: والوالبية بكسر اللام والباء الموحدة مؤنث الوالبي إلى أن قال: عن صالح بن ميثم قال: دخلت أنا وعباية الاسدي على حبابة الوالبية، فقال: هذا ابن أخيك، ميثم قال: ابن أخي والله حقا ألا احدثكم بحديث عن الحسين بن علي (عليهما السلام) ؟ فقلنا: بلى، قالت: دخلت عليه (عليه السلام) وسلمت فرد السلام ورحب ثم قال: ما أبطأك عن زيارتنا والتسليم علينا يا حبابة ؟ قلت: ما أبطأني عنك إلا علة عرضت، قال: وما هي ؟ قالت: فكشفت خماري عن برص قالت: فوضع يده على البرص ودعى، فلم يزل يدعو حتى رفع يده وقد كشف الله ذلك البرص، ثم قال: يا حبابة إنه ليس أحد على ملة إبراهيم إلخ). (*)

(١٦٧/٣)

السلام) يقول: ما أعلم أحدا على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا، قال صالح: ما أحد على ملة إبراهيم، قال جابر: ما أعلم أحدا على ملة إبراهيم (١). وما كان من المشركين: تبرئة مما كان ينسبه اليهودي والنصارى من كونه على دينهم. إن أول بيت وضع للناس: أي جعل متعبدا لهم، والواضع هو الله. وقرئ بالبناء للفاعل. للذى ببكة: وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط، وأمر راتب وراتم ولا زب ولازم. وفي كتاب الخصال: عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: اسماء مكة خمسة: ام القرى ومكة، وبكة، والبساسة (٢) كانوا إذا ظلموا بستهم، أي أخرجتهم وأهلكتهم، وام رحم (٣) كانوا إذا لزموها رحموا (٤). وقيل: هي موضع المسجد، ومكة البلد. روي عن جابر، عن أبي عبد الله (عليه السلام): إن بكة موضع البيت وإن مكة الحرم (٥). وذلك قوله " آمنا " من " بكة " إذا زحمه، أو من " بكة " إذا دقه، لانها تبك أعناق الجبابرة. وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى عبد الله بن علي الحلبي قال: سألت أبا

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٥ ح ٨٨. (٢) قال في لسان العرب: ج ٦ ص ٢٧ في لغة (بسس)، وفي حديث مجاهد: من أسماء مكة الباسة، سميت بها لانها تحطم من أخطأ فيها. والبس: الحطم، ويروى بالنون من النس الطرد، وفي هامش بعض النسخ الموجودة (البس بالموحدة الختم، وبالنون الطرد، ويروى بهما، منه). (٣) الرحم بالضم الرحمة وربما يحرك، منه) كذا في الهامش. وفي هامش الخصال نقلا عن القاموس (ام رحم وأم الرحم) بضم الراء وسكون الحاء المهملة، مكة، والمرحومة: المدينة شرفهما الله تعالى. (٤) الخصال: ص ٢٨٧ باب الخمسة أسماء مكة خمسة، ح

٢٢. (٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٧ ح ٩٤ وتمام الحديث وذلك قوله " ومن دخله كان آمنا ". (*)

---

[١٦١]

(١٦٨/٣)

عبد الله (عليه السلام) لم سيمت مكة بكة ؟ قال: لان الناس يبك بعضهم بعضا بالايدي (١). وأما ما رواه بإسناده إلى عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) لم سميت الكعبة بكة ؟ فقال: لبكاء الناس حولها (٢). فمحمول على أن الناس يجتمعون حوله للبكاء والعبادة، فيبك بعضهم بعضا. حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن العباس بن معروف، عن علي بن مهزيار، عن فضالة، عن ابان، عن الفضيل، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إنما سميت مكة بكة، لانه يبك بها الرجال والنساء، والمرأة تصلي بين يديك وعن يمينك وعن شمالك ومعك ولا بأس بذلك، وإنما يكره في سائر البلدان (٣). وبإسناده إلى عبيد الله بن علي الحلبي قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) لم سميت مكة بكة ؟ قال: لان الناس يبك بعضهم بعضا فيها بالايدي (٤). وفي الكافي: عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن بعض أصحابنا عن أبي الحسن الاول (عليه السلام) قال: في خمس وعشرين من ذي القعدة وضع البيت، وهو أول رحمة وضعت على وجه الارض، فجعله الله مثابة للناس وأمنا، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة (٥). عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي زرارة التميمي، عن أبي حسان، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لما أراد الله أن يخلق الارض أمر الرياح، فضربت وجه [الماء] (٦) حتى صار موجا، ثم أزبد فصار زبدا واحدا. فجمعه في موضع البيت، ثم جعله جبلا من زبد، ثم

(١٦٩/٣)

---

(١) علل الشرائع: ج ٢ ص ٨٤، باب ١٣٧ العلة التي من أجلها سميت مكة بكة، ح ٥. (٢) علل الشرائع: ج ٢ ص ٣٩٧ باب ١٣٧ العلة التي من أجلها سميت مكة بكة، ج ٢. (٣) علل الشرائع: ج ٢ ص ٣٩٧، باب ١٣٧ العلة التي من أجلها سميت مكة بكة، ح ٤. (٤) علل الشرائع: ج ٢

ص ٣٩٨، باب ١٣٧ العلة التي من اجلها سميت مكة بكة، ح ٥. (٥) الكافي: ج ٤ ص ١٤٩، كتاب الصيام، باب صيام الترغيب، قطعة من ح ٢. (٦) في النسخة – أ – (الارض)، وما بين المعقوفتين اثبتناه من المصدر، وهو الصحيح. (*)

---

[١٦٢]

دحى الارض من تحته، وهو قول الله تعالى: " إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا " (١). وروي أيضا عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله (عليه السلام) مثله (٢). وفي تفسير على بن إبراهيم: حدثني أبي، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال للابرش (٣): يا أبرش كما هو وصف نفسه " كان عرشه على الماء " (٤) والماء على الهوى والهوى

---

(١) الكافي: ج ٤ ص ١٨٩، كتاب الصيام، باب إن أول ما خلق الله من الارضين موضع البيت وكيف كان أول ما خلق، ح ٧. (٢) الكافي: ج ٤، ص ١٩٠ كتاب الصيام، باب أن أول ما خلق الله من الارضين موضع البيت.. ذيل ح ٧. (٣) لم أعثر على ترجمته إلا ما في فهرس تنقيح المقال: ج ١ ص ٧ أبواب الهمزة، باب الاسماء المتفرقة من قوله: الابرش الكلبي عامي استبصر، حسن. نعم في اسد الغابة: ج ٤ ص ٩٣ قال: عمرو بن جبلة بن وائل بن قيس، ذكره ابن الكلبي وأبو عبيد في من وفد على النبي (صلى الله عليه وآله) قال أبو عبيد: من ولده سعيد الابرش الكلبي صاحب هشام بن عبد الملك واسمه سعيد بن الوليد. وفي تاج العروس: ج ٤ ص ٢٨١ فصل الباء من باب الشين قال: والابرش لقب سعيد بن الوليد الكلبي صاحب هشام، وهو من ولد عمرو بن جبلة الذي وفد على النبي (صلى الله عليه وآله). وفي الاصابة: ج ٢ ص ٥٢٨ حرف العين تحت رقم ٥٧٩١ قال: عمرو بن جبلة بن وائل بن قيس بن بكر الكلبي القضاعي إلى أن قال: وهو جد سعيد بن الابرش بن الوليد بن عمرو حاجب هشام بن عبد الملك. ولما كان صدر الحديث هكذا (عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله قال: خرج هشام بن عبد الملك. حاجا ومعه الابرش الكلبي فلقيا أبا عبد الله في المسجد الحرام، فقال هشام للابرش: تعرف هذا ؟ قال: لا، قال: هذا الذي تزعم الثيمة أنه نبي من كثرة علمه، فقال الابرش: لا سألنه عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو وصي نبي، فقال هشام: وددت أنك فعلت ذلك، فلقى الابرش أبا عبد الله فقال: يا أبا عبد الله أخبرني عن قوله الله " أو لم ير الذين كفروا إن السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما " فيما كان

رتقهما وبما كان فتقهما ؟ فقال أبو عبد الله: يا أبرش إلخ). ظهر مما قدمناه ترجمة الرجل وعلة استبصاره كما أشار إليه العلامة المامقاني في فهرسه بقوله: (استبصر). (٤) هود: ٧. (*)

لا يحد، ولم يكن يومئذ خلق غير هما والماء يومئذ عذب فرات، فلما أراد الله أن يخلق الارض، وذكر إلى آخر ما نقلناه عن الكافي (١). وفي تفسير العياشي: عن عبد الصمد بن سعد قال: أراد أبو جعفر أن يشتري من اهل مكة بيوتهم ان يزيده في المسجد فأمن عليه فارغبهم فامتنعوا فضاق بذلك فأتى ابا عبد الله (عليه السلام) فقال له: اني سألت هؤلاء شيئا من منازلهم وأفنيتهم لا زيد في المسجد وقد منعوني ذلك فقد غمني غما شديد، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): لم يغمك ذلك وحجتك عليهم فيه ظاهرة ؟ قال: وبما احتج عليهم ؟ فقال: بكتاب الله، فقال لي: في اي موضع ؟ فقال: قول الله (إن اول بيت وضع للناس للذي ببكة " قد أخبرك الله أن أول بيت وضع هو الذي ببكة فإن كانوا هم نزلوا قبل البيت فلهم أفنيتهم، وإن كان البيت قديما قبلهم فله فناؤه فدعاهم أبو جعفر فاحتج عليهم بهذا فقالوا: اصنع ما أحببت (٢). عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: مكة جملة القرية، وبكة حملة موضع الحجر الذي يبك الناس بعضهم بعضا (٣). عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إن بكة موضع البيت، وإن مكة الحرم وذلك قوله كان آمنا (٤). وفي كتاب عيون الاخبار في باب ما كتبه الرضا (عليه السلام) إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل: وعلة وضع البيت وسط الارض، أنه الموضع الذي من تحته دحيت الارض، وكل ريح تهب في الدنيا فإنها تخرج من تحت الركن الشامي، وهو أول بقعة وضعت في الارض، لانها الوسط، ليكون الغرض لاهل المشرق والمغرب في ذلك سواء (٥).

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ٢ ص ٦٩ في تفسيره لقوله تعالى " أو لم ير الذين كفروا " الآية. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٥، ح ٨٩. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٧، ح ٩٣. (٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٧، ح ٩٤. (٥) عيون الاخبار: ج ٢ ص ٩٠ باب ٣٣ في ذكر ما كتب به الرضا (ع) إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل، ح ١. (*)

---

[١٦٤]

[فيه ءايت بينت مقام إبرهيم ومن دخله كان ءامنا والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العلمين (٩٧)] فالمراد بـ " أول بيت "، أول موضع جعل مستقرا للعباد على وجه الماء، لا البيت المصنوع من اللبن والمدر والخشب حتى يحتاج في تصحيحه إلى ارتكاب امور متكلفة. مباركا: حال من المستكن في الظرف، أي كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف عنده، وطاف حوله، وقصد نحوه، من مضاعفة الثواب، وتكفير الذنوب، ونفي الفقر، وكثرة الرزق. وفي من لا يحضره الفقيه: عنه (عليه السلام) قال: وجد في حجر، إني أنا الله. ذوبكة، صنعتها يوم خلقت السماوات والارض، ويوم خلقت الشمس والقمر، وخففتها بسبعة أملاك حفا مبارك لاهلها في الماء واللبن يأتيها رزقها من ثلاثة سبل، من أعلاها وأسفلها والثنية بعده (١). وهدى للعلمين: لانه قبلتهم ومتعبدهم، ولان فيه آيات عجيبة، كما قال الله تعالى. فيه ءايات بينت: كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار، وأن ضواري السبع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها، وأن كل جبار قصده بسوء قهره، كأصحاب الفيل. والجملة مفسرة لل " هدى " أو حال اخرى. مقام إبرهيم: مبتدأ محذوف الخبر، أي منها، أو بدل من " آيات " بدل البعض من الكل.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ١٥٨ باب ابتداء الكعبة وفضلها وفضل الحرم، ح ١٥. (*)

---

[١٦٥]

وقيل: عطف بيان على أن المراد بالآيات أثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها إلى الكعبين، وتخصيصها بهذه الا لانة من الصخار وإبقائه، دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة أعدائه الوف [السنين] (١). ويؤيده أنه قرئ: آية بينة على التوحيد. وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن ابن سنان قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله تعالى: " إن اول بيت " إلى قوله: " آياتبينات " ما هذه الآيات البينات ؟ قال: مقام إبراهيم حيث قام على الحجر فأثرت فيه قدماه. والحجر الاسود، ومنزل إسماعيل (عليه السلام) (٢). أقول: أما كون المقام آية، فلما ذكر، ولارتفاعه بإبراهيم (عليه السلام) حين كان أطول من الجبال كما يأتي ذكره. وأما كون الحجر الاسود آية، فلما ظهر منه للاولياء والاوصياء (عليهم السلام) من العجائب، إذ

كان جوهرة جعلها الله مع آدم في الجنة، وإذ كان ملكا من عظماء الملائكة ألقمه الله الميثاق وأودعه ويأتي يوم القيامة وله لسان ناطق وعينان يعرفه الخلق، يشهد لمن وافاه بالموافاة، ولمن أدى إليه بالميثاق بالاداء، وعلى من جحده بالانكار إلى غير ذلك كما ورد في الاخبار عن الائمة (عليهم السلام) (٣). ولما ظهر لطائفة من تنطقه لبعض المعصومين (عليهم السلام) كالسجاد (عليه السلام) حيث نازعه عمه محمد بن الحنفية في أمر الامامة كما ورد في الروايات (٤). ومن عدم طاعته لغير المعصوم في نصبه في موضعه كما جرب غير مرة (٥).

(١٧٤/٣)

---

(١) في النسخة – أ – (ستة)، والصحيح ما أثبتناه. (٢) الكافي: ج ٤ ص ٢٢٣ كتاب الحج، باب في قوله تعالى: " فيه آيات بينات " ح ١. (٣) لا حظ الكافي: ج ٤ ص ١٨٥ كتاب الحج، باب بدء الحجر والعلة في استلامه، ح ٣ والفقيه: ج ٢ ص ١٢٤ باب علل الحج ح ٣. (٤) البحار: الطبعة الحديثه ج ٤٦ ص ١١١ باب ما جرى بينه (عليه السلام) وبين محمد بن الحنفية وسائر أقر بائه وعشائره ح ٢ وباب معجزاته ومعالي اموره وغرائب شأنه (صلوات الله عليه وآله) ص ٢٩ ح ٢٠. (٥) الوافي: ج ٢ ص ١٢ كتاب الحج، باب ٤ قصة هدم الكعبة وبنائها ووضع الحجر والمقام، ولا حظ (*)

(١٧٥/٣)

وأما كون منزل إسماعيل آية، فلانه أنزل به من غير ماء، فنبع له الماء. وإنما خص المقام بالذكر في القرآن وطوى ذكر غيره، لانه أظهر آياته اليوم للناس. قيل: سبب هذا الاثر، أنه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة، فغاصت فيه قدماه (١). وقيل: إنه لما جاء زائرا من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسماعيل: انزل حتى نغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن، فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه، صم حولته إلى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر، فبقي أثر قدمه عليه (٢). وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة قال: قلت لابي جعفر (عليه السلام):

أدركت الحسين (صلوات الله عليه) ؟ قال: نعم أذكر وأنا معه في المسجد الحرام وقد دخل فيه السيل، والناس يقومون على المقام، يخرج الخارج يقول: قد ذهب به السيل، ويخرج منه الخارج فيقول: هو مكانه، قال: فقال لي: يا فلان، ما صنع هؤلاء ؟ فقلت: أصلحك الله، يخافون أن يكون السيل قد ذهب بالمقام ! فقال: ناد: إن الله قد جعله علما، لم يكن ليذهب به، فاستقروا (٣). وكان موضع المقام الذي وضعه إبراهيم (عليه السلام) عند جدار البيت، فلم يزل هناك حتى حوله أهل الجاهلية إلى المكان الذي هو فيه اليوم، فلما فتح النبي (صلى الله عليه وآله) مكة رده إلى الموضع الذي وضعه إبراهيم (عليه السلام)، فلم يزل هناك إلى أن ولي عمر بن الخطاب، فسأل الناس: من منكم يعرف المكان

(١٧٦/٣)

البحار: الطعبة الحديثة في البنان ج ٩٦ ص ٢٢٦ كتاب الحج والعمرة باب فضل الحجر وعلة استلامه واستلام سائر الاركان ح ٢٦ وفيه قصة أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولوية في رد القرامطة الحجر الاسود ووضع الحجة (عليه السلام) الحجر في موضعه. (١ و ٢) الكشاف: ج ١ ص ٣٨٩ في تفسيره لقوله تعالى: " فيه آيات بينات مقام إبراهيم ". (٣) الكافي: ج ٤ ص ٢٢٣ كتاب الحج باب في قوله تعالى: " فيه آيات بينات " قطعة من ح ٢. (*)

(١٧٧/٣)

الذي كان فيه المقام ؟ فقال رجل: أنا، قد كنت أخذت مقداره بنسع (١) فهو عندي، فقال: تأتيني به، فأتاه به فقاسه، ثم رده إلى ذلك المكان (٢). ومن دخله كان ءامنا: جملة ابتدائية، أو شرطية معطوفة من حيث المعنى على " مقام " لانه في معنى: وأمن من دخله، أي منها أمن من دخله، أو فيه آيات بينات مقام إبراهيم وآمن من دخله. واقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة، لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين، بقاء الاثر مدى الدهر والآمن من العذاب يوم القيامة. وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى أبي زهرة بن شبيب بن أنس عن بعض أصحاب أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) لابي حنيفة: يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته، وتعرف

الناسخ والمنسوخ ؟ قال: نعم، قال يا أبا حنيفة: لقد ادعيت علما، ويلك ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم، ويلك ولا هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا محمد (صلى الله عليه وآله)، وما أدراك الله من كتابه حرفا، فإن كنت كما تقول: ولست كما تقول: فأخبرني عن قول الله (عز وجل): سيروا فيها ليالي وأياما آمنين " (٣) أين ذلك من الارض ؟ قال: أحسبه ما بين مكة والمدينة، فالتفت أبو عبد الله (عليه السلام) ومن كان إلى أصحابه فقال: تعلمون أن الناس يقطع عليهم بين المدينة ومكة، فتؤخذ أموالهم، ولا يؤمنون على أنفسهم ويقتلون ؟ قالوا: نعم، قال: فسكت أبو حنيفة فقال: يا أبا حنيفة أخبرني عن قول الله (عز وجل): " ومن دخله كان آمنا " أين ذلك من الارض ؟ فقال: الكعبة، فقال: أفتعلم أن الحجاج بن يوسف حين وضع المنجنيق على ابن الزبير في الكعبة، فقتله كان آمنا فيها ؟ ! قال: فسكت، فقال أبو بكر الحضرمي: جعلت فداك، ما الجواب في المسألتين

---

(١) في حديث البيت الحرام: (إني أخذت مقداره بنسع) النسع بالكسر سير ينسج عريضا يشد به الرحال، القطعة منه نسعة، ويسمى نسعا لطوله، وجمعه نسع بالضم وأنساع. (مجمع البحرين لغة نسع). (٢) الكافي: ج ٤ ص ٢٢٣ كتاب الحج باب في قوله تعالى: " فيه آيات بينات " قطعة من ح ٢. (٣) سبأ: ١٨. (*)

الاولتين ؟ فقال: يا أبا بكر " سيروا فيها ليالي وأياما آمنين " فقال: مع قائمنا أهل البيت. وأما قوله " ومن دخله كان آمنا " فمن بايعه ودخل معه ومسح على يده ودخل في عقدة أصحابه كان آمنا، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة (١). وفي تفسير العياشي: عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن قوله: " ومن دخل كان آمنقال: سألته عن قوله: " ومن دخله كان آمنا " ؟ قال: يأمن فيه كل خائف ما لم يكن عليه حد من حدود الله ينبغي أن يؤخذ به، قال: وسألته عن طائر يدخل اليوم ؟ قال: لا يؤخذ ولا يمس، لان الله يقول: " ومن دخله كان آمنا " (٢). وقال عبد الله بن سنان: سمعته يقول فيما ادخل الحرم مما صيد في الحل: قال: إذا دخل الحرم فلا يذبح أن الله يقول: " ومن دخله كان آمنا " (٣). وعن على بن عبد العزيز قال: قلت لابي عبد الله (عليه السلام): جعلت فداك قول الله " فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخل كان آمنا " وقد يدخله المرجي، والقدري، والحروري، وللزنديق الذي لا يؤمن بالله ؟ قال: لا ولا كرامة قلت: فمن جعلت

فداك ؟ قال: ومن دخله وهو عارف بحقنا كما هو عارف به، خرج عن ذنوبه، وكفي هم الدنيا والآخرة (٤). وفي أمالي الصدوق (رحمه الله) بإسناده إلى النبي (صلى الله عليه وآله) عن جبرئيل عن ميكائيل عن إسرافيل عن الله (جل جلاله) في حديث طويل، وفيه يقول (جل جلاله) في حق علي (عليه السلام): وجعلته العلم الهادي من الضلالة

(١٧٩/٣)

---

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ٨٣ باب ٨١ علة المرارة في الاذنين والعذوبة في الشفتين والملوحة في العينين والبرودة في الانف ح ٥ والحديث طويل جدا وفيه من الحكم والآثار والاحكام والمسائل ما لا يخفى، وفيه (أبو زهير) مصغرا بدل (أبو زهرة). ورواه في البحار (الطبعة الحديثة ج ١٠ ص ٢١٢ باب ١٣ احتجاجات الصادق صلوات الله عليه على الزنادقة والمخالفين ومناظراته معهم) ح ١٣ نقلا عن أمالي الطوسي، والحليلة لابي نعيم وصاحب الروضة، وقال: الرواية يزيد بعضها على بعض، عن محمد الصيرفي وعن عبد الرحمن بن سالم، فلا حظ. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٨ ح ١٠٠ وفيه تقطيع. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٩ ح ١٠٤. (٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٠ ح ١٠٧. (*)

(١٨٠/٣)

وبابي الذي اوتي منه، وبيتي الذي من دخله كان آمنا من ناري (١). وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، والحجال، عن ثعلبة، عن أبي خالد القماط، عن عبد الخالق الصيقل قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله (عز وجل): " ومن دخله كان آمنا " فقال: لقد سألني عن شئ ما سألني أحد إلا من شاء الله، قال: من أم هذا لبيت وهو يعلم أنه البيت الذي أمره الله (عز وجل) به، وعرفنا أهل البيت حق معرفتنا، وكان آمنا في الدنيا والآخرة (٢). وفي مجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام): إن من دخله عارفا بجميع ما أوجبه الله عليه، كان آمنا في الآخرة من العذاب الدائم (٣). علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل ابن شاذان، عن صفوان، وابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله

(عليه السلام) قال: إذا أردت دخول الكعبة فاغتسل قبل أن تدخلها، ولا تدخلها بحذاء، وتقول إذا دخلت: اللهم إنك قلت: ومن دخله كان آمنا فامني من عذاب النار (٤). والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله (عز وجل): " ومن دخله كان آمنا " البيت عنى أم الحرم ؟ قال: من دخل الحرم من الناس مستجيرا به فهو آمن به من سخط الله، ومن دخله من الوحش والطيركان آمنا أن يهاج، أو يؤذى حتى يخرج من الحرم (٥). علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله (عز وجل): " ومن دخله كان آمنا " قال: إذا أحدث العبد في غير الحرم جناية ثم فر إلى الحرم لم يسع لاحد أن يأخذه في

---

(١) الامالي للصدوق (عليه الرحمة): المجلس التاسع والثلاثون، ص ١٨٤ ح ١٠. (٢) الكافي: ج ٤ ص ٥٤٥، كتاب الحج، باب النوادر، ح ٢٥. (٣) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٧٨ في تفسيره لقوله تعالى: " ومن دخله كان آمنا ". (٤) الكافي: ج ٤ ص ٥٢٨، كتاب الحج، باب دخول الكعبة قطعة من ح ٣. (٥) الكافي: ج ٤ ص ٢٢٦ كتاب الحج باب في قوله تعالى " ومن دخله كان آمنا " ح ١. (*)

الحرم ولكن يمنع من السوق ولا يبايع ولا يطعم ولا يسقى ولا يكلم، فإنه إذا فعل ذلك [به] (١) يوشك أن يخرج فيؤخذ، وإذا جنى في الحرم جناية اقيم عليه الحد في الحرم لانه لم ير للحرم حرمة (٢). وبإسناده إلى علي بن أبي حمزة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله (عز وجل): " ومن دخله كان آمنا " قال: ان سرق سارق بغير مكة أو جنى جناية على نفسه ففر إلى مكة لم يؤخذ مادام في الحرم حتى يخرج منه، ولكن يمنع من السوق فلا يبايع ولا يجالس حتى يخرج منه فيؤخذ، وإن أحدث في الحرم ذلك الحدث اخذفيه (٣). وفي كتاب علل الشرائع: حدثنا أبي (رضي الله عنه) قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن أيوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه سئل عن طير أهلي أقبل فدخل الحرم فقال: لا يمس، لان الله (عز وجل) يقول: " ومن دخله كان آمنا " (٤). وفي من لا يحضره الفقيه: وسأل محمد بن مسلم أحد هما (عليهما السلام) عن الظبي يدخل الحرم ؟ فقال: لا يؤاخذ ولا يمس، لان

الله (عز وجل) يقول: ومن دخله كان آمنا " (٥). وفي الكافي: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن شاذان بن الخليل أبي الفضل، عن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألته عن رجل لي عليه مال فغاب عني زمانا، فرأيته يطوف حول الكعبة أفأتقاضاه مالي ؟

(١٨٢/٣)

---

(١) مابين المعقوفتين ليس في النسخة – أ – وأثبتناه من المصدر لا قتضاء السياق. (٢) الكافي: ج ٤ ص ٢٢٦، كتاب الحج باب في قوله تعالى " ومن دخله كان آمنا " ح ٢. (٣) الكافي: ج ٤ ص ٢٢٧ كتاب الحج باب في قوله تعالى: " ومن دخله كان آمنا " ذيل ح ٢. (٤) علل الشرائع: ج ٢ ص ١٣٦ باب ٢٠٦ العلة التي من أجلها لا يؤخذ الطير الاهلي إذا دخل الحرم ح ١. (٥) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ١٧٠ باب تحريم صيد الحرم وحكمه ح ١٩. (*)

(١٨٣/٣)

قال: لا تسلم عليه ولا تروعه حتى يخرج من الحرم (١). محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل، عن أبي إسماعيل السراج، عن هارون بن خارجة قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: من دفن في الحرم أمن من الفزع الاكبر، فقلت: من بر الناس وفاجرهم ؟ قال: من بر الناس وفاجرهم (٢). وفي من لا يحضره الفقيه: من مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين، ومن مات بين الحرمين لم ينشر له ديوان، ومن دفن في الحرم أمن من الفزع الاكبر (٣). ولله على الناس حج البيت: قصده للزيارة على الوجه المخصوص، والحج في الاصل القصد. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص (حج) بالكسر، وهي لغة. وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن اذينة قال: كتبت إلى أبي عبد الله (عليه السلام) بمسائل بعضها مع ابن بكير وبعضها مع أبي العباس، فجاء الجواب بإملائه: سألت عن قول الله (عز وجل): " ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا " يعني به الحج والعمرة جميعا، لانهما مفروضان (٤). والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. وفي عيون الاخبار في باب [ما] (٥) ذكر ما كتب به الرضا (عليه السلام) إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في

العلل: وعلة الحج الوقادة إلى الله (عز وجل) وطلب الزيادة والخروج من كل ما اقترف، وليكون تائبا فيما مضى، مستأنفا لما يستقبل، وما فيه من استخراج الاموال، تعب الابدان، وحظرها عن الشهوات
---

(١) الكافي: ج ٤ ص ٢٤١ كتاب الحج باب فيمن رأى غريمه في الحرم ح ١. (٢) الكافي: ج ٤ ص ٢٥٨ كتاب الحج باب فضل الحج والعمرة وثوابهما ح ٢٦، وفي النسخة – أ دخل في الحرم.. بدل دفن في الحرم والصحيح ما اثبتناه من المصدر. (٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ١٤٧ باب فضائل الحج قطعة من ح ١٠٠. (٤) الكافي: ج ٤ ص ٢٦٤ كتاب الحج باب فرض الحج والعمرة ح ١. (٥) كذا في النسخة – أ –، والظاهر أن (ما) هنا زائدة. (*)

واللذات، والتقريب بالعبادة إلى الله (عز وجل)، والخضوع والاستكانة والذل، شاخصا في الحر والبرد والامن والخوف، دائب في ذلك دائم، وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع، الرغبة والرهبة إلى الله تعالى، ومنه ترك قساوة القلب وجسارة الانفس، ونسيان الذكر، وانقطاع الرجاء والامل، وتجديد الحقوق، حظر النفس عن الفساد، ومنفعة من في شرق الارض وغربها، ومن في البر والبحر ممن يحج وممن لا يحج من تاجر وجالب وبائع ومشتروكا سب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الارض، والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها كذلك، ليشهدوا منافعهم (١). من استطاع: بدل من الناس بدل البعض من الكل. إليه سبيلا: تميز من نسبة الفعل إلى المفعول بالواسطة. وفي عيون الاخبار فيما كتبه الرضا (عليه السلام) للمأمون من محض الاسلام وشرائع الدين: وحج البيت فريضة على من استطاع إليه سبيلا، والسبيل الزاد والراحلة مع الصحة (٢). وفي كتاب الخصال: عن الاعمش، عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: هذه شرائع الدين، إلى أن قال: وحج البيت واجب على من استطاع إليه سبيلا، وهو الزاد والراحلة مع صحة البدن وأن يكون للانسان ما يخلفه على عياله وما يرجع إليه من حجة (٣). وفي الكافي: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن خالد ابن جرير، عن أبي الربيع الشامي قال: سئل أبو عبد الله (عليه السلام) عن قول الله تعالى: " من استطاع إليه سبيلا " فقال: ما يقول الناس ؟ قال: فقيل له: الزاد والراحلة قال: فقال أبو عبد الله (عليه السلام): قد سئل أو جعفر (عليه السلام)
---

(١) عيون الاخبار: ج ٢ ص ٨٨ باب ٣٣ في ذكر ما كتب به الرضا (عليه السلام) إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل قطعة من ح ١. (٢) عيون الاخبار: ج ٢ ص ١٢٤ باب ٣٥ ما كتبه الرضا (عليه السلام) للمأمون في محض الاسلام وشرائع الدين، قطعة من ح ١ س ٦. (٣) الخصال: ج ٢ ص ٦٠٦، أبواب المائة فما فوقه (خصال من شرائع الدين) ح ٩ ص ١٢. (*)

---

[١٧٣]

عن هذا فقال: هلك الناس إذا، لئن كان من كان له زاد وراحلة قدر ما يقوت عياله ويستغني به عن الناس ينطلق إليه فيسلبهم إياه لقد هلكوا، فقيل له: فما السبيل ؟ قال: فقال: السعة في المال إذا كان يحج ببعض ويبقى بعضا يقوت به عياله، أليس قد فرض الله الزكاة فلم يجعلهاإلا على من يملك مائتي درهم (١) (٢). محمد بن أبي عبد الله، عن موسى بن عمران، عن الحسين بن يزيد النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سأل رجل من أهل القدر فقال: يابن رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: " ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا " أليس قد جعل الله لهم الا ستطاعة ؟ فقال: ويحك إنما يعني بالاستطاعة الزاد والراحلة، ليس استطاعة البدن، فقال الرجل: أفليس إذا كان الزاد والراحلة فهو مستطيع للحج ؟ فقال: ويحك ليس كما تظن قد ترى الرجل عنده المال الكثير أكثر من الزاد والراحلة فهو لا يحج حتى يأذن الله تعالى في ذلك (٣). علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، عن الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله تعالى: " ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا " قال: ما السبيل ؟ قال: أن يكون له ما يحج به قال: قلت: من عرض عليه ما يحج به فاستحيا من ذلك، أهو ممن يستطيع إليه سبيلا ؟ قال: نعم ما شأنه أن يستحيي، ولو يحج على حمار أجدع أبتر، فإن كان يطيق أن يمشي بعضا ويركب بعضا، فليحج (٤). وفي رواية: أنه يخرج ويمشي إن لم يكن عنده، قيل: لا يقدر على المشي ؟

قال:

---

(١) الكافي: ج ٤ س ٢٦٧ كتاب الحج باب استطاعة الحج ح ٣. (٢) معنى الحديث: لئن كان

من كان له قدر ما يقوت عياله فحسب وجب عليه أن ينفق ذلك في الزاد والراحلة، ثم ينطلق إلى الناس فيسائلهم قوت عياله لهلك الناس إذا. وفي بعض النسخ من الكتب الاربعة: ينطلق إليه، أي إلى الحج، فيسلبهم إياه، يعني يسلب عياله ما يقوتونه، لقد هلكوا، يعني عياله، وهو أصوب وأصح وأضح (وفي باب استطاعة الحج ص ٤٩). (٣) الكافي: ج ٤ ص ٢٦٨، كتاب الحج، باب استطاعة الحج ح ٥. (٤) الكافي: ج ٤، ص ٢٦٦، كتاب الحج، باب استطاعة الحج ح ١. (*)

يمشي ويركب، قيل: لا يقدر على ذلك ؟ قال: يخدم القوم ويخرج معهم (١). اعلم إنه ينبغي أن يحمل اختلاف الروايات على اختلاف الناس في جهات الاستطاعة، فإن بعضهم يجب لهم الزاد والراحلة ولا يجب لهم الرجوع إلى مال لقدرتهم على تحصيل مايموتون به بتجارة وكسب، وبعضهم يجب لهم الرجوع إلى ما يموتون به لعدم قدرتهم على التحصيل، ولعضهم عادتهم الخدمة والتعيش بأي وجه اتفق لهم مع قدرتهم على ذلك فإذا حصل لهم تلك الاستطاعة وجب الحج. وفي كتاب التوحيد: حدثنا أبي ومحمد بن موسى بن المتوكل (رضي الله عنهما) قالا: حدثنا سعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر الحميري جميعا، عن أحمد بن محمد ابن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله (عز وجل): " ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا " قال: يكون له ما يحج به، قلت: من عرض عليه الحج فاستحيا ؟ قال: ممن يستطيع (٢). حدثنا أبي (رضي الله عنه) قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله (عز وجل): " ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا " ما يعنى بذلك ؟ قال: من كان صحيحا في بدنه مخلى سربه زاد وراحله (٣). وفي كتاب علل الشرائع: أبي (رحمه الله) حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن ابن ابي عمير، عن عمر بن اذينة قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله (عز وجل): " ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا " يعني به الحج دون العمرة ؟ فقال: لا، ولكنه يعني الحج والعمرة جميعا لانهما مفروضان (٤).

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٣ ص ١١٦ بتفاوت يسير في بعض الالفاظ. (٢) التوحيد: ص ٣٤٩ ح ١٠. (٣) التوحيد: ص ٣٥٠ ح ١٤. (٤) علل الشرائع: ص ٤٥٣ باب ٢١٠، نوادر علل

(١٨٨/٣)

. في مصباح الشريعة: قال الصادق (عليه السلام): واعلم بأن الله تعالى لم يفرض الحج ولم يخصه من جميع الطاعات بالاضافة إلى نفسه بقوله تعالى: " ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا " ولا شرع نبيه (صلى الله عليه وآله) سنته في خلال المناسك على ترتيب ما شرعه إلا لاستعلائه ولاشارة إلى الموت والقبر والبعث والقيامة وفصل بيان السابقة من الدخول في الجنة اهلها ودخول النار اهلها بمشاهدة مناسك الحج من أولها إلى آخرها لاولي الالباب واولي النهى (١). ومن كفر فإن الله غنى عن العلمين: وضع " كفر " موضع " لم يحج " تأكيدا لوجوبه، تغليظا على تاركه. وقد أكد أمر الحج في هذه الآية من وجوه. الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر، وإبرازه في صورة الاسمية، وإيراده على وجه يفيد أنه حق واجب الله في رقاب الناس، وتعميم الحكم أولا وتخصيصه ثانيا، فإنه كإيضاح بعد إبهام وتنبيه وتكرير للمراد. وتسميته ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة. وذكر الاستغناء فإنه في هذا الموضع يدل على المقت والخذلان، وإيراد (عن العالمين) بدل عنه لما فيه من التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط، وذلك لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس وإتعاب البدن وصرف المال، والتجرد عن الشهوات، والاقبال على الله. وفي من لا يحضره الفقيه: في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه) السلام): يا علي تارك الحج وهو مستطيع كافر، يقول الله (تبارك وتعالى): " ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين " يا علي من سوف الحج حتى يموت بعثه الله يوم القيامة يهوديا أو نصرانيا (٢). وفي الكافي: عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن موسى بن القاسم البحلي، ومحمد بن يحيى، عن العمركي بن علي جميعا، عن علي بن جعفر عن أخيه

(١٨٩/٣)

---

(١) مصباح الشريعة: ص ٤٩ الباب الواحد والعشرون في الحج ذيل الحديث. (٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٢٦٦ باب النوادر، وهو آخر أبواب الكتاب، قطعة من ح ١. (*)

---

[١٧٦]

موسى (عليه السلام) قال: إن الله تعالى فرض الحج على أهل الجدة في كل عام وذلك قوله تعالى: " ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين " قال: قلت: فمن لم يحج فقد كفر ؟ قال: لا، ولكن من قال: ليس هذا هكذا فقد كفر (١). وفي تفسير العياشي: عن (أبي) (٢) اسامة زيد الشحام، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت: أرأيت قول الله " ومن كفر فان الله غني عن العالمين " قال: هو كفر النعم. وقال: " من ترك " في خبر آخر (٣). قيل: وروي أنه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) أرباب الملل فخطبهم وقال: إن الله كتب عليكم الحج فحجوا، فآمنت به ملة واحدة وكفرت خمس ملك، فنزلت " ومن كفر " (٤). وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الله بن الصلت جميعا، عن حماد بن عيسى، عن حريز بن عبد الله، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: بني الاسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية. قال زرارة: وأي من ذلك أفضل ؟ قال: الولاية أفضل لانها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهن. قلت: ثم الذي يليه في الفضل ؟ فقال: الصلاة، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: الصلاة عمود دينكم، قال: قلت: ثم الفضل الذي يليها في الفضل ؟ قال: الركاة لانها قرنها وبدأ بالصلاة قبلها، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الركاة تذهب الذنوب قال: قلت: والذي يليها في الفضل ؟ قال: الحج قال الله (عز وجل): " ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين " وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لحجة مقبولة

---

(١) الكافي: ج ٤ ص ٢٦٥، كتاب الحج، باب فرض الحج والعمرة، ح ٥. (٢) في النسخة – أ (ابن) والصحيح ما اثبتناه من المصدر وكتب الرجال. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٣ ح ١١٥. (٤) الكشاف: ج ١ ص ٣٩١ في تفسيره لقوله تعالى: " ولله على الناس حج البيت " الآية وفي الهامش (أخرجه الطبري من طريق جرير عن الضحاك). (*)

---

[١٧٧]

[قل يأهل الكتب لم تكفرون بايت الله والله شهيد على ما تعملون (٩٨) قل يأهل الكتب لم تصدون عن سبيل الله من ءامن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغفل عما تعملون (٩٩) يأيها الذين

ءامنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتب يردوكم بعد إيمنكم كفرين (١٠٠)] خير من عشرين صلاة نافلة، ومن طاف بهذا البيت طوافا أحصى فيه اسبوعه، وأحسن ركعتيه غفر له، وقال: في يوم عرفة ويوم المزدلفة ما قال (١)، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. وفي نهج البلاغة: قال (عليه السلام): جعله سبحانه وتعالى للاسلام علما، وللعائذين حرما، فرض حجه، وأوجب حقه، وكتب عليكم وفادته، فقال سبحانه: " والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين " (٢). قل يأهل الكتب لم تكفرون بئايت الله: السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد (صلى الله عليه وآله) فيما جاء به من وجوب الحج وغيره. وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب يدل على أن كفرهم أقبح. وأنهم وإن زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة والانجيل، فهم كافرون بهما (٣)، وأن الكفر ببعض كتاب كفر بكله. فالكفر بولاية على (عليه السلام) كفر بجميع آيات الله، فافهم.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٨ ح ٥. (٢) نهج البلاغة: ص ٤٥ قطعة من الخطبة ١ ط صبحي الصالح. (٣) نقلهما في أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج ١ ص ١٧٤ في تفسيره لقوله تعالى: " قل يا أهل الكتاب لم تكفرون. وقل يا أهل الكتاب لم تصدون ". (*)

والله شهيد على ما تعملون: والحال أنه شهيد مطلع على أعمالكم واعتقاداتكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار. قل يأهل الكتب لم تصدون عن سبيل الله من ءامن: تكرير الخطاب والاستفهام لزيادة التقريع ونفي العذر لهم، وللاشعار بأن كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه، مستقل باستجلاب العذاب. وسبيله، دينه الحق المأمور بسلوك، وهو الاسلام المرادف للايمان. قيل: كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى أتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب، ليعودوا لمثله، لمثله، ويحتالون لصدهم عنه (١). تبغونها عوجا: حال من الواو. واللام في المفعول الاول محذوف، أي طالبين لسبيل الله اعوجاجا. أو " عوجا " تمييز من النسبة إلى المفعول، أي طالبين عوجها، بأن تلبسوا عن الناس توهموا أن فيه عوجا عن الحق، بمنع النسخ، وتغير صفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونحوهما، أو بأن تحرشوا بين المؤمنين، ليختلف كلمتهم ويختل أمر دينهم. وأنتم شهداء: إنها سبيل الله والصد عنها ضلال وإضلال وأنتم عدول عند أهل ملتكم، يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في القضايا. وما الله بغفل عما تعملون: وعيد لهم. ولما كان

المنكر في الآية الاولى، كفرهم، وهم يجهزون به، ختمها بقوله: " والله شهيد ". وفي هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام، وكانوا يخفون ويحتالون فيه، قال: " وما الله بغافل عما تعملون ". يأيها الذين ءامنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتب يردوكم بعد إيمنكم كافرين:

---

(١) نقلهما في انوار التنزيل واسرار التأويل: ج ١ ص ١٧٤ في تفسيره لقوله تعالى " قل يا أهل الكتاب لم تكفرون وقل يا أهل الكتاب لم تصدون ". (*)

[كيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم ءايت الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صرط مستقيم (١٠١)] قيل: نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شامر بن قيس اليهودي، فغاظوا تألفهم واجتماعهم، فأمر شابا من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم يوم (بعاث) (١) وينشدهم بعض ما قيل فيه، وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس، ففعل، فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا، وقالوا: السلاح السلاح، واجتمع مع القبيلتين خلق عظيم، فتوجه إليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه، فقال: أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذا أكرمكم الله بإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بين قلوبكم، فعلموا أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح، واستغفروا، وعانق بعضهم بعضا، وانصرفوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) (٢). وإنما خاطبهم الله تعالى بنفسه بعد ما أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) بأن يخاطب أهل الكتاب، إظهارا لجلالة قدرهم، وإشعارا بأنهم هم الاحقاء بأن يخاطبهم تعالى ويكلمهم. وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم ءايات الله وفيكم رسوله: إنكار

---

(١) في النسخة – ا –: يغاث والصحيح ما أثبتناه، ويوم بعاث بضم الباء يوم معروف كإن فيه حرب بين الاوس والخزرج في الجاهلية ذكره الواقدي ومحمد بن إسحاق في كتابيهما، قال الازهري: وذكر ابن المظفر هذا في كتاب العين فجعله يوم بغات (بالغين المعجمة) وصحفه، وما كان الخليل (رحمه الله) ليخفى عليه ويوم بعاث لانه من مشاهير أيام العرب (لسان العرب: ج ٢ ص ١١٧ في لغة بعث) وقال أيضا في ص ١١٩ في لغة بغث: يوم بغاث، يوم وقعة كانت بين الاوس والخزرج، قال الازهري: إنما هو بعاث بالعين، وهو من مشاهير أيام العرب، ومن قال بغاث فقد صحف. (٢) نقله في الكشاف: ج ١ ص ٣٩٣ في تفسيره لقوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا " الآية،

ونقله ابن هشام في السيرة: ج ٢ ص ١٨٣. (*)

(١٩٣/٣)

وتعجب لكفرهم في حال الجتمع لهم الاسباب الداعية إلى الايمان الصارفة عن الكفر. ومن يعتصم بالله: ومن يستمسك بدينه، أو يلتجأ إليه في مجامع اموره. في كتاب الخصال: عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: قال إبليس: خمسة أشياء ليس لي فيهن حيلة، وسائر الناس في قبضتي: من اعتصم بالله عن نية صادقة فاتكل عليه في جميع اموره كلها، الحديث (١). فقد هدى إلى صرط مستقيم: فقد اهتدى لا محالة. وفي كتاب معاني الاخبار: بإسناده إلى حسين الاشقر قال: قلت لهشام بن الحكم: ما معنى قولكم: إن الامام لا يكون إلا معصوما ؟ فقال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن ذلك فقال: المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله (تبارك وتعالى): " ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم " (٢). وفي اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: أيما عبد أقبل قبل ما يحب الله عز وجل، اقبل الله قبل ما يحب (٣). ومن اعتصم بالله عصمه الله.

(١٩٤/٣)

---

(١) الخصال: ص ٢٨٥ باب الخمسة ح ٣٧ وتمام الحديث (ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره، ومن رضي لاخيه المؤمن بما يرضاه لنفسه، ومن لم يخزع على المصيبة حين تصيبه، ومن رضي بما قسم الله له ولم يهتم لرزقة). (٢) معاني الاخبار: ص ١٣٢ باب معنى عصمة الامام، ح ٢. (٣) يقال: أقبل قبلك، أي قصد قصدك وتوجه إليك وجعلك قبالة وجهه وتلقاءه. والمراد بإقبال العبد نحو ما يحبه الله، قصده والاتيان به طلبا لرضاه. وبإقبال الله نحو ما يحبه العبد إضافة ما يسر به قبله وتقربه عينه. ومن اعتصم بالله عصمه الله من الضياع والحاجة، كما اعتصم به مؤمن آل فرعون بقوله " وافوض أمري إلى الله بصير بالعباد " فلجأ من شر فرعون وجنوده إليه سبحانه واعتصم به، فوقاه الله سيئات ما مكروا. واعتصم به يونس (عليه السلام) في الظلمات بقوله: " لا إله إلا أنت

سبحانك إني كنت من الظالمين " فلجأ من غضبه إليه واعتصم به، فأقبل الله إليه بالقبول وعصمه بقوله: " فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين " واعتصم به أيوب (عليه (*)

---

[١٨١]

[يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون (١٠٢)] ومن أقبله الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء على الارض (١). أو كانت نازلة نزلت على أهل الارض فشملتهم بلية، كان في حزب الله بالتقوى من كل بلية (٢)، أليس الله عز وجل يقول: " إن المتقين في مقام أمين " (٣) (٤) (٥). يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته: حق تقواه وما يجب منها. وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم. أصله (وقية) فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة، والياء الفا. وفي مجمع البيان: وذكر في قوله تعالى: " حق تقاته " وجوه، ثانيها: أنه المجاهدة في الله، وأن لا تأخذه لومة لائم، وأن يقام له بالقسط في الخوف والامن، عن مجاهد، ثم اختلف فيه أيضا على قولين: أحدهما: أنه منسوخ بقوله: " فاتقوا الله

السلام) وأقبل إليه بقول: رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين " فأقبل الله إليه باقبول وعصمه ورفع عنه الكرب والضر. وكذلك لجأ إليه كثير من الانبياء والمرسلين والصلحاء والمتقين والفاسقين فأقبل الله إليهم بقضاء حوائجهم وإزاحة مكارههم (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج ٨ ص ٢٠٠). (١) ومن أقبل الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء: إن جعل (لم يبال) وحده جوابا للشرط السابق، كان جواب الشرط اللاحق قوله: " كان في حزب الله " وإن جعل جوابا للشرط اللاحق وجعل المجموع جوابا للشرط السابق، كان قوله: " كان في حزب الله " استئنافا (المصدر نفسه). (٢) بالتقوى من كل بلية: أي يقيه من كل بلية في الدنيا والآخرة (المصدر). (٣) الدخان: ٥١. (٤) أي المأمون من البلية والآفة فيهما (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج ٨ ص ٢٠٠). (٥) الكافي: ج ٢ ص ٦٥ كتاب الايمان والكفر، باب التفويض إلى الله والتوكل عليه، ح ٤. (*)

---

[١٨٢]

ما استطعتم " (١) وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) (٢). وفي كتاب معاني الاخبار: بإسناده إلى أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله (عز وجل): " اتقوا الله حق تقاته " ؟ قال: يطاع ولا يعصى، ويذكر ولا ينسى، ويشكر ولا يكفر (٣). ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون: أي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام إذا أدرككم الموت. فإن النهي عن المقيد بحال وغيرها، قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى، وقد يتوجه نحو المجموع، وكذلك النفي. وفي مجمع البيان: وروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) " وأنتم مسلمون " بالتشديد، ومعناه مستسلمون لما أتى النبي (صلى الله عليه وآله) به ومنقادون له (٤). وفي تفسير العياشي: عن الحسين بن خالد قال: قال أبو الحسن الاول (عليه السلام) لبعض أصحابه: كيف تقرأ هذه الآية ؟ " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون " ما ذا ؟ قلت: " مسلمون " فقال: سبحان الله يوقع عليهم الايمان فيسميهم مؤمنين، ثم يسألهم الاسلام، والايمان فوق الاسلام ؟ قلت: هكذا يقرأ في قراءة زيد، قال: إنما هي في قراءة علي (عليه السلام) وهو التنزيل الذي نزل به جبرئيل على محمد (صلى الله عليه وآله)، إلا وأنتم مسلمون لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم الامام من بعده (٥). وفي كتاب المناقب لابن شهراشوب: عن الباقر (عليه السلام) في قراءة علي (عليه السلام) وهو التنزيل الذي نزل به جبرئيل على محمد (صلى الله عليه وآله)،

---

(١) التغابن: ١٦. (٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٨٢ في تفسيره لقوله تعالى: " اتقوا الله حق تقاته ". (٣) معاني الاخبار: ص ٢٤٠ باب معنى اتقاء الله حق تقاته، ح ١. (٤) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٨٢ في تفسيره لقوله تعالى: " ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ". (٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٣ ح ١١٩. (*)

[واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخونا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم ءايته لعلكم تهتدون (١٠٣)] ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون لرسول الله (صلى الله عليه وآله) والامام بعده (١). وفي عيون الاخبار: بإسناده إلى داود بن سليمان (القارئ) (٢)، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) أنه قال: الدنيا كلها جهل إلا مواضع العلم، والعلم كله حجة إلا ما عمل به، والعمل كله رياء إلا ما كان مخلصا، والاخلاص

على خطر حتى ينظر العبد بما يختم له (٣). وفي نهج البلاغة: قال (عليه السلام): فبادروا العمل، وخافوا بغتة الاجل، فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق، ما فات اليوم من الرزق رجى غدا زيادته، وما فات الامس من العمر لم ترج اليوم رجعته، الرجاء مع الجائي، واليأس مع الماضي " فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ". (٤) واعتصموا بحبل الله: بدينه الاسلام الذي ملاكه الولاية والكتبا.

---

(١) ما عثرت عليه في المناقب مع الفحص الشديد هذا لفظه: وعنه (أي الباقر) في قوله: إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون لولاية علي لا حظ المناقب لا بن شهراشوب: ج ٢ ص ٣٥٣ فصل في ذكره (عليه السلام) في الكتب. وأيضا في ج ٣ ص ٩٥ فصل في أنه الايمان والاسلام. (٢) في المصدر: (الغازي). (٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ٢١٩ باب ٢٨ فيما جاء عن الامام على بن موسى الرضا (عليهما السلام) من الاخبار المتفرقة، ح ٢٥. (٤) نهج البلاغة: ص ١٧١ ومن خطبة له، وفيها مواعظ للناس. صبحي الصالح. (*)

وفي الكتاب استعارة تبعية، ووجه الشبه التمسك به، فإن المتمسك به سبب النجاة عن الردى، كما أن التمسك بالحبل سبب السلامة عن التردي: والاعتصام ترشيح للاستعارة. جميعا: مجتمعين عليه. وفي أمالي شيخ الطائفة (رحمه الله): بإسناده إلى عمر بن راشد، عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) في قوله: " واعتصموا بحبل الله جميعا " قال: نحن الحبل (١). وفي تفسير العياشي: عن ابن يزيد قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن قوله: " واعتصموا بحبل الله جميعا " قال: علي بن أبي طالب (عليه السلام) حبل الله المتين (٢). وعن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: آل محمد (عليهم السلام) هم حبل الله الذي أمرنا بالاعتصام به، فقال " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " (٣). وفي كتاب معاني الاخبار: بإسناده إلى موسى بن جعفر (عليهما السلام)، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين (عليهم السلام) قال: الامام منا لا يكون إلا معصوما، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، ولذلك لا يكون إلا منصوصا، فقيل له: يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فما معنى المعصوم ؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، والامام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الامام، وذلك قول الله (عز وجل): " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم " (٤) (٥).

---

(١) الامالي لشيخ الطائفة: ج ١ ص ٢٧٨، ولفظ الحديث (قال أبو العباس – هو عمر بن راشد أبو سليمان – عن جعفر بن محمد في قوله: " ثم لتسألن يومئذ عن النعيم " قال: نحن من النعيم. وفي قوله: " واعتصموا بحبل الله جميعا " قال: نحن الحبل). (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٤ ح ١٢٢. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٤ ح ١٢٣. (٤) الاسراء: ٩. (٥) معاني الاخبار: ص ١٣٢ باب معنى عصمة الامام ح ١. (*)

وفي مجمع البيان: روى أبو سعيد الخدري، عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: أيها الناس إني تركت فيكم حبلين إن أخذتم بهما لن تضلوا من بعدي، أحد هما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الارض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض (١). وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله " واعتصموا بحبل الله جميعا " قال: التوحيد والولاية (٢). اولا تفرقوا: أي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب، أولا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا، أولا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة. وفي تفسير علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: " ولا تفرقوا " قال: إن الله (تبارك وتعالى) علم أنهم سيتفرقون بعد نبيهم ويختلفون، فنهاهم عن التفرق كما نهى من قبلهم، فأمرهم أن يجتمعوا على ولاية آل محمد (صلى الله عليه وآله)، ولا يتفرقوا (٣). وفي شرح الآيات الباهرة: وروى الشيخ المفيد (رحمه الله) في تأويل هذه الآية، وهو من محاسن التأويل، عن محمد بن الحسن، عن أبيه، عن جده قال: قال علي بن الحسين (صلوات الله عليهما): كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم جالسا في المسجد وأصحابه حوله، فقال لهم: يطلع عليكم رجل من أهل الجنة يسأل عما يعنيه، قال: فطلع علينا رجل شيبه برجال مصر، فتقدم وسلم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجلس وقال: يا رسول الله إني سمعت الله يقول: " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " فما هذا الحبل الذي أمر الله بالاعتصام به ولا نتفرق عنه ؟ قال: فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأشار إلى علي بن أبي طالب (عليه

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٨٢ في تفسيره لقوله تعالى: " واعتصموا بحبل الله ". (٢) و (٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٨ في تفسيره لقوله تعالى: " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا

تفرقوا ". (*)

(٢٠٠/٣)

السلام) وقال: هذا حبل الله الذي من تمسك به عصم في دنياه ولم يضل في اخراه، قال: فوثب الرجل إلى علي بن أبي طالب واختضنه من وراء ظهره، وهو يقول: اعتصمت بحبل الله وحبل رسوله، ثم قام فولى وخرج، فقام رجل من الناس فقال: يا رسول الله (صلى الله عليك وآلك) الحقه واسأله أن يستغفر لي ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا تجده مرفقا، قال: فلحقه الرجل وسأله أن يستغفر له ؟ فقال له: هل فهمت ما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) وما قلت له: قال الرجل: نعم، فقال له: إن كنت متمسكا بذلك الحبل فغفر الله لك، وإلا فلا غفر الله لك، وتركه ومضى (١). وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي: قال: حدثني الحسين بن محمد، قال: حدثنا محمد بن مروان بن أعين، قال: حدثنا أبو حفص الاعمش، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جده (عليهم السلام) قال: جاء رجل في صورة اعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله بأبي أنت وامي ما معنى " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): أنا نبي الله وعلي بن أبي طالب حبله، فخرج الاعرابي وهو يقول: آمنت بالله وبرسوله وبحبله (٢). وقال: حدثني محمد بن الحسن بن إبراهيم معنعنا عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: كنت عند النبي (صلى الله عليه وآله) فأقبل إعرابي فقال: يا رسول الله ما قول الله في كتابه: " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " فما حبل الله ؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله): يا إعرابي أنا نبيه وعلي بن أبي طالب حبله، فخرج الاعرابي وهو يقول: آمنت بالله وبرسوله واعتصمت بحبله (٣). وقال: حدثني جعفر بن محمد الفزاري معنعنا [عن جعفر بن محمد قال بينا] (٤)

(٢٠١/٣)

---

(١) لا يوجد لدينا هذا الكتاب بل وجدناه في تأويل الآيات الطاهرة: ص ١٢٣. (٢) تفسير فرات الكوفي: ص ١٤. (٣) تفسير فرات الكوفي: ص ١٤. (٤) ما بين المعقوفتين ليس في نسخة – أ – وأثبتناه من المصدر لاقتضاء سياق الكلام. (*)

---

[١٨٧]

رسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس في جماعة من أصحابه [إذ] (١) ورد عليه اعرابي فبرك بين يديه فقال: يا رسول الله إني سمعت الله يقول في كتابه: " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " فما هذا الحبل الذي امرنا الله بالاعتصام به ما هو ؟ قال: فضرب النبي يده على كتف علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: ولاية لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله واعتصم بحبل الله، قال وشد اصابعه (٢). وقال: حدثني جعفر بن محمد بن سعيد الاحمسي معنعنا عن جعفر بن محمد (عليهم السلام) قال: نحن حبل الله الذي قال: " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " وولاية علي التي من استمسك به كان مؤمنا ومن تركها خرج من الآيات (٣). واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء: في الجاهلية متقابلين. فألف بين قلوبكم: بالاسلام. فأصبحتم بنعمته إخوانا: متحابين مجتمعين على الاخوة في الله. في كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى عبد الرحمن بن سليمان، عن أبيه، عن أبي جعفر (عليه السلام)، عن الحارث بن نوفل قال: قال علي (عليه السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله): أمنا الهداة أم غيرنا ؟ قال: بل منا الهداة إلى الله إلى يوم القيامة، بنا استنقذهم الله (عز وجل) من ضلالة الشرك، وبنا استنقذهم الله من ضلالة الفتنة، وبنا يصبحون إخوانا بعد ضلالة الفتنة كما بنا أصبحوا إخوانا بعد ضلالة الشرك، وبنا يختم الله، وبنا يفتح (٤). وقيل: كان الاوس والخزرج أخوين لابوين، فوقعت بين أولادهم العداوة، (١) ما بين المعقوفتين ليس في نسخة – أ – وأثبتناه من المصدر لاقتضاء سياق الكلام. (٢ و ٣) تفسير فرات الكوفي: ص ١٥. (٤) كتاب كمال

الدين وتمام النعمة: ص ٢٣٠ باب اتصال الوصية من لدن آدم. ح ٣١. (*)

---

[١٨٨]

وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الله تعالى بالاسلام وألف بينهم برسوله (صلى الله عليه وآله) (١). وكنتم على شفا حفرة من النار: أي مشفين على الوقوع في نار جهنم، إذ لو أدرككم الموت في تلك الحال لوقعتم فيها. فأنقذكم منها: بالاسلام. والضمير لل (حفرة) أو لـ (النار) أو لل (شفا) وتأنيثه لتأنيث ما اضيف إليه، أو لانه بمعنى الشفة، فإن شفاء البئر وشفتها طرفها، كالجانب والجانبة. وإصله (شفو) فقلبت الواو في المذكر وحذف في المؤنث. وفي روضة الكافي: علي بن إبراهيم، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى: "

وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها " بمحمد. هكذا والله نزل بها جبرئيل (٢) على محمد (صلى الله عليه وآله) (٣).

(٢٠٣/٣)

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٨٢. والكشاف: ج ١ ص ٣٩٥ ومن أراد الاطلاع أكثر من ذلك فعليه بمراجعة الكامل لابن الاثير: ج ١ من ص ٦٥٥ إلى ٦٨٠. (٢) قد تكرر في الحديث مثل هذ التعبير، بشأن كثير من الآيات، ورد في تفسيرها: انها نزلت كذا، أو نزل بها جبرائيل كذا، والمراد: بيان شأن النزول، حسب المصطلح اليوم. اي ان المقصود بنزول الآية والمناسبة المستدعية لنزولها كان كذا. كما ورد في قوله (صلى الله عليه وآله): " ان فيكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله. وهو علي بن أبي طالب " (تفسير العياشي: ج ١ ص ١٥ ح ٦. فقد قاتل (صلى الله عليه وآله) على تنزيل القرآن أي تطبيقه الخاص بمورد نزوله. وسيقاتل علي (عليه السلام) على تأويله، أي تطبيقه العام على موارد مشابهة لنزوله تماما. فالتعبير " بمحمد " جاء لبيان انه الوسيلة التي تحقق بها هذا الانقاذ، وهو المقصود من فاعل الانقاذ بالمباشر. لا ان الآية كانت كذلك.. وان توهمه بعض من لا خبرة له بلحن الكلام. والدليل القاطع على ارادة هذا المعنى، وفرة الروايات واتفاق كلمة الاعلام على انه تفسير لا غير، ومن ثم اختلفت التعابير. فتارة: عبر بالاسلام. واخرى: برسول الله. وثالثة: بمحمد. وما شابه من تعابير، كلها ينم عن حقيقة واحدة: هو بيان وسيلة الانقاذ. وحتى المصنف نفسه جعل من هذه التعابير تفسيرا لا ارادة التغيير. قال – عند تفسير الآية " كنتم خير امة.. ": أي بهذا المعنى نزلت. (٣) الكافي: ج ٨ ص ١٥٩ ح ٢٠٨. (*)

(٢٠٤/٣)

[ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (١٠٤)] وبإسناده إلى أبي هارون المكفوف عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان أبو عبد الله (عليه السلام) إذا ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: بأبي وامي وقومي وعترتي وعشيرتي، عجب للعرب كيف لا تحملنا على رؤوسها، والله (عز وجل) يقول في كتابه: " وكنتم على شفا حفرة

من النار فأنقذكم منها " فبرسول الله (صلى الله عليه وآله) انقذوا (١). وفي تفسير العياشي: عن أبي الحسن علي بن محمد بن ميثم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: أبشروا بأعظم المنن عليكم قول الله تعالى: " وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها " فالانقاذ من الله هبة، والله لا يرجع من هبته (٢). وعن محمد بن سليمان البصري الديلمي، عن أبيه، عن أبي عبد الله (عليه السلام): " وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها " محمد (صلى الله عليه وآله) (٣). كذلك: مثل ذلك التبيين. يبين الله لكم ءايته لعلكم تهتدون: إرادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه. ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر: (من) للتبعيض واللام للاستغراق، أي وليكن بعضكم يدعون بكل خير ويأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر. وأولئك هم المفلحون: المخصوصون بكمال الفلاح، لا حاجة لهم إلى داع

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ٢٢١ ح ٣٨٨. (٢ و ٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٤ ح ١٢٥ و ١٢٤. (*)

يدعوهم إلى الخير وآمر يأمرهم بالمعروف، وناه ينهاهم عن المنكر. وفي لفظ " منكم " إشعار بأنه غير النبي، فيجب من دلالة الآية: أن يكون أمة غير النبي يكون نفسه معصوما ويعلم كل خير وكل معروف وكل منكر، يدعو ويأمر وينهى. وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن يزيد، عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت: أخبرني عن الدعاء إلى الله والجهاد في سبيله، أهو لقوم لا يحل إلا لهم، ولا يقوم به إلا من كان منهم، أم هو مباح لكل من وحد الله (عز وجل) وآمن برسوله (صلى الله عليه) وآله) ومن كان كذا فله أن يدعو إلى الله (عز وجل) وإلى طاعته وأن يجاهد في سبيله ؟ فقال: ذلك لقوم لا يحل إلا لهم، ولا يقوم بذلك إلا من كان منهم. قلت: من اولئك ؟ قال: من قام بشرائط الله (عز وجل) في القتال والجهاد على المجاهدين، فهو مأذون له في الدعاء إلى الله تعالى. ومن لم يكن قائما بشرائط الله (عز وجل) في الجهاد على المجاهدين، فليس بمأذون له في الجهاد ولا الدعاء إلى الله حتى يحكم في نفسه ما أخذ الله عليه من شرائط الجهاد، إلى أن قال (عليه السلام): ومن كان على خلاف ذلك فهو ظالم وليس من المظلومين، وليس بمأذون له في القتال ولا بالنهي عن المنكر والامر بالمعروف، لانه ليس من أهل ذلك ولا مأذون له في الدعاء إلى الله تعالى، لانه ليس مجاهد

مثله وأمر بدعائه إلى الله، ولا يكون مجاهدا من قد أمر المؤمنون بجهاده، وحظر الجهاد عليه ومنعه منه، ولا يكون داعيا إلى الله تعالى من أمر بدعاء مثله إلى التوبة والحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يأمر بالمعروف من قد امر أن يؤمر به، ولا ينهى عن المنكر من قد امر أن ينهى عن. وفي هذا الحديث يقول (عليه السلام): ثم ذكر من أذن له في الدعاء إليه بعده وبعد رسوله في كتابه فقال: " ولتكن منكم امه يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم

المفلحون " ثم أخبر عن هذه الامة وممن هي وأنها من ذرية إبراهيم (عليه السلام) ومن ذرية إسماعيل من سكان الحرم ممن لم يعبدوا غير الله قط الذين وجبت لهم الدعوة، دعوة إبراهيم وإسماعيل من أهل المسجد الذين أخبر.

عنهم في كتابه أنهم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا الذين وصفناهم قبل هذا في صفة امة محمد (صلى الله عليه وآله)، الذين عناهم الله في قوله: " ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني " (١) يعني من اتبعه على الايمان به، والتصديق له وبما جاء به من عند الله تعالى من الامة التي بعث فيها ومنها وإليها قبل الخلق ممن لم يشرك بالله قط، ولم يلبس إيمانه بظلم وهو الشرك (٢).

علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: وسئل عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، أواجب هو على الامة جميعا ؟ فقال: لا، فقيل له: ولم ؟ قال: إنما هو على القوي المطاع، العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعفة الذين لا يهتدون سبيلا، إلى أي من أي يقول إلى الحق من الباطل والدليل على ذلك كتاب الله تعالى قوله: " ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " فهذا خاص غير عام كما قال الله تعالى: " ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون " (٣) ولم يقل على امة موسى، ولا على قومه، وهم يومئذ امم مختلفة، والامة واحدة فصاعدا، كما قال الله تعالى: " إن إبراهيم كان امة قانتا لله " (٤) يقول: مطيعا لله تعالى (٥). والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجه. وفي تفسير علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) وفي قوله: " ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير " فهذه لآل محمد ومن تابعهم يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف، ينهون عن المنكر (٦). وفي كتاب الخصال: عن يعقوب بن يزيد بإسناده رفعه إلى أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: الامر بالمعروف والنهي عن

المنكر خلقان من خلق الله تعالى، فمن

---

(١) يوسف: ١٠٨. (٢) الكافي: ج ٥ ص ١٣ كتاب الجهاد، باب من يجب عليه الجهاد ومن لا يجب، قطعة من ح ١ والحديث طويل. (٣) الاعراف: ١٥٨. (٤) النحل: ١١٩. (٥) الكافي: ج ٥ ص ٥٩ كتاب الجهاد، باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ح ١٦. (٦) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٨ في تفسير لقوله تعالى: " ولتكن منكم امة ". (*)

---

[١٩٢]

نصرهما أعزه الله ومن خذلهما خذله الله تعالى (١). وفي نهج البلاغة: قال (عليه السلام): انهوا عن المنكر وتنا هوا عنه، فإنما امرتم بالنهي بعد التناهي (٢). وفيه: لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، والناهين عن المنكر العاملين به (٣). وفي تفسير العياشي: عن ابي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: في قوله تعالى: " ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " قال: في هذه الآية تكفر اهل القبلة بالمعاصي لانه من لم يكن يدعو إلى الخيرات ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من المسلمين فليس من الامة التي وصفها لله لانكم تزعمون أن جميع المسلمين من امة محمد وقد بدت هذه الآية وقد وصفت امة محمد بالدعاء إلى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن لم يوجد فيه الصفة التي وصفت بها فكيف يكون من الامة وهو على خلاف ما شرطه الله على الامة ووصفها به (٤). واعلم أن الداعي إلى كل خير والآمر بكل معروف والناهي عن كل منكر، لا يكون إلا معصوما وعالما بكل خير ومعروف ومنكر، ويجب وجوده ونصبه في كل زمان على الله تعالى، إذ لا يمكن لاحد العلم بعصمة أحد إلا من طريق النص. وأما الامر بمعروف علم من الشرع كونه معروفا والنهي عن منكر علم من الشرع كونه منكرا، فيجب على كل من يقدر عليه كفاية، وفي بعض الاخبار السابقة. دلالة عليه.

---

(١) الخصال: ج ١ ص ٤٢، باب الاثنين، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله عز وجل، ح ٣٢. (٢) نهج البلاغة: ص ١٥٢ ومن خطبة له (عليه السلام) في بعض صفات الرسول الاكرم (وعظ الناس)، صبحي الصالح. (٣) نهج البلاغة: ص ١٨٨ ومن خطبة له (عليه السلام) في ذكر المكائيل والموازين، صبحي الصالح. (٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٥ ح ١٢٧. (*)

---

[١٩٣]

وفي التهذيب: عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الارض ولا في السماء (١). وفي الكافي والتهذيب: عن الباقر (عليه السلام) قال: يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مراؤون يتقرؤون (٢) وينسكون حدثاء سفهاء لا يوجبون أمرا بمعروف ولا نهيا عن منكر إلا إذا امنوا الضرر، يطلبون لانفسهم الرخص والمعاذير، يتبعون زلات العلماء وفساد علمهم، يقبلون على الصلاة والصيام وما لا يكلمهم في نفس ولا مال، ولو أضرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها. إن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، هنالك يتم غضب الله عليهم فيعمهم بعقابه، فيهلك الابرار في دار الفجار، والصغار في دار الكبار، وأن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الانبياء ومنهاج الصالحين، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الارض، وينتصف من الاعداء، ويستقيم الامر، فأنكروا بقلوبكم، وألفظوا بألسنتكم، وصكوا بها جباههم، ولا بخافوا في الله لومة لائم، فإن اتعظوا وإلى الحق رجعوا، فلا سبيل عليهم " إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب أليم " (٣) هنالك فجاهدوهم بأبدانكم وأبغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطانا، ولا باغين مالا،

ولا مريدين بالظلم ظفرا، حتى يفيئواإلى أمر الله ويمضوا على طاعته. قال أبو جعفر (عليه السلام): وأوحى الله إلى شعيب النبي أني معذب من قومك مائة ألف، أربعين ألفا من شرارهم وستين ألفا من خيارهم، فقال: يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخبار ؟ فأوحى الله (عز وجل) إليه أنهم داهنوا أهل

---

(١) التهذيب: ج ٦ ص ١٨١ باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح ٢٢. (٢) بيان

(يتقرؤون) أي يتعبدون ويتزهدون، فالعطف تفسيري (إذا آمنوا الضرر) أي مايحسبونه ضررا وليس بضرر، والاتباع، التتبع، والكلم الجح، والصك الضرب الشديد (الوافي: ج ٢ ص ٢٨ باب الحث على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر). (٣) الشورى: ٤٢. (*)

[ولا تكونوا كالذين تفرقوا أو اختلفوا من بعد ما جاء هم البينت وأولئك لهم عذاب عظيم (١٠٥) يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمنكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (١٠٦) وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خلدون (١٠٧)] المعاصي ولم يغضبوا الغضبي (١). وفي شرح الآيات الباهرة: روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: " ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون " نحن هم صدق الله ورسوله لان هذه الصفات من صفات الائمة (صلوات الله عليهم)، لانهم معصومون والمعصوم لا يأمر بطاعة إلا وقد ائتمربها ولا ينهى عن المعصية إلا وقد انتهى عنها، كما قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه وآله) والله ما امرتكم بطاعة إلا وقد ائتمرت بها ولا نهيتكم عن معصية إلا وقد انتهيت عنها (٢). ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا: كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه وأحوال الآخرة. من بعد ما جاء هم البينت: في موضع الحال من فاعل الفعل السابق، وهي الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه. وفي الآية دلالة على كفر من اختلف وتفرق عن الحق بعد مجئ البينة.

---

(١) التهذيب: ج ٦ ص ١٨١ باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ح ٢١ وفي الكافي: ج ٥ ص ٥٥ كتاب الجهاد، باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ح ١. (٢) لا يوجد لدينا هذا الكتاب بل وجدناه في تأويل الآيات الطاهرة: ص ١٢٤. (*)

وفي عطف " اختلفوا " على " تفرقوا " دلالة على أن الاختلاف إذا كان بحيث يوجب التفرق، يوجب ذلك، لا مطلقا، كاختلاف الشيعة في بعض الفروع. وأولئك لهم عذاب عظيم: وعيد للذين تفرقوا، وتهديد على التشبه بهم. يوم تبيض وجوه وتسود وجوه: نصب بما في " لهم " من معنى الفعل، أو بإضمار (أذكر). وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف. وقيل: يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة، وسعي النور بين يديه وبيمينه، وأهل الباطل بأضداد ذلك (١) وفي الاخبار دلالة على ذلك (٢). فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمنكم: أي فيقال لهم: " أكفرتم " والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم. في مجمع البيان: عن أمير المؤمنين (عليه السلام): إنهم أهل البدع والاهواء والآراء الباطلة من هذه الامة (٣). وعن الثعلبي في تفسيره: عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: والذي نفسي بيده ليردن علي الحوض ممن صحبني أقوام حتى إذا رأيتهم اختجلوا (٤) دوني، فلا قولن: أصيحابي أصيحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقهري (٥). فذوقوا العذاب: أمر إهانة. بما كنتم تكفرون: بسبب كفركم. وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله: يعني الجنة والثواب المخلد، عبر

---

(١) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٧٦ في تفسيره لقوله تعالى: " يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ". (٢) لا حظ تفسير القمي: ج ١ ص ١٠٩ والبرهان: ج ١ ص ٣٠٨ والصافي: ج ١ ص ٣٤٠ في تفسير الآية. (٣) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٨٥ في تفسيره لقوله تعالى: " يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ". (٤) في الهامش (اختلجوا أي احتدبوا واقتطعوا، منه). (٥) رواه في مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٨٥ نقلا عن الثعلبي في تفسيره. (*)

عن ذلك بالرحمة: تنبيها على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله، لا يدخل الجنة إلا برحمته وفضله. قيل: كان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم، ولكن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم (١). هم فيها خلدون: أخرجه مخرج الاستئنافا، للتأكيد، كأنه قيل: كيف يكونون فيها ؟ فقال، هم فيها خالدون. وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي، عن صفوان بن يحيى، عن أبي الجارود، عن عمران بن هيثم، عن مالك بن ابي حمزة، عن أبي ذر (رحمه الله) قال: لما نزلت هذه الآية: " يوم تبيض وجوه وتسود وجوه " قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يرد علي امتي يوم القيامة على خمس رايات، فراية مع عجل هذه الامة، فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من

بعدي ؟ فيقولون: أما الاكبر فحرفناه ونبذناه وراء ظهورنا، وأما الاصغر فعاديناه وأبضغناه وظلمناه، فأقول: ردوا النار ظلماء مظمئين مسودة وجوهكم، ثم يرد علي راية مع فرعون هذه الامة فأقولهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي ؟ فيقولون: أما الاكبر فحرفناه ومزقناه وخالفناه، وأما الاصغر فعاديناه وقاتلناه، فأقول: ردوا النار ظلماء مظمئين مسودة وجوهكم، ثم يرد علي راية مع سامري هذه الامة فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي ؟ فيقولون: أما الاكبر فعصيناه وتركناه، وأما الاصغر فخذلناه وضيعناه فأقول: ردوا النار ظلماء مظمئين مودة وجوهكم، ثم يرد علي راية ذي الثدية مع أول الخوارج وآخرهم فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي ؟ فيقولون: أما الاكبر فمزقناه وبرئنا منه وأما الاصغر فقاتلناه وقتلناه، فأقول: ردوا النار ظماء مظمئين مسودة وجوهكم، ثم يرد علي راية إمام المتقين وسيد المرسلين وقائد الغر المحجلين ووصي رسول رب العالمين، فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي ؟ فيقولون: أما الاكبر فاتبعناه وأطعناه، وأما الاصغر

(٢١٣/٣)

---

(١) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٧٦ في تفسيره لقوله تعالى: " أما الذين ابيضت ". (*)

---

[١٩٧]

فأحببناه ووالياه ونصرناه حتى اهرقت فيه دماءنا، فأقول: ردوا الجنة رواة مرويين مبيضة وجوهكم، ثم تلا رسول الله (صلى الله عليه وآله): " يوم تبيض وجوه " – إلى قوله – " خالدون " (١). وفي روضة الكافي: خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وهي خطبة الوسيلة، يقول فيها: وعن يسار الوسيلة، عن يسار رسول الله (صلى الله عليه وآله) ظلة يأتي منها النداء، يا أهل الموقف طوبى لمن أحب الوصي وآمن بالنبي والامي، والذي له الملك الاعلى لا فاز أح ولا نال الروح والجنة إلا من لقي خالقه بالاخلاص لهما والاقتداء بنجومهما، فأيقنوا يا أهل ولاية الله ببياض وجوهكم وشرف مقعد كم وكرم مآبكم، وبفوزكم اليوم على سرر متقابلين، ويا أهل الانحراف والصدود عن الله – عز ذكره – ورسوله وصراطه وأعلام الازمنة أيقنوا بسواد وجوهكم وغضب ربكم جزاء بما كنتم تعملون (٢) (٣). وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى أبي سعيد الخدري، عن النبي (صلى الله عليه وآله) في حديث طويل يذكر فيه الوسيلة ومنزلته (صلى الله عليه وآله) ومنزلة علي (عليه السلام) يقول فيه: فيأتي النداء من عند الله (عز وجل) يسمع النبيين وجميع الخلق: هذا حبيبي محمد وهذا وليي علي طوبى لمن أحبه وويل لمن أبغضه وكذب عليه، قال النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه

السلام): يا علي فلا يبقى يومئذ في مشهد القيامة أحد يحبك إلا استروح إلى هذا الكلام، وابيض

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٩ في تفسيره لقوله تعالى: " وأما الذين ابيضت وجوهم " الآية. (٢) الكافي: ج ٨ ص ٢٥ خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وهي خطبة الوسيلة. (٣) (عن يسار الرسول ظلة) في بعض النسخ (ظلمة). (له الملك الاعلى) وهي الجنة والسعادة العظمى (والاقتداء بنجومهما) المراد بها الائمة الائمة (عليهم السلام)، لانهم نجوم يهتدي بهم أهل الارض في تيه الجهالة (فأيقنوا يا أهل ولاية الله ببياض وجوهكم) المراد بولاية الله ولايته وولاية من أمر بولايته. وفيه تبشير للتعابين له (عليه السلام) بقرب المنزلة وشرف المقام وتحريض لهم على المتابعة، كما أن ما بعده إنذار للمخالفين ببعد المرتبة وسوة المقام وتخويف لهم عن المخالفة، لعله يتذكر من يتذكر ويخشى (شرح الروضة للعلامة المازندراني: ج ١١ ص ٢٤٢). (*)
---

[١٩٨]

[تلك ءايت الله نتلو ها بالحق وما الله يريد ظلما للعلمين (١٠٨) ولله ما في السموت وما في الارض وإلى الله ترجع الامور (١٠٩) كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو ءامن أهل الكتب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثر هم الفسقون (١٠١)] وجهه وفرح قلبه، ولا يبقى أحد ممن عاداك أو نصب لك أو حربا أو جحد لك حقا إلا اسود وجهه واضطربت قدماه (١). تلك ءايت الله: الواردة في وعده ووعيده. نتلوها عليك بالحق: متلبسة بالحق لا شبهة فيها. وما الله يريد ظلما للعلمين: إذ يستحيل منه الظلم، إذا فاعل الظلم إما جاهل بقبحه أو محتاج إلى فعله، وتعالى الله عن الجهل والحاجة. ولله ما في السموت وما في الارض: ملكا وملكا وخلقا. وإلى الله ترجع الامور: فيجازي بما وعده وأوعده. كنتم خير أمة: كان مجردة عن الزمان وتعم الزمنة، غير متخصص بالماضي كقوله: " وكان الله غفورا رحيما " (٢). وقيل: " كنتم " في علم الله، أوفي اللوح المحفوظ، أو فيما بين الامم المتقدمين (٣).

---

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ١٥٩، باب ١٠ العلة التي من أجلها صار علي بن أبي طالب قسيم الله بين الجنة والنار، ح ٦. (٢) النساء: ١٥٢. (٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) ج ١ ص ١٧٦ نقله في تفسيره لقوله تعالى: " كنتم خير امة ". (*)

---

[١٩٩]

أخرجت للناس: اظهرت لهم، أي لا نتفاعهم. والمراد الائمة (عليهم السلام). تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر: إستئناف بين به كونهم خير أمة، أو خبر ثان لـ " كنتم "، أو حال. وتؤمنون بالله: يتضمن الايمان بكل ما يجب أن يؤمن به. إنما يحق ويعتد به إذا حصل الايمان بكل ما امرأن يؤمن به، وإنما أخره وحقه أن يقدم ؟ لانه قصد بذكره الدلالة على أنهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر إيمانا بالله وتصديقا به وإظهارا لدينه. وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قرأت على أبي عبد الله (عليه السلام) " كنتم خير امة "، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): خير امة يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين ابني علي (عليهم السلام) ؟ ! فقال القارئ: جعلت فداك كيف نزلت ؟ فقال: نزلت خير أئمة اخرجت للناس (١)، وألا ترى مدح الله لهم " تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " (٢). وروى العياشي: عنه (عليه السلام) قال: في قراءة علي (عليه السلام)، كنتم خير أئمة اخرجت للناس قال: هم آل محمد (صلى الله عليه وآله) (٣). وفي تفسير العياشي: أبو بصير، عنه (عليه السلام) قال: قال: إنما نزلت هذه

---

(١) قد تقدم ان المقصود هو مورد النزول، اي أن المراد بالامة في هذه الآية ليست جميع الامة، بل البعض وهم الائمة فالخطاب وان كان عاما، لكن المقصود هم القادة المسؤولون، بدليل وصفهم بالقيام بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر. إذ القيام بهذه الوظيفة انما هو من شؤون الزعامة وظيفة ذاتية اوليه.. وهذا نظير الامر بقطع يد السارق وجلد الزاني ونحو ذلك، فان الخطاب وان كان عاما، لكن المقصود بهذا التكليف هم اولياء الامر لا غيرهم. ومن ثم فان المصنف قال – بصدد الجمع –: أي بهذا المعنى نزلت. (٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١١٠ في تفسيره لقوله تعالى: " كنتم خير أمة " الآية. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٥ ح ١٢٨. (*)

---

[٢٠٠]

الآية على محمد (صلى الله عليه وآله) فيه وفي الاصياء خاصة، فقال: أنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وهكذا والله نزل بها جبرئيل، وما عنى بها إلا محمدا وأوصياءه (عليهم السلام) (١). وعن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله تعالى: " كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر " قال: يعني الامة التي وجبت لها دعوة إبراهيم (عليه السلام)، فهم الامة التي بعث الله فيها ومنها وإليها، وهم الامة الوسطى، وهم خير امة اخرجت للناس (٢). وفي كتاب المناقب لابن شهر اشوب: وقرأ الباقر (عليه السلام): " أنتم خير امة اخرجت للناس " بالالف إلى آخر الآية، نزل بها جبرئيل (عليه السلام)، وما عنى بها إلا محمدا وعليا والاوصياء من ولده (عليهم السلام) (٣). والجمع بين الاخبار بأن المراد بأن (أئمة نزلت) أي بهذا المعنى نزلت. قال البيضاوي: واستدل بهذه الآية على أن الاجماع حجة، لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر، إذ اللام فيهما للاستغراق، فلو أجمعوا على باطل كان أمرهم على خلاف ذلك (٤). وفيه: أنه إن أراد أن إجماع كل الامة بحيث لا يشذ عنه أحد حجة، فهذا مما لا نزاع لاحد فيه، وحجيته حينئذ باعتبار دخول المعصوم فيه، إذ لا يخلو كل الامة عن المعصوم. وإن أراد أن إجماع جماعة من الامة على شئ حجة، فإن خصصهم بمن يكون المعصوم داخلا فيهم فلا نزاع أيضا فيه. وإن أراد إجماع جماعة أي جماعة كانوا، فلا دلالة في الآية عليه، إذ لا دلالة فيها على أن كل جماعة من الامة كل ما يأمرون به، معروف، إذ كون اللام للاستغراق لا يفيد إلا أن ما يأمر به الكل

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٥ ح ١٢٩. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٥ ح ١٣٠. (٣) لم نعثر عليه في كتاب المناقب وذكره في البحار: الطبعة الحديثة ج ٢٤ باب ٤٦ أنهم (عليهم السلام) خير امة وخير أئمة اخرجت للناس ص ١٥٥ ح ١٢ نقلا عن المناقب. (٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٧٦ في تفسيره لقوله تعالى: " كنتم خير امة اخرجت للناس ". (*)

لن يضرو كم إلا أذى وإن يقتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون (١١١) ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوآ إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباء وبغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بايت الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (١١٢)] معروف، وأن ماينهى عنه الكل منكر، ولا يفيد أن ما يأمر به كل أحد، أو كل جماعة معروف، وأن كل ماينهى عنه كل أحد أو كل جماعة منكر. ولو ءامن أهل الكتب: بمحمد (صلى الله عليه وآله) وما جاء به. لكان خيرا لهم: مما هم عليه. منهم المؤمنون: كعبد الله بن سلام وأصحابه. وأكثرهم الفسقون: المتمردون في الكفر. وهذه الجملة معترضة، ولذا لم يعطف على الشرطية قبلها. لن يضروكم إلا أذى: أي ضررا يسيرا، كطعن وتهديد. وهذه أيضا معترضة اخرى، ولم يعطف على الاولى، لبعد بينهما، وكون كل منهما نوعا آخر من الكلام. وإن يقتلو كم يو لوكم الادبار: ينهزموا ولا يضروكم بقتل وأسر. ثم لا ينصرون: ثم لا يكون أحد ينصرهم عليكم، أو يدفع بأسكم عنهم. وقرئ " لا ينصروا " عطفا على " يولوا " على أن " ثم " للتراخي في المرتبة، فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم. وكان الامر كذلك، إذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر.

ضربت عليهم الذلة: تمثيل، أي أحاطت بهم إحاطة البيت المضروب على أهله. و " الذلة " هدر النفس والمال والاهل، أو ذلة التمسك بالباطل والجزية، أو كلاهما. أين ما ثقفوا: وجدوا. وفي تفسير علي بن إبراهيم: " ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا " قال: إنها نزلت في الذين غصبوا حقوق آل محمد (صلى الله عليه وآله) (١). إلا بحبل من الله وحبل من الناس: استثناء من أعم عام الاحوال، أي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال إلا في حال اعتصامهم، أو تلبسهم بحبل الله وحبل من الناس. وفي تفسير العياشي: عن يونس بن عبد الرحمن، عن عدة من أصحابنا رفعوه إلى أبي عبد الله (عليه السلام) في قال " إلا بحبل من الله وحبل من الناس " قال: الحبل من الله كتاب الله، والحبل من الناس علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٢). وفي كتاب نهج الامامة: روى أبو عبد الله الحسين بن جبير، صاحب كتاب النخب: حدثناه مسندا إلى أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في قوله: " ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس " قال: حبل من الله كتاب الله وحبل من الناس علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٣). وبآء وبغضب من الله: رجعوا به مستوجبين له. وضربت عليهم المسكنة: واليهود في غالب الامر مساكين فقراء.

---

(١) لم نعثر عليه في تفسير علي بن إبراهيم في تفسير للآية الشريفة على هذا، نعم وجدناه في ج ١ ص ١٧٠ من سورة المائدة عند تفسير لقوله تعالى: " من يرتد منكم عن دينه " قال: هو مخاطبة لاصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذين غصبوا آل محمد حقهم وارتدوا عن دين الله. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٦ ح ١٣١. (٣) لم نعثر على كتاب نهج البلاغة ولا على كتاب آخر ينقل عنه ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا. (*)

ذلك: أي عدم إيمانهم المشار إليه بقوله: " وأكثرهم الفاسقون " العلة لضرب الذلة والمسكنة عليهم. وقيل: إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب. بأنهم كانوا يكفرون بايت الله: أي اعتياد سابقهم صار سببا لذلك الآن. ويقتلون الانبياء بغير حق: والتقييد به مع أنه لا يكون إلا كذلك، للدلالة على أنه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم أيضا، أو للدلالة على أن القتل إنما يكون قبيحا إذا كان بغير حق، ولو كان بالحق وعلى الحق فليس بقبيح، ولو فرض قتل النبي (صلى الله عليه وآله) بهذه الصفة، لازالة ما يختلج في صدورهم من قتل النبي (صلى الله عليه وآله) الناس على اتباع الحق. ذلك: أي الكفر والقتل. بما عصوا وكانوا يعتدون: بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله، فإن الاصرار على الصغائر يفضي إلى الكبائر، والاستمرار عليها يؤدي إلى الكفر. وقيل: إن معناه: أن ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب العذاب في الآخرة، كما هو مسبب بكفرهم وقتلهم، فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث أنهم مخاطبون بالفروع أيضا (١). وفي اصول الكافي: يونس، عن ابن سنان، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) وتلا هذه الآية: " ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله " الآية، قال: والله ما قتلوهم بأيديهم، ولا ضربوهم بأسيافهم، ولكنهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فاخذوا عليها فقتلو فصار اعتداء ومعصية (٢) (٣).

---

(١) أنوار التنزيل واسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٧٧ نقله في تفسيره لقوله تعالى: " ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ". (٢) قوله: ولكنهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها إلخ أي فصارت الاذاعة من حيث أنه سبب القتل، قتلا، ومن حيث أنه ظلم على المقتول وإعانة للقاتل، اعتداء، ومن حيث أنه لا يجوز عند احتمال الضرر، معصية، فالمذيع متصف بهذه الثلاثة (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج ١٠ ص ٢٧). (٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٧١ باب الاذاعة، ح ٦. (*)

[ليسوا سواء من أهل الكتب أمة قائمة يتلون ءايت الله ءانآء الليل وهم يسجدون (١١٣) يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسرعون في الخيرت وأولئك من الصلحين (١١٤) وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين (١١٥)] ليسوا سوآء: في المساءة والحسنة، والضمير لاهل الكتب. من أهل الكتب أمة قائمة: استئناف لبيان نفي الا ستواء، والقائمة: المستقيمة العادلة، من أقمت العود فقام، وهم الذين أسلموا منهم، ووضع المظهر موضع المضمر، تنبيها على أن كونهم من أهل الكتاب لا يصير سبب ما صيروه سببا له، بل سبب الانقياد والاسلام كما فعله اضرابهم. يتلون ءايت الله ءانآء اليل وهم يسجدون: يتلون القرآن في تهجدهم، عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون أبين وأبلغ في المدح. وقيل: المراد صلاة العشاء، لان أهل الكتاب لا يصلونها (١). وفي كتاب الخصال: عن سالم، عن أبيه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا حسد إلا في اثنين، رجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وأطراف النهار، ورجل اتاه الله القرآن، فهو يقوم آناء الليل وآناء النهار (٢). يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٨٩ في تفسيره لقوله تعالى: " يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ". (٢) الخصال: ص ٧٦ باب الاثنين، ح ١١٩. (*)

المنكر ويسرعون في الخيرت: صفات اخر لامة وصفهم بصفات ليست في اليهود، فإنهم منحرفون عن الحق، غير متعبدين بالليل، مشركون بالله، ملحدون في صفاته، واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته، مداهنون في الاحتساب، متباطئون في الخيرات. وأولئك من الصلحين: أي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه. وما يفعلوا من خير فلن يكفروه: فلن

يضيع ولا ينقص ثوابه. سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا. وتعديته إلى المفعولين لتضمنه معنى الحرمان. وقرأ حفص وحمزة والكسائي " وما يفعلوا من خير فلن يكفروه " بالياء والباقون بالتاء (١). وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى أحمد بن أبي عبد الله البرقي يرفعه إلى أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال: إن المؤمن مكفر، وذلك أن معروفه يصعد إلى الله فلا ينتشر في الناس، والكافر مشهور، وذلك أن معروفه للناس، ينتشر في الناس ولا يصعد إلى السماء (٢). وبإسناده إلى السكوني: عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يد الله تعالى فوق رؤوس المكفرين ترفرف بالرحمة (٣). أخبرني علي بن حاتم قال: حدثنا أحمد بن محمد قال: حدثنا محمد بن إسماعيل قال: حدثني الحسين بن موسى، عن أبيه، عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جده (٤) علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) قال:

---

(١) وقرئ " يفعلوا ويكفروه " بالياء والتاء، الكشاف: ج ١ ص ٤٠٣. (٢ و ٣) علل الشرائع: ج ٢ ص ٥٦٠ باب ٣٥٣ العلة التي من أجلها صار المؤمن مكفرا، ح ١ و ٢. (٤) في النسخة – ا –: (.. عن جده عن علي بن الحسين) وهو خطأ والصحيح ما اثبتناه. (*)

[إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحب النارهم فيها خلدون (١١٦) مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون (١١٧)] كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكفرا لا يشكر معروفه، ولقد كان معروفه على القرشي والعربي والعجمي، ومن كان أعظم معروفا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) على هذا الخلق ؟ وكذلك نحن أهل البيت مكفرون لا يشكر معروفنا، وخيار المؤمنين مكفرون لا يشكر معروفهم (١). فما في الآية من أن " ما يفعلوا من خير فلن يكفروه " بمعنى ترك الجزاء على الخير كما بين، وإلا فالخير من المؤمنين مكفر كما في الخبر. والله عليم بالمتقين: بشارة لهم، وإشعار بأن التقوى مبدأ الخير و حسن العمل. إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولآ أولادهم من الله شيئا: من النفع، وأو شيئا من الغنى، وهو بالفتح بمعنى النفع، فيكون مصدرا. وقيل: من العذاب، وهو يصح بتضمين معنى الابعاد. وأولئك أصحب النار: ملازموها. هم فيها خلدون: وعيد لهم. مثل ما ينفقون: ما ينفق الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة، أو

المنافقون رياء و خوفا.

---

(١) علل الشرائع: ج ٢ ص ٥٦٠ باب ٣٥٣ العلة التي من أجلها صار المؤمن مكفرا ح ٣.

[يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفوههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الايت إن كنتم تعقلون (١١٨)] في هذه الحيوة الدنيا: أي لاجلها. كمثل ريح فيها صر: برد شديد، والشائع إطلاقه للريح الباردة كالصرصر، فهو في الاصل مصدر نعت به، أو نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك: برد بارد. أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم: بالكفر والمعاصي. فألهكته: عقوبة لهم، لان إهلاك من سخط أشد. والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه، بحرث كفار ضربته صر، فاستأصلته ولم يبق لهم منفعة في الدنيا والآخرة، وهو من التشبيه المركب، ولذلك لم يبال بإيلاء كلمة التشبيه بالريح دون الحرث. ويجوز أن يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث. وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون: أي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم، ولكنهم ظلموا أنفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها، أو ما ظلم أصحاب الحرث بإهلاكه ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة، أو ما ظلم المنفقين وأصحاب الحرث كليهما ولكنهم ظلموا أنفسهم. وقرئ ولكن أي ولكن أنفسهم يظلمونها، ولا يجوز أن يقدر ضمير الشأن، لانه لا يخذف إلا في الشعر كقوله: ولكن من يبصر جفونك يعشق (١). يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا بطانة: وليجة وهو الذي يعرفه الرجل أسراره

---

(١) تمامه: (*)

ثقة به، شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار في قوله (صلى الله عليه وآله): الانصار شعار والناس دثار (١). من دونكم: من دون المسلمين، وهو متعلق بـ " لا تتخذوا " أو بمحذوف هو صفة " بطانة " أي بطانة كائنة من دونكم، أو حالا عن بطانة، إن جوز تنكير ذي الحال. لا يألونكم خبالا: أي لا يقصرون لكم في الفساد، والالو، التقصير، وأصله أي يعدى بالحرف ثم عدي إلى مفعولين كقوله: لا

آلوك نصحا على تضمين معنى

(٢٢٥/٣)

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه * ولكن من يبصر جفونك يعشق وقال محيي الدين شيخ زاده في حاشيته على تفسير القاضي البيضاوي: ج ١ ص ٦٦٤: إن البيت للمتنبي ولم نعثر عليه في ديوانه. (١) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما وابن ماجة وأحمد في سننه ومسنده، بألفاظ وتعابير مختلفة، وإليك بعض ما نتلوه عليك: (عن زيد بن عاصم قال: لما أفاء الله على رسوله يوم حنين ما أفاء قال: قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يقسم ولم يعط الانصار شيئا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: يا معشر الانصار ألم أجد كم ضلالا فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فجمعكم الله بي ؟ وعالة فأغناكم الله بي ؟ قال: فكلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله آمن، قال: ما يمنعكم أن تجيبوني ! قالوا: الله ورسوله آمن قال: لو شئتم لقلتم جئتنا كذا وكذا، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرئ من الانصار، لو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الانصار وشعبهم، الانصار شعار والناس دثار، وإنكم ستلقون بعدي إثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض (مسند أحمد بن حنل: ج ٤ ص ٤٢). وعن أنس بن مالك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعطى أبا سفيان وعيينة والاقرع وسهل بن عمرو في الآخرين يوم حنين، فقالت الانصار: يا رسول الله سيوفنا تقطر من دمائهم وهم يذهبون بالغنم، فبلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وآله) فجمعهم في قبة له حتى فاضت، فقال: أفيكم أحد من غيركم ؟ قالوا: لا، إلا ابن اختنا قال: ابن اخت القوم منهم، ثم قال: أقلتم كذا وكذا ؟ قالوا: نعم، قال: أنتم الشعار والناس الدثار، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله إلى دياركم ؟ قالوا: بلى، قال: الانصار كرشي وعيبتي، لو سلك العاس واديا وسلكت الانصار شعبا لسلكت شعبهم، ولولا الهجرة لكنت امرى من الانصار، وقال حماد: أعطى مائة من الابل يسمي كل واحد من

(٢٢٦/٣)

هؤلاء (مسند أحمد بن حنبل: ج ٣ ص ٣٤٦). (*)

[هأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليهم بذات الصدور (١١٩) إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط (١٢٠)] المنع أو النقص. ودواما عنتم: تمنوا عنتكم، وهو شدة الضرر والمشقة، و " ما " مصدرية. قد بدت البغضاء من أفوههم: أي في كلامهم، لانهم لا يتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم. وما تخفى صدورهم أكبر: مما بدا، لان بدوه ليس عن روية واختيار. قد بينا لكم الايت: الدالة على وجوب الاخلاص، وهو موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين. إن كنتم تعقلون: ما بين لكم، أو كنتم من أهل العقل والفهم. والجمل الاربع مستأنفات على التعليل، ويجوز أن يكون الثلاث الاول صفات لـ " بطانة " وحينئذ فالانسب أن تكون الرابعة حالا من الضمير المضاف إليه، للافواه. هأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم: أي أنتم اولاء المخاطبون في موالاة الكفار وتحبونهم، ولا يحبونكم. بيان لخطئهم في موالاتهم، أو خبر ثان، أو خبر لاولاء، والجملة خبر (أنتم) كقولك: أنت زيد تحبه، أو صلته، أو حال والعامل فيها معنى الاشارة. ويجوز أن ينتصب بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا.

وتؤمنون بالكتب: بجنس الكتاب. كله: كتابكم وكتابهم، معطوف على ما قبله، وقيل: حال من " لا يحبونكم " والمعنى أنهم لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضا، فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم. وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم. ويحتمل أن يكون المعنى، والله أعلم، أنكم تؤمنون بالكتاب كله وهم ليسوا بمؤمنين بكتابهم أيضا، فضلا عن كتابكم، فهذا منشأ العداوة في الدين، لا المحبة، فلم تحبونهم ؟ وإذا لقوكم قالوا آمنا: نفاقا وتغريرا. وإذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ: من أجل الغيظ تأسفا وتحسرا، حيث رأوا إئتلافكم واجتماع كلمتكم ولم يجدوا إلى التشفي سبيلا. وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: " عضوا عليكم الانامل من الغيظ " قال: أطراف الاصابع (١). قل موتوا بغيظكم: دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام وأهله حتى يهلكوا به. إن الله عليم بذات الصدور: من خير أو شر فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق، وهو يحتمل أن يكون من المقول، أي وقل لهم: إن الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا، وأن يكون خارجا عنه، بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم فإني عليم بالاخفى من ضمائرهم. و " ذات الصدور " الصور العلمية المتمكنة

في الصدور، والمراد بالصدور، محل العلوم. إن تمسسكم حسنة: نعمة من (الفقه) (٢) أو ظفر على الاعداء.

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١١٠. (٢) كذا في النسخة – أ – والظاهر أنها تصحيف، والصحيح (إلفة). (*)

(٢٢٨/٣)

[وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقعد للقتال والله سميع عليم (١٢١)] تسؤهم: والمس مستعار للاصابة. وإن تصبكم سيئة: محنة من فرقة أو إصابة عدو منكم. يفرحوا بها: لتناهي عداوتهم. وإن تصبروا: على عداوتهم، أو على مشاق التكاليف. وتتقوا: موالاتهم، أو ما حرم الله عليكم. لا يضركم كيدهم شيئا: لما وعد الله الصابرين والمتقين الصبر. وضمت الراء للاتباع. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب، لا يضركم، من ضاره يضيره. إن الله بما يعملون: من الصبر والتقوى وغيرهما. محيط: بعلمه وقدرته، فمجازيكم بما أنتم أهله. وقرئ بالياء، أي بما يعملون في عداوتكم عالم، فيعاقبهم عليه. وإذ غدوت: أي واذكر إذ غدوت، من غدا عليه بكر. من أهلك: قيل: من حجرة عائشة (١). تبوئ المؤمنين: تنزلهم، أو تسوي وتهيئ لهم، وتؤيده القراءة باللام. مقعد للقتال: مواقف وأما كن له، وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع، وإذا استعمل في أما كن الحرب اريد به الاشارة إلى وجوب الثبات فيها. والله سميع: لاقوالكم

---

(١) الكشاف: ج ١ ص ٤٠٨ في تفسيره لقوله تعالى: " وإذ غدوت من أهلك " قال: من حجرة عائشة. (*)

(٢٢٩/٣)

عليم: بنياتكم. وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال: حدثني أبي، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سبب نزول هذه الآية أن قريشا خرجت من مكة يريدون حرب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) يبتغي موضعا للقتال (١). وفي مجمع البيان: عن علي بن إبراهيم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان سبب غزاة احد أن قريشا لما رجعت من بدر إلى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والاسر - لانه قتل منهم سبعون واسر منهم سبعون - قال أبو سفيان: يا معشر قريش لا تدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم، فإن الدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والحرقة والعداوة لمحمد ويشمت بنا محمد وأصحابه، فلما غزوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم احد أذنوا لنسائهم بالبكاء والنوح، فلما أرادوا أن يغزوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى احد ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها وجمع الجموع والسلاح وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس وألفي راجل وأخرجوا معهم النساء يذكرنهم ويحثثنهم على حرب رسول الله، وأخرج أبو سفيان هند بنت عتبة، وخرجت معهم عمرة بنت علقمة الحارثية، فلما بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك جمع أصحابه وحثهم على الجهاد، فقال عبد الله بن ابي وقومه: يا رسول الله لا تخرج من المدينة حتى نقاتل في أزقتها، فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والامة على أفواه السكك وعلى السطوح، فما أرادنا قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا، وما خرجنا على عدونا قط إلا كان لهم الظفر علينا. فقام سعد بن معاذ (رحمه الله) وغيره من الاوس فقالوا: يا رسول الله ما طمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الاصنام فكيف يظفرون بنا وأنت فينا، لا حتى نخرج إليهم ونقاتلهم، فمن قتل منا كان شهيدا، ومن نجى منا كان مجاهدا في سبيل الله، فقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) رأيه، وخرج مع نفر من أصحابه

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١١٠ في تفسيره لقوله تعالى: " وإذ غدوت من أهلك ". (*)

يتبوؤن موضع القتال، كما قال سبحانه " وإذ غدوت من أهلك " الآية. وقعد عنه عبد الله بن ابي وجماعة من الخزرج ابتغوا رأية. ووافت قريش إلى احد، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) عبأ أصحابنه، وكانوا سبعمائة رجل، فوضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب. وأشفق أن يأتيهم كمينهم من ذلك المكان، فقال (صلى الله عليه وآله) لعبدالله بن جبير وأصحابه: إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة، فلا تبرحوا من هذا المكان وإن رأيتموهم قد هزمونا حتى

أدخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم. ووضع أبو سفيان خالد بن الوليد في مائتي فارس كمينا، وقال له: إذا رأيتمونا قد اختلطنا بهم فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا من ورائهم. فلما أقبلت الخيل واصطفوا وعبأ رسول الله (صلى الله عليه واله) أصحابه ودفع الراية إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فحمل الانصار على مشركي قريش فانهزموا هزيمد قبيحة، ووقع أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سوادهم وانحط خالد بن الوليد في مائتي فارس على عبد الله بن جبير فاستقبلوهم بالسهام، فرجع ونظر أصحاب عبد الله بن جبير إلى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ينهبون سواد القوم، فقالوا لعبدالله بن جبير: قد غنم أصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة، فقال لهم عبد الله: اتقوا الله، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد تقدم إلينا ألا نبرح، فلم يقبلوا منه، وأقبلوا ينسل رجل فرجل حتى أخلوا مراكزهم، وبقي عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلا. وكانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدي من بني عبد الدار، فقتله علي (عليه السلام) فأخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة فقتله علي (عليه السلام) وسقطت الراية، فأخذها شافع بن طلحة، فقتله، حتى قتل تسعة من بني عبد الدار، حتى صار لواؤهم إلى عبد لهم

(٢٣١/٣)

أسود يقال له: صواب، فانتهى إليه علي (عليه السلام) فقطع يده، فأخذ الراية باليسرى فضرب يسراه فقطعها، فاعتنقها

---

[٢١٤]

بالجذماوين (١) إلى صدره ثم التفت إلى أبي سفيان فقال: هل أعذرت في بني عبد الدار ؟ فضربه علي (عليه السلام) على رأسه فقتله، فسقط اللواء، فأخذتها عمرة بنت علقمة الكنانية فرفعتها، وانحط خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير وفرقوا أصحابه وبقي في نفر قليل فقتلهم على باب الشعب، ثم أتى المسلمين من أدبارهم، ونظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رفعت، فلا ذوابها، وانهزم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) هزيمة عظيمة، وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كل وجه، فلما رأى رسول الله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه، وقال: أنا رسول الله إلي، إلى أين تفرون عن الله تعالى وعن رسوله. قال وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر، وكلما انهزم رجل من قريش دفعت إليه ميلا ومكحلة، وقالت: إنما أنت امرأة فاكتحل بهذا. وكان حمزة بن عبد المطلب يحمل على القوم فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له أحد، وكانت هند قد أعطت وحشيا عهدا لئن قتلت محمدا أو عليا أو حمزة لاعطينك كذا وكذا، وكان وحشي – عبد الجبير بن مطعم – حبشيا، فقال وحشي: أما محمد فلا أقدر عليه، وأما علي فرأيته حذرا كثير الالتفات فلا مطمع فيه، فكمن لحمزة، قال: فرأيته

يهد الناس هدا فمربي فوطأ على جرف نهر، فسقط، فأخذت حربتي فهززتها ورميتها فوقعت في خاصرته وخرجت من ثنته (٢) فسقط، فأتيته فشققت بطنه فأخذت كبده، وجئت به إلى هند، فقلت: هذه كبد حمزة فإخذتها فلا كتها، فجعلها الله في فمها مثل الداعضة، وهي عظم رأس الركبة، فلفظتها ورمت بها. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): فبعث الله ملكا فحمله ورده إلى موضعه. قال: فجاءت إليه فقطعت مذاكيره وقطعت اذنيه، وقطعت يده ورجله. ولم يبق مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا أبو دجانة سماك بن خرشة

---

(١) الاجذم مقطوع اليد (مجمع البحرين لغة جذم) والجذما وان بالجيم والذال المعجمة اليدان المقطوعتان (كذا في الهامش). (٢) الثنة بالضم العانة (كذا في هامش مجمع البيان). (*)

[إذهمت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٢٢) ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون (١٢٣)] وعلي (عليه السلام) فكلما حملت طائفة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) استقبلهم علي (عليه السلام) فدفعهم عنه حتى انقطع سيفه فدفع إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيفه ذو الفقار، وانحاز رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى ناحية احد، فوقف، وكان القتال من وجه واحد، فلم يزل علي (عليه السلام) يقاتلهم حتى أصابه في وجهه ورأسه ويديه وبطنه ورجليه سبعون جراحة، قال: فقال جبرئيل (عليه السلام): إن هذه لهي المواساة يا محمد، فقال له: إنه مني وأنا منه. وقال الصادق (عليه السلام): نظر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى جبرئيل بين السماء والارض على كرسي من ذهب، وهو يقول: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي (١). وروى أن سبب انهزامهم نداء إبليس فيهم: أن محمدا قد قتل، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) حينئذ في زحام الناس وكانوا لا يرونه (٢). إذهمت: متعلق بقوله " سميع عليم " أو بدل من " إذغدوت ". طائفتان منكم: في تفسير علي بن إبراهيم: يعني عبد الله بن ابي وأصحابه وقومه (٣).

مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٩٥ إلى ٤٩٧ في تفسيره لقوله تعالى: " وإذ غدوت من أهلك " الآية. باختلاف في بعض الفاظه. (٢) الصافي: ج ١ ص ٣٤٨ في تفسيره لقوله تعالى: " وإذ غدوت " الآية. (٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١١٠ قال: نزلت في عبد الله بن أبي وقوم من

أصحابه اتبعوا رأيه في ترك الخروج والقعود عن نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله). (*)

قال البيضاوي: هما بنو سلمة من الخزرج، وبنو الحارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر (١). وفي مجمع البيان عنهما (عليهما السلام): هما بنو سلمة وبنو حارثة، حيان من الانصار (٢). أن تفشلا: أن تجبنا وتضعفا. قيل: روي أنه (عليه السلام) خرج في زهاء ألف فارس ووعدهم النصر إن صبروا، فلما بلغوا الشوط (٣) اختزل ابن ابي في ثلاثمائة وقال: على م نقتل أنفسنا وأولادنا، فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال: أنشد كم في نبيكم وأنفسكم، فقال ابن ابي: لو نعلم قتالا لا تبعناكم، فهم الحيان باتباعه، فعصمهم الله، فمضوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله). ثم قال ذلك القائل: والظاهر أنه ما كان عزيمة، لقوله: والله وليهما: أي عاصمهما من اتباع تلك الخطرة. قال: ويجوز أن يراد، والله وليهما فما لهما يفشلان (٤) وفي الرواية التي قدمناها ماينا في ذلك من أن عبد الله بن ابي قعد عنه وجماعة من الخزرج اتبعوا رأيه. وعلى الله فليتوكل المؤمنون: فليعتمدوا عليه في الكفاية، لا على غيره، لينصرهم كما نصرهم ببدر. ولقد نصركم الله ببدر: تذكير ببعض ما أفادهم التوكل.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) ج ١ ص ١٨٠ في تفسيره لقوله تعالى: " طائفتان منكم ". (٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٩٥ في نقل المعنى لقوله تعالى: " إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا " رواه عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام). (٣) الشوط اسم حائط من بساتين المدينة (مجمع البحرين: ج ٤ ص ٢٥٩ لغة شوط). (٤) من قوله: قيل: إلى هنا من كلام (البيضاوي): ج ١ ص ١٨٠، لا حظ تفسيره لقوله تعالى: " إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا " الآية. (*)

" وبدر " اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به (١) (٢). وأنتم أذلة: حال من المفعول. وإنما قال " أذلة " دون ذلائل، ليدل على قلتهم، لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح. وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال أبو عبد الله (عليه السلام): ما كانوا أذلة وفيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإنما نزل (٣) " ولقد نصركم الله ببدر وأنتم الضعفاء " (٤). وفي تفسير العياشي: عن أبي بصير قال: قرأت عند أبي عبد الله (عليه السلام): " ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة " فقال: مه ليس هكذا أنزلها الله، إنما انزلت: وأنتم قليل (٥) (٦)

---

(١) كذا في التفاسير، لا حظ مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٩٨، والبيضاوي: ج ١ ص ١٨٠، والكشاف: ج ١ ص ٤١١ وغيرها في تفسيرهم للآية. (٢) بدر بالفتح ثم السكون، ماء مشهور بين مكة والمدينة، أسفل وادي الصفراء، بينه وبين الجار – وهو ساحل البحر – ليلة، ويقال: أنه ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، وقيل: بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه ثم غلب اسمه عليه، وقال الزبيربن بكار: قريش بن الحارث بن يخلد، به سميت قريش فغلب عليها، وابنه بدر بن قريش به سميت بدر التي كانت بها الوقعة المباركة، لانه كان احتفرها، وبهذا الماء كانت الوقعة المشهورة التي أظهر الله بها الاسلام وفرق بين الحق والباطل في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة، ولما قتل من قتل من المشركين ببدر وجاء الخبر إلى مكة ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمدا وأصحابه، فيشمتوا بكم، وبين بدر والمدينة سبعة برد، وبدر الاولى والثانية كله موضع واحد، وقد نسب إلى بدر جميع من شهدها من الصحابة الكرام (تلخيص من معجم البلدان: ج ١ ص ٣٥٧ في بدر). (٣) لا يذهب الوهم إلى ارادة التغيير في النص. بل ارادة التفسير أي ليس المراد من الذلة في الآية هو الوهن في العزيمة، بل القلة في العدد. ومن ثم قال المصنف في توجيه هذه الروايات: ان الآية ما انزلت بمعنى انتم اذلة في الواقع، بل بهذا المعنى، اي بمعن انتم ضعفاء أو انتم قليل ونحو ذلك. (٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٢ في تفسيره لقوله تعالى: " ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ". (٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٦ ح ١٣٣. (٦) المراد: انها نزلت بهذا المعنى. أي لم تنزل الاية لتدل على ارادة الذلة بمعنى الصغار والحقارة، بل نزلت (*)

[إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلثة ءالف من الملائكة منزلين (١٢٤)] عن ربعي بن حريز، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قرأ ولقد نصكرم الله ببدر وأنتم ضعفاء وما كانوا أذلة ورسول الله فيهم (عليه وآله السلام) (١). وفي رواية: ما أذل الله رسوله قط، وإنما انزلت: وأنتم قليل (٢). ومعنى هذه الاخبار: أن الآية ما أنزلها الله، بمعنى انتم أذلة في الواقع، بل بهذا المعنى.

والاخبار التي دلت على أن عدتهم كانت ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا قد مرت. فاتقوا الله: في الثبات. لعلكم تشكرون: ما أنعم به عليكم. إذ تقول للمؤمنين: ظرف لنصركم الله، وقيل: بدل ثان من " إذ غدوت " على أن قوله لهم ذلك يوم احد، وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة، فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر الرسول (صلى الله عليه وآله)، لم تنزل الملئكة. ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلثة ءالف من الملئكة منزلين: إنكار

بمعنى القلة والضعف. وهكذا فهم المصنف المفسر رحمه الله.. قال: ومعنى هذه الاخبار: ان الآية ما انزلها الله بمعنى انتم اذلة في الواقع، بل بهذا المعنى. الامر الذي يدلنا بوضوح على ان صاحب التفسير كان ممن لا يرى التحريف في كتاب الله وكان لا يأخذ بظاهر روايات قد يتشبث بها من يروقه القول بذلك. (١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٦ ح ١٣٥. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٦ قطعة من ح ١٣٤. (*)

[بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فور هم هذا يمددكم ربكم بخمسة ءالف من الملئكة مسومين (١٢٥)] أن لا يكفيكم ذلك، وإنما جئ بـ " لن "، إشعارا بأنهم كانوا لآيسين من النصر، لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم. وقرأ ابن عامر " منزلين " بالتشديد، للتكثير، أو للتدريج. قيل: أمدهم الله يوم بدر، أولا بألف من الملائكة، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف (١). بلى: إيجاب لما بعد " لن " أي بلى يكفيكم، ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم، فقال: إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم: أي المشركون. من فورهم هذا: من ساعتهم هذه. وهو في الاصل مصدر فارت القدر، إذا غلت، فاستعير للسرعة، ثم أطلق للحال التي لا ريب فيها ولا تراخي، أي

يأتي المشركون في الحال. يمددكم ربكم بخمسة ءالف من الملئكة: بلا تراخ وتأخير. مسومين: معلمين، من التسويم الذي هو إظهار سيماء الشئ، أو مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو. وفي تفسير العياشي: عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كانت على الملائكة العمائم البيض المرسلة يوم بدر (٢).

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٠ في تفسيره لقوله تعالى: " ألن يكفيكم أن يمد كم ". (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٦ ح ١٣٦. (*)

[وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم (١٢٦) ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين (١٢٧)] وعن ضريس بن عبد الملك، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إن الملائكة الذين نصروا محمد (صلى الله عليه وآله) يوم بدر، في الارض، ما صعدوا بعد ولا يصعدون حتى ينصروا صاحب هذا الامر، وهم خمسة آلاف (١). وما جعله الله: وما جعل إمداد كم بالملائكة. إلا بشرى لكم: إلا بشارة لكم بالنصر. ولتطمئن قلوبكم به: ولتسكن إليه من الخوف. وما النصر إلا من عند الله: لا من العدة والعدد. وفيه تنبيه على أنه لا حاجة إلى مدد، إنما أمدهم ووعد لهم بشارة لهم وربطا على قلوبهم، من حيث أن نظر العامة إلى الاسباب أكثر، وحثا على أن لا يبالوا بمن تأخر عنهم. العزيز: الذي لا يغالب في أقضيته. الحكيم: الذي ينصر ويخذل على مقتضى الحكمة والمصلحة. ليقطع طرفا من الذين كفروا: متعلق بـ " نصركم " أو " وما النصر " إن كان اللام فيه للعهد. والمعنى: لينقض منهم بقتل سبعين وأسر سبعين من صناديدهم. أو يكبتهم: يخزيهم، والكبت شدة الغيظ، أو وهن يقع في القلب، و " أو " للتنويع دون الترديد.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٧ ح ١٣٨. (*)

[ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨)] فينقلبوا خائبين: فينهزموا منقطعي الآمال. ليس لك من الامر شئ: جملة معترضة. أو يتوب عليهم أو يعذبهم: أما عطف على " يكبتهم " والمعنى أن الله مالك أمر هم، فأما أن يهلكم أو يكبتهم أو يتوب عليهم إن أسلموا. أو يعذبهم إن أصروا، وليس لك من أمر هم شئ، وإنما أنت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم، أو معطوف على الامر، أو " شئ " بإضمار أن، أي ليس لك من أمرهم، أو من التوبة عليهم، أو من تعذيبهم شئ أو ليس لك من أمرهم شئ أو التوبة عليهم أو تعذيبهم. ويحتمل أن يكون " أو " بمعنى (ألا أن) أي ليس لك من أمرهم شئ إلا أن يتوب الله عليهم فتسربه، أو يعذبهم فتشفى منهم. وفي تفسير العياشي: عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قرأ " ليس لك من الامر شئ أن يتب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون " (١). وفيه عن الباقر (عليه السلام) أنه قرأ: " أن تتوب عليهم أو تعذبهم " (٢) بالتاء فيهما. وعلى هذا تكون " أن " بتأويل المصدر بدلا عن شئ. فإنهم ظلمون: قد استحقوا العذاب بظلمهم. وفي تفسير العياشي: عن جابر الجعفي قال: قرأت عند أبي جعفر (عليه السلام): " ليس لك من الامر شئ " قال: بلى والله، إن له من الامر شيئا وشيئا

---

(١) و (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٨ ح ١٤١ أورد الحديثين تحت رقم واحد وأورد اختلافهما برمز (خ ل). (*)

وشيئا، وليس حيث ذهبت، ولكني أخبرك أن الله (تبارك وتعالى) لما أخبر نبيه أن يظهر ولاية علي (عليه السلام)، ففكر في عداوة قومه له ومعرفته بهم وذلك الذي فضله الله به عليهم في جميع خصاله (١) وحسدهم له عليها، ضاق عن ذلك، فأخبر الله أنه ليس له من هذا الامر شئ، إنما الامر فيه إلى الله أن يصيرعليا وصيه وولي الامر بعده، فهذا عنى الله، وكيف لا يكون له من الامر شئ، وقد فوض الله إليه أن جعل ما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام، قوله: " وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " (٢) (٣). وعن جابر قال: قلت لابي جعفر (عليه السلام): قوله لنبيه " ليس لك من الامر شئ " فسره لي ؟ فقال: يا جابر إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان حريصا أن يكون علي (عليه السلام) من بعده على الناس، وكان عند الله خلاف ما أراد رسول

الله (صلى الله عليه وآله) قال: قلت: فما معنى ذلك ؟ قال: نعم عنى بذلك قول الله لرسوله (صلى الله عليه وآله): " ليس لك من الامر شئ " يا محمد في علي، الامر إلي في علي وفي غيره، ألم أنزل عليك فيما أنزلت من كتابي إليك " ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون " الآيات (٤) قال: ففوض رسول الله (صلى الله عليه وآله) الامر إليه (٥). ومعنى قوله (عليه السلام): (أن يكون علي بعده على الناس) أن يكون خليفة له عليهم في الظاهر أيضا من غير دافع له. قال البيضاوي: روي أن عتبة بن أبي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته، فجعل (صلى الله عليه وآله وسلم) يمسح الدم عن وجهه ويقول: كيف يفلح قوم

---

(١) سقط هنا من بعض النسخ المخطوطة ما لفظه (كان أول من آمن برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبمن أرسله، وكان أنصر الناس لله ولرسوله، وأقتلهم لعدوهما وأشدهم بغضا لمن خالفهما، وفضل علمه الذي لم يساوه أحد، ومناقبه التي لا تحصى شرفا، فلما فكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في عداوة قومه له في هذه الخصال). (٢) الحشر: ٧. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٧ ح ١٣٩. (٤) العنكبوت: ٢. (٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٧ ح ١٤٠ مع تفاوت يسير وزيادة ونقيصة، فلا حظ. (*)

[ولله ما في السموت وما في الارض يغفر لمن يشآء ويعذب من يشآء والله غفور رحيم (١٢٩) يأيها الذين ءامنوا لا تأكلوا الربوا أضعفا مضعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون (١٣٠) واتقوا النار التى اعدت للكفرين (١٣١) وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون (١٣٢)] خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت. وقيل: هم أن يدعوا عليهم فنهاه الله تعالى، لعلمه بأن فيهم من يؤمن (١). ولله ما في السموت وما في الارض: خلقا وملكا، فله الامر كله. يغفر لمن يشآء ويعذب من يشآء: فيه دلالة على نفي وجوب التعذيب. والله غفور رحيم: لعباده، فلا تبادر إلى الدعاء عليهم. في مجمع البيان: قيل: إنما ألهم الله الامر في التعذيب والمغفرة، ليقف المكلف بين الخوف والرجاء، ويلتفت إلى هذا قول الصادق (عليه السلام): لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لا عتدلا (٢). يأيها الذين ءامنوا لا تأكلوا الربوا أضعفا مضعفة: لا تزيدوا زيادات مكررة. ولعل التخصيص بحسب الواقع، إذ كان الرجل منهم يربى إلى أجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشئ الطفيف مال المديون. وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب " مضعفة ".

---

(١) انوار التنزيل واسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨١ في تفسيره لقوله تعالى: " ليس لك من الامر شئ ". (٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٠٢ في نقل المعنى لقوله تعالى: " يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ". (*)

وفي مجمع البيان: ووجه تحريم الربا هو المصلحة التي علمها الله وذكر فيه وجوه منها أن يدعوا إلى مكارم الاخلاق بالاقراض وإنظار المعسر من غير زيادة وهو المروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) (١). واتقوا الله: فيما نهيتم عنه. لعلكم تفلحون: راجين الفلاح. واتقوا النار التى أعدت للكافرين: بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي أفعالهم. قال البيضاوي: وفيه تنبيه على أن النار بالذات معدة للكافرين، وبالعرض للعصاة (٢). أقول: فيه تنبيه على أن النار معدة للكافرين، وكل من عذب بالنار من العصاة إنمايعذب إذا آل عصيانهم إلى الكفر، وأما إذا لم يؤل إليه فلا يعذب بالنار، لانها اعدت للكافرين، فلا يعذب بها غيرهم، وإلا لكان معدا لهم ولغيرهم، فلا يصدق اعدت للكافرين، إلا أن يقال: المراد بالنار نار معهودة معدة لهم، فلا يعذب بها غيرهم أيضا (٣). وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون: بإطاعتهما. ولعل وعسى في أمثال ذلك يدل على عزة التوصل إلى ما جعل خيرا لهما (٤).

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ - ١ ص ٥٠٢. (٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٢ في تفسيره لقوله تعالى: " واتقوا النار التي اعدت للكافرين ". (٣) من أراد تفصيل هذه الاسئلة والاجوبة فليراجع التبيان ط بيروت: ج ٢ ص ٥٨٨ في تفسيره للآية، والتفسير الكبير لفخر الدين الرازي: ج ٩ ص ٢ في تفسيره للآية، وكذا بعض التفاسير الاخر. (٤) قال في الكشاف: ج ١ ص ٤١٤: وفي ذكره تعالى " لعل " و " عسى " في نحو هذه المواضع - وإن قال الناس ما قالوا - ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى، وصعوبة إصابة رضى الله وعزة التوصل إلى رحمته وثوابه. (*)

[وسار عوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموت والارض أعدت للمتقين (١٣٣) الذين ينفقون في السراء والضراء والكظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين (١٣٤)] وسارعوا: بادروا. وقرأ ابن عامر ونافع " سارعوا " بلا واو. إلى مغفرة من ربكم: بارتكات أسبابها، كالاسلام والتوبة والاخلاص. وفي مجمع البيان: عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى اداء الفرائض (١). وجنة عرضها السماوات والارض: أي عرضها كعرضهما. وفي تفسير اليعاشي: عن داود بن سرحان، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:: إذا وضعوهما كذا، وبسط يديه إحداهما على الاخرى (٢). وفي مجمع البيان: عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه سئل إذا كانت الجنة عرضها السماوات والارض فأين تكون النار ؟ فقال: سبحان الله إذا جاء النهار فأين الليل (٣). ومعناه أن القادر على أن يذهب بالليل حيث يشاء قادر على أن يخلق النار حيث يشاء. أعدت للمتقين: هيئت لهم. وفي كتاب الخصال: فيما علم أمير المؤمنين (عليه السلام) أصحابه مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه: سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٠٣ في نقل المعنى لقوله تعالى: " وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ".
(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٨ ح ١٤٢. (٣) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٠٤ في نقل المعنى لقوله تعالى: " وجنة عرضها السماوات والارض ". (*)

والارض اعدت للمتقين فإنكم لن تنالوها إلا بالتقوى (١). وفي الآية دلالة على أن الجنة مخلوقة خارجة عن هذا العالم. الذين ينفقون: صفة مادحة للمتقين، أو منصوب، أو مرفوع على المدح. في السراء والضراء: في حالتي الرخاء والشدة، أو الاحوال كلها، إذ الانسان لا يخلو عن مسرة أو مضرة، أي لا يخلون في حال ماعن إنفاق ما من قليل أو كثير. والكظمين الغيظ: الممسكين عليه، الكافين عن إمضائه مع القدرة، من كظمت القربة، إذا ملاتها وشددت رأسها. وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن بعض أصحابه، عن مالك بن حصين السكوني قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): مامن عبد كظم غيظا إلا زاده الله (عز وجل) عزا في الدنيا ولآخرة، وقد قال الله (عز

وجل): " والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله ويحب المحسنين " وأثابه الله مكان غيظه ذلك (٢). عدة من أصحابنا: عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران، عن سيف بن عميرة قال: حدثني من سمع أبا عبد الله يقول: من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه، وأملا الله قلبه يوم القيامة رضاه (٣) (٤). وفي كتاب الخصال: عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ثلاث خصال من كن فيه استكمل خصال الايمان، من صبر على الظلم وكظم غيظه واحتسب وعفى وغفر كان ممن يدخله الله تعالى الجنة بغير حساب ويشفعه في مثل ربيعة ومضر (٥). عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: إنا أهل بيت مروءتنا

---

(١) الخصال: ص ٦٣٣، حديث أربعمائة س ٢٠. (٢) الكافي: ج ٢ ص ١١٠، كتاب الايمان والكفر، باب كظم الغيظ، ح ٥. قوله: أملا الله قلبه يوم القيامة رضاه. كناية عن كثرة أفضاله وإحسانه إليه في ذلك اليوم، فلا يرهقه قتر ولاذلة (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج ٨ ص ٣٠٦). (٤) الكافي: ج ٢ ص ١١٠، كتاب الايمان والكفر، باب كظم الغيظ، ح ٦. (٥) الخصال: ص ١٠٤ باب الثلاثة، ثلاث خصال من كن فيه فقد استكمل الايمان ح ٦٣. (*)

العفو عمن ظلمنا (١). عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين (عليهما السلام): ما تجرعت جرعة أحب إلى من جرعة غيظ لا اكافي صاحبها (٢). والعافين عن الناس: التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته. وفي الكافي: عن الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): عليكم بالعفو، فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزا، فتعافوا يعزكم الله (٣) (٤). وفي مجمع البيان: روي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إن ولاء في امتي قليل إلا من عصمه الله، وقد كانوا كثيرا في الامم الماضية (٥). والله يحب المحسنين: يحتمل الجنس، ويدخل تحته هؤلاء، والعهد فيكون الاشارة إليهم. وفي مجمع البيان: روي أن جارية لعلي بن الحسين (عليهما السلام) جعلت تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلاة، فسقط الابريق من يدها فشجه، فرفع رأسه إليها، فقالت له الجارية: إن الله تعالى يقول: " والكاظمين الغيظ " فقال لها: كظمت غيظي، قالت: " والعافين عن الناس " قال: عفى الله عنك، قالت: " والله يحب المحسنين " قال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله (٦).

---

(١) الخصال: ص ١٠ باب الواحد، مروءة أهل البيت (عليهم السلام) خصلة ح ٣٣. (٢)

الخصال: ص ٢٣ باب الواحد، خصلة لا يتجب بها حمر النعم، ح ٨١ وصدر الحديث (ما أحب أن لي بذل نفسي حمر النعم، وما تجرعت إلخ). (٣) قوله: فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزا في الدنيا: لان من عرف بالعفو ساد وعظم في القلوب، فيزيده عزة، أوفي الاخرة لانه يوجب زيادة الاجر، ورفع الدرجة (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج ٨ ص ٣٠٢). (٤) الكافي: ج ٢ ص ١٠٨ كتاب الايمان والكفر، باب العفو، ح ٥. (٥) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٠٥ فصل في ذيل آية ١٣٤ من سورة آل عمران " والعافين عن الناس ". (٦) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٠٥ فصل في ذيل آية ١٣٤ من سورة آل عمران: " والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ". (*)

[والذين إذا فعلوا فحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم هذا يمدد ما فعلوا وهم يعلمون (١٣٥)] والذين إذا فعلوا فحشة: فعلة بالغة في القبح، كالزنا. أو ظلموا أنفسهم: بأن أذنبوا أي ذنب كان. وقيل: الفاحشة الكبيرة، وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك (١). ذكروا الله: تذكروا وعيده، أو حكمه، أو حقه العظيم. فاستغفروا لذنوبهم: بالندم والتوبة. ومن يغفر الذنوب إلا الله: استفهام بمعنى النفي، معترض بين المعطوفين. والمراد به وصفه تعالى بصفة الرحمة وعموم المغفرة، والحث على الاستغفار، والوعد بقبول التوبة. ولم يصروا على ما فعلوا: أي لم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين. وفي اصول الكافي: أبو علي الاشعري، عن محمد بن سالم، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر (٢)، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) في هذه الآية قال:

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٢ في تفسيره لقوله تعالى: " والذين إذا فعلوا فاحشة " الآية. (٢) قوله: (الاصرار هو أن يذهب الذنب فلا يستغفر الله إلخ) دل على أن الاصرار يتحقق بالذنب مع عدم الاستغفار والتوبة، سواء أذنب ذنبا آخر من نوع ذلك الذنب أو من غير نوعه، أو عزم على ذنب آخر أم لا. أما تحققه في غير الاخير فظاهر، وأما في الاخير فلان التوبة واجبة في كل آن فتركها ذنب منضاف إلى الذنب الاول فيتحقق الاصرار. وقسم الشهيد في قواعده الاصرار إلى فعلي وحكمي، وقال (*)

الاصرار أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدث نفسه بتوبة، فذلك الاصرار (١). علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: لا والله لا يقبل الله شيئا من طاعته على الاصرار على شئ من معاصيه (٢) (٣). عدة من أصحابنا: عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عبد الله بن محمد النهيكي، عن عمار بن مروان القندي، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار (٤).

الفعلي: هو الدوام على نوع واحد من الصغائر بلا توبة، والاكثار من جنس الصغائر بلا توبة. والحكمي: هو العزم على تلك الصغيرة بعد الفراغ منها. أما لو فعل الصغيرة ولم يخطر بباله بعدها توبة ولا عزم على فعلها، فالظاهر أنه غير مصر. وقال الشيخ في الاربعين: تخصيصه الاصرار الحكمي بالعزم على تلك الصغيرة بعد الفراغ منها، يعطي أنه لو كان عازما على صغيرة اخرى بعد الفراغ مما هو فيه لا يكون مصرا، والظاهر أنه مصر أيضا. وتقييده ببعد الفراغ منها يقتضي بظاهره أن من كان عازما مدة سنة على لبس الحرير مثلا، لكن لم يلبسه أصلا لعدم تمكنه، لا يكون في تلك المدة مصرا، وهو محل نظر. وقال بعضهم: الاصرار هو إدامة الفعل والعزم على إدامته يصح معها إطلاق وصف العزم عليه. وقال بعضهم: هو تكرار الصغيرة تكرارا يشعر بقلة المبالاة إشعار الكبيرة بذلك، أو فعل صغائر من أنواع مختلفة بحيث يشعر بذلك. (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج ٩ ص ٢٦٧). (١) الكافي: ج ٢ ص ٢٨٨ كتاب الايمان والكفر، باب الاصرار على الذنب، ح ٢. (٢) قوله: (لا والله لا يقبل الله شيئا من طاعته على الاصرار على شئ من معاصيه) لعل السرفيه أن سبب قبول الطاعة هو دلالتها على تعظيم الرب، والاصرار على المعصية وإن كانت صغيرة يستلزم تحقيره وإن لم يقصده العاصي، والتحقير ينافي التعظيم، أو أن قبول الطاعة عبارة عن تقريب المطيع إلى ذاته المقدسة، والاصرار على المعصية يوجب تبعيده عنه، وحمل عدم القبول على وجه الكمال محتمل (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج ٩ ص ٢٦٧). (٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٨٨ كتاب الايمان والكفر، باب الاصرار على الذنب، ح ٣. (٤) قوله (لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار) ظاهره أن الكبيرة تصير صغيرة، أو تزول

بالكلية مع الاستغفار، والصغيرة تصير كبيرة مع الاصرار، وهو مع ذلك يستلزم الجرأة على الكبيرة غالبا، (*)

---

[٢٣٠]

(٢٤٩/٣)

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن معاوية بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إنه والله ما خرج عبد من ذنب بإصرار، وما خرج عبد من ذنب إلا بإقرار (١). محمد بن يحيى، عن علي بن الحسين الدقاق، عن عبد الله بن محمد، عن أحمد بن عمر، عن زيد القتات، عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: ما من عبد أذنب ذنبا فندم عليه إلا غفر الله له قبل أن يستغفر (٢) وما من عبد أنعم الله عليه نعمة فعرف أنها من عند الله إلا غفر الله له قبل أن يحمده (٣).

(٢٥٠/٣)

ولذلك ألحق العلماء بالكبائر الاصرار على الصغائر، واستدلوا بهذا الحديث. وتوضيحه أنه (عليه السلام) دعا إلى الاستغفار عن كبائر الذنوب وصغائرها، وبين أن الصغيرة مع الاصرار لا تبقى صغيرة على حالها، لان الاصرار عليها معصية اخرى تنضم إلى الاولى، فإذا دام على الاصرار توالت المعاصي وتكاثرت وتراكمت حتى تعد كبيرة، لا سيما إذا كان الاصرار يتضمن الاستهانة والاحتقار. وقد قيل في تفسير قوله تعالى: " يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء " يعذب من يشاء على الصغيرة للاصرار بها، ويغفر لمن يشاء الكبيرة لاستعظامه إياها وخوفه من الله. وقوله (عليه السلام): (ولا كبيرة مع الاستغفار) معناه: أن الكبيرة لا تبقى كبيرة، بل تذوب وتصغر بأمرالله تعالى إذا قارنها الاستغفار، وهو طلب المغفرة من الغفار، وذلك لان الاستغفار يتضمن التوبة مع طلب المغفرة، والمستغفر يشاهد قبح فعه وشناعة ذنبه واستحقاقه للعقوبة، فيندم بقلبه، والندم توبة، ثم يسأل بصدق النية المغفرة منه مستعظما له، فتصغر بذلك كبيرته عند الله تعالى، بل ربما تزول عن أصلها. ويوافق الفقرتين قول بعض العارفين: متى عظمت المعصية في قلب العاصي صغرت عند الله تعالى، ومتى صغرت في قلبه عظمت عنده تعالى (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج

٩ ص ٢٦٦). الكافي: ج ٢ ص ٢٨٨ كتاب الايمان والكفر، باب الاصرار على الذنب، ح ١. (١) الكافي: ج ٢ ص ٤٢٦ كتاب الايمان والكفر، باب الاعتراف بالذنوب والندم عليها، ح ٤. (٢) قوله: (ما من عبد أذنب ذنبا الخ) الندم فعل القلب، والاستغفار فعل اللسان، والاول أشرف، فلذا له تأثير بدون الثاني، ولا تأثير للثاني بدونه (شرح اصول الكافي للعلامد المازندراني: ج ١٠ ص ١٤٣). (٣) قوله: (وما من عبد أنعم الله عليه نعمة الخ) إيصال كل مرغوب ورفع كل مكروه نعمة. ويفهم منه (*)

---

[٢٣١]

(٢٥١/٣)

وفي مجمع البيان: وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار (١). وروى عن النبي (صلى الله عليه وآله): ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة (٢). وهم يعلمون: حال من فاعل " يصروا " أي لم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به. وفي أمالي الصدوق (رحمه الله): بإسناده إلى الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: لما نزلت هذه الآية صعد إبليس جبلا بمكة يقال له ثور (٣)، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيدنا لم دعوتنا ؟ قال: نزلت هذه الآية، فمن لها ؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا، قال: لست لها، فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال الوسواس الخناس: أنا لها، فقال: مما ذا ؟ قال: أعدهم وامنيهم حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيهم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكله بها إلى يوم القيامة (٤). وفي تفسير العياشي: عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: رحم الله عبدا لم يرض من نفسه أن يكون إبليس نظيرا له في دينه، وفي كتاب

(٢٥٢/٣)

أن الحمد القلبي أشرف من الحمد اللساني، وان الحمد وغيره من العبادات القلبية والبدنية سبب للمغفرة، كما يدل عليه أيضا قوله: (إن الحسنات يذهبن السيئات) (شرح اصول الكافي للعلامة المازندراني: ج ١٠ ص ١٤٣). الكافي، ج ٢ ص ٤٢٧ كتاب الايمان والكفر، باب الاعتراف

بالذنوب والندم عليها، ح ٨. (١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٠٦ في نقل المعنى لقوله تعالى: " والذين إذا فعلوا فاحشة " الآية. (٢) تفسير الصافي: ج ١ ص ٣٥٢ في تفسيره لقوله تعالى: و " ولم يصروا على ما فعلوا " ورواه في الكشاف: ج ١ ص ٤١٦ في تفسيره للآية، وسنن الترمذي: ج ٥ ص ٥٥٨ كتاب الدعوات باب ١٠٧ ح ٣٥٥٩. (٣) اسم جبل بمكة فيه الغار الذي اختفى فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال الجوهري: ثور جبل بمكة وفيه الغار المذكور في القرآن يقال له: أطحل، وقال الزمخشري: ثور أطحل من جبال مكة بالمفجر من خلف مكة على طريق اليمن (تلخيص من معجم البلدان: ج ٢ ص ٨٦ باب الثاء والواو وما يليهما، في لغة ثور). (٤) الامالي للصدوق: ص ٣٧٦ المجلس الحادي والسبعون، ح ٥. (*)

[أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنت تجرى من تحتها الانهر خلدين فيها ونعم أجر العملين (١٣٦)] الله نجاة من الردى، وبصيرة عن العمى، ودليل إلى الهدى، وشفاء لما في الصدور فيما أمركم الله به من الاستغفار مع التوبة، قال الله: " والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون. ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما " (١) فهذا ما أمر الله به من الاستغفار واشترط معه التوبة والاقلاع عما حرم الله، فانه يقول: " إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه " (٢) فهذه الآية تدل على أن الاستغفار لا يرفعه إلى الله إلا العمل الصالح والتوبة (٣). وفي روضة الكافي: بإسناده إلى ابي عبد الله (عليه السلام) قال: وإياكم والاصرار على شئ مما حرم الله في ظهر القرآن وبطنه وقد قال: " ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون " (٤). أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنت تجرى من تحتها الانهر خلدين فيها ونعم أجر العملين: خبر للذين إن ابتدأت به، وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها إن عطفته على " المتقين " أو على " الذين ينفقون ". وتنكير " جنات " على الاول يدل على أن ما لهم أدون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة، وكفاك فارقا بين القبيلين أنه فصل آيتهم، بأن بين أنهم محسنون مستوجبون لمحبة الله

---

(١) النساء: ١١٠. (٢) فاطر: ١٠. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٨ ح ١٤٣. (٤) الكافي: ج ٨ ص ٩ قطعة من ح ١. (*)

(٢٥٤/٣)

تعالى، وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع، وتخطوا إلى التخصيص بمكارمه، وفصل آية هؤلاء بقوله: " ونعم أجر العاملين " لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه، وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير. ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة.
والمخصوص بالمدح محذوف، تقديره: ونعم أجر العاملين ذلك، يعني المغفرة والجنات. وفي أمالي الصدوق (رحمه الله): محمد بن إبراهيم بن إسحاق (رحمه الله) قال: حدثنا أحمد بن محمد الهمداني قال: أخبرنا احمد بن صالح بن سعد التميمي، قال: حدثنا موسى بن داود قال: حدثنا الوليد بن هشام قال: حدثنا هشام بن حسان، عن الحسن بن أبي الحسن البصري، عن عبد الرحمن بن غنم الدوسي قال: دخل معاذ بن جبل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) باكيا، فسلم فرد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم قال: ما يبكيك يا معاذ ؟ فقال: يا رسول الله، إن بالباب شابا طري الجسد، نقي اللون، حسن الصورة، يبكي على شبابه بكاء الثكلى على ولدها، يريد الدخول عليك، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ادخل علي الشاب يا معاذ، فأدخله عليه فسلم، فرد (عليه السلام)، ثم قال: ما يبكيك يا شاب ؟ قال: كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوبا إن أخذني الله (عز وجل) ببعضها أدخلني نار جهنم، ولا أراني إلا سيأخذني بها ولا يغفر لي أبدا، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): هل أشركت بالله شيئا ؟ قال: أعوذ بالله أن اشرك به شيئا، قال: أقتلت النفس التي حرم الله ؟ قال: لا، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرواسي، قال الشاب: فإنها أعظم من الجبال الرواسي، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يغفر الله ذنوبك وإن كانت مثل الارضين السبع وبحارها ورما لها وأشجارها وما فيها من الخلق، قال: فإنها أعظم من الارضين السبع وبحارها ورما لها وأشجارها وما فيها من الخلق، فقال النبي (صلى الله عليه وآله

(٢٥٥/٣)

وسلم): يغفر لك ذنوبك وإن كانت مثل السماوات ونجومها ومثل العرش والكرسي، قال: فإنها أعظم من ذلك، قال:

فنظر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كهيئة الغضبان، ثم قال: ويحك يا شاب ذنوبك أعظم أم ربك ؟ فخر الشاب لوجهه، وهو يقول: سبحان الله ربي ما من شئ أعظم من ربي، ربي أعظم يا نبي الله من كل عظيم، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): فهل يغفر الذنب العظيم إلا الرب العظيم ؟ قال الشاب: لا والله يا رسول الله، ثم سكت الشاب فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): ويحك يا شاب ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك ؟ قال: بلى اخبرك، إني كنت أنبش القبور سبع سنين، اخرج الاموات، وأنزع الاكفان، فماتت جارية من بعض بنات الانصار، فلما حملت إلى قبرها ودفنت وانصرف عنها أهلها وجن عليهم الليل، أتيت قبرها فنبشتها ثم استخرجتها ونزعت ما كان عليها من الاكفان وتركتها مجردة على شفير قبرها ومضيت منصرفا، فأثاني الشيطان فأقبل يزينها لي ويقول: أما ترى بطنها وبياضها ؟ أما ترى وركيها ؟ فلم يزل يقول لي هذا حتى رجعت إليها ولم أملك نفسي حتى جامعتها وتركتها مكانها، فإذا أنا بصوت من ورائي يقول: يا شاب ويل لك من ديان يوم الدين، يوم يقفني وإياك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى، ونزعتني من حفرتي، وسلبتني أكفاني، وتركتني أقوم جنبية إلى حسابي، فويل لشبابك من النار. فما أظن أني أشم ريح الجنة أبدا فما ترى يا رسول الله. فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، تنح عني يا فاسق، إني أخاف أن أحترق بنارك، فما أقربك من النار. ثم لم يزل (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول ويشير إليه حتى أمعن من بين يديه. فذهب فأتى المدينة فتزود منها، ثم أتى بعض جبالها، فتعبد فيها، ولبس مسحا، وغل يديه جميعا إلى عنقه، ونادى يا رب هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول، يا رب أنت الذي تعرفني، وزل منى ما تعلم يا سيدي يا رب إني أصبحت من النادمين، وأتيت نبيك تائبا

(٢٥٦/٣)

فطردني وزادني خوفا، فأسألك باسمك وجلالك وعظم سلطانك أن لا تخيب رجائي سيدي ولا تبطل دعائي ولا تقنطني من رحمتك، فلم يزل يقول ذلك أربعين يوما وليلة، تبكي له السباع والوحوش، فلما تمت له أربعون يوما

وليلة، رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم ما فعلت في حاجتي ؟ إن كنت استجبت دعائي وغفرت خطيئتي فأوح إلى نبيك، وإن لم تستجب دعائي ولم تغفر خطيئتي وأردت عقوبتي فعجل بنار تحرقني، أو عقوبة في الدنيا تهلكني وخلصني من فضيحة يوم القيامة. فأنزل الله (تبارك وتعالى) على نبيه (صلى الله عليه وآله): " والذين إذا فعلوا فاحشته " يعني الزنا " أو ظلموا أنفسهم " يعني

بارتكاب ذنب أعظم من الزنا وهو نبش القبر وأخذ الاكفان " ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم " يقول: خافوا الله فعجلوا التوبة " ومن يغفر الذنوب إلا الله " يقول (عز وجل): أتاك عبدي يا محمد تائبا، فطردته، فأين يذهب ؟ وإلى من يقصد ؟ ومن يسأل أن يغفر له ذنبه غيري، ثم قال (عز وجل): " ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون " يقول: لم يقيموا على الزنا ونبش القبور وأخذ الاكفان، " اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ". فلما نزلت هذه الآية على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، خرج وهو يتلوها وهو يبتسم، فقال لاصحابه: من يدلني على ذلك الشاب التائب ؟ فقال معاذ: يا رسول الله بلغنا أنه في موضع كذا وكذا، فمضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه حتى انتهوا إلى ذلك الجبل، فصعدوا إليه يطلبون الشاب، فإذا هم بالشاب قائم بين صخرتين مغلولة يداه إلى عنقه قد اسود وجهه وتساقطت أشفار عينيه من البكاء، وهو يقول: سيدي قد أحسنت خلقي وأحسنت صورتي، فليت شعري ماذا تريد بي، أفي النار تحرقني ؟ أو في جوارك تسكنني ؟ اللهم إنك قد أكثرت الاحسان إلي فأنعمت علي، فليت شعري ماذا يكون آخر أمري إلى الجنة تزفني أم إلى النار

(٢٥٧/٣)

تسوقني، اللهم إن خطيئتي أعظم من السماوات والارض ومن كرسيك الواسع وعرشك العظيم، فليت شعري تغفر خطيئتي أم تفضحني بها يوم القيامة، فلم يزل يقول نحو هذا وهو يبكي ويحثو التراب على رأسه، وقد أحاطت به السباع وصفت فوقه الطير، وهم يبكون لبكائه، فدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأطلق يديه من عنقه ونفض التراب عن رأسه، وقال: يا بهلول أبشر فإنك

[قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عقبة المكذبين (١٣٧) هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين (١٣٨)] عتيق الله من النار، ثم قال (صلى الله عليه وآله) لاصحابنه: هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول، ثم تلا عليه ما أنزل (عز وجل) فيه وبشره بالجنة (١). قد خلت من قبلكم سنن: وقائع سننها الله في الامم المكذبة. وقيل: امم، قال: ما عاين الناس من فضل كفضلكموا * ولا أرى مثله في سالف السنن (٢). فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عقبة المكذبين: لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم. وفي الكافي: عن الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: " سيروا في الارض فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين " من قبلكم، قال: عنى بذلك انظروا في القرآن فاعلموا كيف كانت عاقبة الذين من قبلكم وما أخبركم عنه (٣). هذا: أي القرآن. بيان للناس: عامة. وهدى ومو عظة للمتقين: خاصة. وقيل: " هذا " إشارة إلى قوله: " قد خلت " أو

مفهوم قوله: " فانظروا " أي إنه

---

(١) الامالي للصدوق: ص ٤٥ المجلس الحادي عشر، ح ٣. (٢) لم يسم قائله: قوله (وقيل: امم) أي قيل المراد بالسنن الامم، استشهادا بقوله: ما عاين الناس إلخ (حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي: ج ١ ص ٦٧٢). (٣) الكافي: ج ٨ ص ٢٤٩ قطعه من ح ٣٤٩. (*)

[ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين (١٣٩) إن يمسسكم قرح فقدمس القوم قرح مثله وتلك الايام ندا ولها بين الناس وليعلم الله الذين ءامنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظلمين (١٤٠)] مع كونه بيانا للمكذبين، فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين، أو إلى ما لخص من أمر المتقين والتائبين. وقوله: " قد خلت " للبعث على الايمان والتوبة (١). ولا تهنوا: ولا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم يوم احد. ولا تحزنوا: على من قتل منكم، تسلية لهم عما أصابهم. وأنتم الاعلون: والحال أنكم أعلى شأنا، فإنكم على الحق وإنهم على الباطل، وقتالكم لله وقتالهم للشيطان، وقتلا كم في الجنة وقتلاهم في النار. أو لانكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم أو أنتم الاعلون في العاقبة، فيكون بشارة لهم لا نصر والغلبة (٢). إن كنتم مؤمنين: متعلق بالنهي، أي لا تهنوا إن صح إيمانكم، فإنه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله، أو بالاعلون. إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله: قيل: يعني إن أصابوا منكم يوم احد، فقد أصبتم منهم يوم بدر مثله، ثم إنهم لم يضعفوا ولم يجبنوا، فأنم أولى بأن لا تضعفوا، فإنكم ترجون من الله ما لا يرجون. وقيل: كلا المسين كان يوم احد، فإن المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر

(١ و ٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٣ في تفسيره لقوله تعالى: " هذا بيان للناس " إلى قوله " وتلك الايام ". (*)

الرسول (١). وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان. وقيل: هو بالفتح: الجراح، وبالضم: ألمها (٢). وتلك الايام ندا ولها بين الناس: نصرفها، نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى. والمداولة كالمعاودة يقال: داولت الشئ بينهم، فتداولوه. والايام يحتمل الوصف والبدل وعطف البيان والخبر، و (نداولها) الخبر على الاحتمالات الثلاث الاول، والحال على الاحتمال الاخير. والمراد بها أو قات النصر والغلبة. في تفسير العياشي: عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله الله تعالى " وتلك الايام نداولها بين الناس " قال: ما زال منذ خلق الله آدم، دولة لله ودولة لابليس، فأين دولة الله ما هو إلا مع قائم واحد (٣). وليعلم الله الذين ءامنوا: عطف على علة محذوفة، أي نداولها ليكون كيت وكيت، وليعلم، إذانا بأن العلة فيه غير واحدة، وإن ما يصيب المؤمن فيه من المصالح مالا يعلم، أو الفعل المعلل به محذوف، تقديره، والليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف، فعلنا ذلك. والقصد في أمثاله ليس إلى إثبات علمه تعالى، بل إلى إثبات المعلوم على طريقة البرهان. وقيل: معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء، وهو العلم بالشئ موجودا (٤)، وهو تكلف.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٣ في تفسيره لقوله تعالى " هذا بيان للناس " إلى قوله " وتلك الايام ". (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٩ ح ١٤٥. (٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٤ في تفسيره لقوله تعالى: " وليعلم الله الذين آمنوا ". (*)

[وليمحص الله الذين ءامنوا ويمحق الكفرين (١٤١) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جهدوا منكم ويعلم الصبرين (١٤٢)] ويتخذ منكم شهداء: ويكرم منكم بالشهادة يريد شهداء احد أو يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد. أو شهودا وعلماء بما ينعم على المؤمنين ويمددهم. والله لا يحب الظلمين: الذين يضمرون خلاف ما يظهرون، أو الكافرين. وهو اعتراض. وفيه تنبيه على أنه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة، وإنما يديل لهم أحيانا استدارجا وابتلاء للمؤمنين. وفي تفسير علي بن إبراهيم: أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما رجع من احد فلما دخل المدينة نزل عليه جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم ولا يخرج معك إلا من به جراحة، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) مناديا

ينادي: يا معشر المهاجرين والانصار من كانت به جراحة فليخرج، ومن لم يكن به جراحة فليقم، فأقبلوا يضمدون جراحاتهم ويشدونها فأنزل الله على نبيه " ولا تنهنوا في إبتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون " (١) وقال (عز وجل): " إن يمسسكم قرح فقدمس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها ين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء " فخرجوا على ما بهم من الالم والجراح (٢). وليمحص الله الذين ءامنوا: ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب إن كانت الدولة عليهم.

---

(١) النساء: ١٠٤. (٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢. (*)

ويمحق الكفرين: ويهلكهم إن كانت عليهم. والمحق نقص الشئ قليلا قليلا. وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) إمام امتي وخليفتي عليها من بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الذي يملا الله به الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، والذي بعثني بالحق بشيرا ونذيرا إن الثابتين على القول به في زمان غيبته لا عز من الكبريت الاحمر، فقام إليه جابرين عبد الله الانصاري فقال: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): وللقائم من ولدك غيبة ؟ قال: اي وربي " وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين " يا جابر إن هذا الامر من الله وسر من سر الله، مطوي عن عباد الله، فإياك والشك فيه، فإن الشك في أمر الله (عز وجل) كفر (١). واعلم أن هذا الخبر يدل بصريحه على كفر أهل السنة، فإنهم شاكون في غيبة صاحب الامر ووجوده، وقد صرح في الخبر بأن الشك فيه كفر، فتبصر. أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جهدوا منكم: بل أحسبتم، ومعناه الانكار، أي لا تحسبوا أن تدخلوها ولما يعلم الله المجاهدين منكم ولما يجاهد بعضكم. وفيه دلالة على أن الجهاد فرض على الكفار. والفرق بين " لما " و " لم " أن فيها توقعا في المستقبل، بخلاف " لم ". وقرئ " يعلم " بفتح الميم على أن أصله يعلمن، فحذفت النون. ويعلم الصبرين: نصب بإضمار (ان) على أن الواو للجمع. وقرئ بالرفع على أن الواو للحال، كأنه قال: ولما تجاهدوا وأنتم صابرون. وفي تفسير العياشي: عن داود الرقي قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ج ١ ص ٢٨٦، الباب الخامس والعشرون، ما أخبر به النبي (صلى

الله عليه وآله وسلم) من وقوع الغيبة بالقائم (عليه السلام) ح ٧. (*)

[ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون (١٤٣) وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإين مات أو قتل انقلبتم على أعقبكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشكرين (١٤٤) قول الله تعالى: " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم " قال: إن الله هو أعلم بما هو مكونه قبل أن يكونه وهم ذر، وعلم من يجاهد ممن لا يجاهد، كما أنه يميت خلقه قبل أن يميتهم، ولم يرهم موتهم وهو أحياء (١). ولقد كنتم تمنون الموت: بالشهادة أو الحرب، فإنها من أسباب الموت. من قبل أن تلقوه: من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا ثبوته. فقد رأيتموه وأنتم تنظرون: أي رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من إخوانكم. وهو توبيخ لهم على أنهم تمنوا وتسببوا لها، ثم جبنوا وانهزموا عنها. أو على تمني الشهادة، فإن في تمنيها تمني غلبة الكفار. وفي تفسير علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في هذه الآية، أن المؤمنين لما أخبرهم الله تعالى بالذي فعل بشهدائهم يوم بدر في منازلهم في الجنة، رغبوا في ذلك فقالوا: اللهم أرنا قتالا نستشهد فيه، فأراهم الله إياه يوم احد، فلم يثبتوا إلا ما شاء الله منهم، فذلك قوله: " ولقد كنتم تمنون الموت " الآية (٢). وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل: فسيخلوا كما خلوا بالموت أو القتل.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٩ ح ١٤٧. (٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١١٩ في تفسيره لقوله تعالى: " ولقد كنتم تمنون الموت " الآية. (*)

أفإين مات أو قتل انقلبتم على أعقبكم: إنكار لارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين، لخلوه بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به. وقيل: الفاء للسببية والهمزة

للانكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد وفاته (١). وفي روضة الكافي: حنان عن أبيه، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) إلا ثلاثة قلت: ومن الثلاثة ؟ فقال: المقداد بن الاسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي (رحمة الله وبركاته عليهم " (٢)، ثم عرف اناس بعد يسير (٣)، وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا، وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين (عليه السلام) مكرها فبايع، وذلك قول الله (عز وجل): " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين " (٤). محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن الحسين

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٤ في تفسيره لقوله تعالى: " أفإن مات أو قتل " الآية. (٢) قال الشيخ القرطبي في شرح مسلم: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الله أمرني أن أحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم علي وأبو ذر والمقداد وسلمان (شرح الروضة للعلامة المازندراني: ج ١٢ ص ٣٢٢). (٣) قوله: (ثم عرف اناس بعد يسير) يسير بالجز على الاضافة، أي بعد زمان قليل، أو بالرفع صفة لاناس، ولفظة (بعد) على الاول للتقييد وعلى الثاني للتأكيد، وقال: (هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا) أي رحا الاسلام، شبههم بقطب الرحا في توقف نظام الاسلام وجريانه عليهم، (وذلك قول الله عز وجل) ذلك إشارة إلى ارتداد الامة وبقاء قليل على الاسلام، وهم المقرون بنعمة الله التي هي الولاية الشاكرون عليها (شرح روضة الكافي للعلامة المازندراني: ج ١٢ ص ٣٢٢ في شرحه لحديث ٣٤١). (٤) الكافي: ج ٨ ص ٢٤٥ ح ٣٤١. (*)

ابن أبي العلاء الخفاف، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لما انهزم الناس يوم احد (١) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انصرف إليهم بوجهه وهو يقول: أنا محمد أنا رسول الله لم اقتل، ولم أمت، فالتفت إليه فلان وفلان فقالا: الآن يسخر بنا أيضا وقد هزمنا، وبقي معه علي وسماك بن خرشة أبو دجانة (٢) فدعاه النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا أبا دجانة انصرف وأنت في حل من بيعتك، فأما علي فهو أنا وأنا هو، فتحول وجلس بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبكى، وقال: لا والله ورفع رأسه إلى السماء وقال: لا والله لا جعلت نفسي في حل من بيعتي إني

بايعتك (٣) فإلى من انصرف يا رسول الله إلى زوجة تموت، أو

(٢٦٥/٣)

---

(١) احد: بضم أوله وثانيه معا: اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة احد، وهو مرتجل لهذا الجبل، وهو جبل أحمر، ليس بذي شناخيب، وبينه وبين المدينة قرابة ميل في شماليها، وعنده كانت الوقعة الفظيعة التي قتل فيها حمزة عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسبعون من المسلمين، وكسرت رباعية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وشج وجهه الشريف وكلمت شفته، وكان يوم بلاء وتمحيص، وذلك لسنتين وتسعة أشهر وسبعة أيام من مهاجرة النبي (صلى الله عليه وآله)، وهو في سنة ثلاث. وفي الحديث أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: احد جبل يحبنا ونحبه، وهو على باب من أبواب الجنة، وعبر جبل يبغضنا ونبغضه وهو على باب من أبواب النار (معجم البلدان: ج ١ ص ١٤٤ لغة احد). (٢) باب سماك: بالسين المهملة المكسورة، والميم المخففة المفتوحة، والالف والكاف كما عن تقريب ابن حجر: سماك بن خرشة: أبو دجانة الانصاري الخزرجي الساعدي، عده ابن عبد البرو ابن مندة وأبو نعيم من الصحابة، وقالوا: إنه مشهور بكنيته، يعني أبا دجانة، شهد بدرا واحدا وجميع المشاهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأعطاه رسول الله سيفه يوم احد وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) من يأخذ هذ السيف بحقه فأحجم القوم، فقال أبو دجانة: أنا آخذه بحقه، فدفعه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ففلق به هام المشركين، وكان من الشجعان المشهورين بالشجاعة، وكانت له عصابة حمراء يعرف بها في الحرب، والاكثر على أنه قتل يوم اليمامة بعد ما أبلى فيهابلاء وعظيما، وقيل: بل عاش حتى شهد صفين مع أمير المؤمنين (عليه السلام) (تلخيصا من تنقيح المقال: ج ٢ ص ٦٨ تحت رقم ٥٢٧٤). (٣) إني بايعتك: بايعت مفاعلة من البيع، وكانوا إذا بايعوا أحد قبضوا على يده اليمنى توكيدا للامر، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري، فجاءت المفاعلة في بايعت من ذلك. وأما البيعة فهي عرفا (*)

(٢٦٦/٣)

ولد يموت، أو دار تخرب، أو مال يفنى، وأجل قد اقترب، فرق له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلم يزل يقاتل حتى أثخنته الجراحة، وهو في وجه وعلي (عليه السلام) في وجه، فلما سقط احتمله علي (عليه السلام) فجاء به إلى النبي (صلى الله عليه واله وسلم) فوضعه عنده، فقال: يا رسول الله أو فيت ببيعتي ؟ قال: نعم، وقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): خيرا، وكان الناس يحملون على النبي (صلى الله عليه وآله) الميمنة فيكشفهم علي (عليه السلام) فإذا كشفهم أقبلت الميسرة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فلم يزل كذلك حتى تقطع سيفه بثلاث قطع، فجاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فطرحه بين يديه فقال: هذا سيفي تقطع، فيومئذ أعطاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذو الفقار، ولما رأى النبي (صلى الله عليه وآله) اختلاج ساقيه (١) من كثرة القتال رفع رأسه إلى السماء وهو يبكي، وقال: يا رب وعدتني أن تظهر دينك وإن شئت لم يعيك، فأقبل على (عليه السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال يا رسول الله: أسمع دويا شديدا، وأسمع (اقدم حيزوم) (٢) وما أهم أضرب أحدا إلا سقط ميتا قبل أن أضربه ؟ فقال: هذا جبرئيل (عليه السلام) وميكائيل وإسرافيل في الملائكة. ثم جاءه جبرئيل (عليه السلام) فوقف إلى جنب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا محمد إن هذه لهي المواساة (٣)، فقال (صلى الله عليه وآله

معاهدته على تسليم النظر في كل الامور إليه على وجه لا ينازع ولا ينصرف عنه ولو قتل: (شرح روضة الكافي للعلامة المازندراني: ج ١٢ ص ٤٢٥). (١) خلج الشئ خلجا وخلوجا وخلجانا، تحرك واضطرب (المعجم الوسيط: ج ١ ص ٢٤٨ لغة خلج). (٢) وأسمع: أقدم حيزوم: في حديث بدر (أقدم حيزوم) جاء في التفسير: إنه اسم فرس جبرئيل (عليه السلام)، أراد أقدم يا حيزوم، فحذف حرف النداء والياء فيه زائدة (النهاية لا بن الاثير: ج ١ ص ٤٦٧ (باب الحاء مع الياء). (٣) (لهي المواساء) في النهاية: المواساة، المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق، وأصلها الهمز فقلبت واوا تخفيفا. ولعل المراد بها هنا، مواساته بنفسه وماله، من قولهم: واساه بماله مواساة، أنا له منه (شرح

وسلم): إن عليا مني وأنا منه، فقال جبرئيل (عليه السلام): وأنا منكما (١)، ثم انهزم الناس، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): يا علي امض بسيفك حتى تعارضهم (٢)، فإن رأيتهم قد ركبوا القلاص وجنبوا الخيل (٣) فإنهم يريدون مكة، وإن رأيتهم قدر كبوا الخيل وهم يجنبون القلاص فإنهم يريدون المدينة. فأتاهم علي (عليه السلام) فكانوا على القلاص، فقال أبو

سفيان لعلي (عليه السلام): ما تريد ؟ هو ذا نحن ذاهبون إلى مكة، فانصرف إلى صاحبك. فاتبعهم جبرئيل (عليه السلام)، فكلما سمعوا وقع حافر فرسه، جدوا في السير، وكان يتلوهم، فإذا ارتحلوا قالوا: هو ذا عسكر محمد (صلى الله عليه وآله) قد أقبل. فدخل أبو سفيان مكة فأخبرهم الخبر، فجاء الرعاة والحطابون فدخلوا مكة، فقالوا: رأينا عسكر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كلما رحل أبو سفيان نزلوا، يقدمهم فارس على فرس أشقر (٤) يطلب آثارهم، فأقبل أهل مكة على أبي سفيان

---

(١) روضة الكافي للعلامة المازندراني: ج ١٢ ص ٤٢٧). (١) (وأنا منكما): قال في الفائق: يقال: هو مني، أي هو بعضي. والغرض الدلالة على شدة الاتصال وتمازج الاهواء واتحاد المذاهب، ومثله قوله تعالى: " فمن تبعني فإنه مني " وقال الصدوق في العلل: قول جبرئيل: (وأنا منكما) تمنى منه لان يكون منهما، فلو كان أفضل منهم لم يقل ذلك ولم يتمن أن ينحط عن درجته إلى أن يكون ممن دونه، وإنما قال: وأنا منكما ليصير من هو أفضل منه، فيزداد محلا إلى محله وفضلا إلى فضله نفس المصدر السابق. (٢) (حتى تعارضهم) أي حتى تأتيهم، من عارضه إذا أتاه معرضا من بعض الطريق، أو حتى تظهر لهم ويظهروا لك، من أعرض الشئ يعرض، إذا ظهر له، أو حتى تقابلهم من عارض إذا قاتله. نفس المصدر السابق. (٣) (فإن رأيتهم قد ركبوا القلاص وجنبوا الخيل) في القاموس: القلوص من الابل الشابة، أو الباقية على السير، أو أول ما يركب من إناثها إلى أن تثنى ثم هي ناقة، والناقة الطويلة القوائم، خاص بالاناث، والجمع قلاص وقلص وجمع الجمع قلاص. والجنيبة فرس تقاد إلى جنب الراكب أو قدامه، ليتحول إليها ويركبها إذا فتر مركوبه، يقال: جنبه جنبا محركة، ومجنبا، فاده إلى جنبه، فهو جنيب ومجنوب. نفس المصدر السابق. (٤) (يقدمهم فارس على فرس أشقر) الاشقر من الدواب، الاحمر في مغرة حمرة تحمر منه العرف والذنب، والمغر محركة والمغرة بالضم لون ليس بناصع الحمرة، أو شقرة بكدرة نفس المصدر السابق. (*)

يوبخونه. ثم رحل النبي (صلى الله عليه وآله) والراية مع علي (عليه السلام) وهو بين يديه، فلما أن أشرف بالراية من العقبة ورآه الناس نادى علي (عليه السلام) أيها الناس هذا محمد لم يمت ولم يقتل، فقال صاحب الكلام الذي قال (الآن يسخر بنا وقد هزمنا) هذا علي والراية بيده، حتى هجم عليهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونساء الانصار في أفنيتهم على أبواب دورهم، وخرج الرجال إليه يلوذون به ويثوبون إليه (١)، والنساء، نساء الانصار قد خدشن الوجوه ونشرن الشعور، وجززن النواصي، وخرقن الجيوب، وخرمن البطون (٢) على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما رأينه قال لهن خيرا، وأمر هن أن يستترن ويدخلن منازلهن، وقال: إن الله (عز وجل) وعدني أن يظهر دينه على الاديان كلها، وأنزل الله على محمد (صلى الله عليه وآله) " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا " (٣). وفي روضة الكافي: خطبة مسندة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام). وهي خطبة الوسيلة يقول فيها (عليه السلام): حتى إذا دعا الله عز وجل: نبيه ورفعه إليه (٤)، لم يك ذلك (٥).

---

(١) ويثوبون إليه) في أكثر النسخ بالثاء المثلثة، أي يرجعون، وفي بعضها بالتاء المثناة أي يتوبون ويعتذرون من الهزيمة وترك القتال. (٢) (وحر من البطون) في أكثر النسخ بالحاء والزاي المعجمة، أي كن شددن بطونهن لئلا تبدوا عوراتهن لشق الجيوب، من قولهم حرمت الشئ أي شددته. وفي بعضها حرص بالحاء والصاد المهملتين أي شققن وخرقن، يقال: حرص القصار الثوب أي خرقه بالدق، وفي بعضها بالحاء والضاد المعجمة على وزن التفعيل، يقال: احرضه المرض إذا أفسد بدنه وأشفا على الهلاك (مرآت العقول في بيان ما جرى في غزوة احد) ص ٤٠٤. (٣) الكافي: ج ٨ ص ٣١٨ ح ٥٠٢. (٤) (حتى إذا دعا الله نبيه (صلى الله عليه وآله) أي إلى رحمته ورضوانه). (٥) (لم يك ذلك) أي المذكور من أحوالهم الدالة على استقامتهم ظاهر نفس المصدر السابق (شرح روضة الكافي العلامة المازندراني: ج ١١ ص ٢٦١). (*)

بعده إلا كلمحة من خفقة (١)، أو وميض من برقة (٢)، إلى أن رجعوا على الاعقاب (٣)، وانتكصوا على الادبار (٤)، وطلبوا بالاوتار (٥)، وأظهروا الكتائب (٦)، وردموا الباب (٧)، وفلوا الديار (٨)، وغيروا آثار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ورغبوا عن أحكامه، وبعدوا من أنواره، واستبدلوا بمستخلفه بديلا، اتخذوه وكانوا ظالمين، وزعموا أن من اختاروا (٩) من آل أبي

(٢٧١/٣)

---

(١) (إلا كلمحة من حفقة) الخفقة تحريك الناعس رأسه، والتاء للوحدة، والتنكير للتقليل، واللمحة زمان رؤية واحدة وكثيرا ما يعبر بها عن الزمان القليل جدا، ولذلك فسرها بمقدار زمان النعاس القليل، أو زمان اختلاس النظر منه. وهذا من أحسن العبارات في إفادة قلة الزمان، مع إشارة لطيفة إلى دخولهم حينئذ في غفلة النعاس نفس المصدر السابق. (٢) (أو وميض من برقة) أي لمعانها، يقال: ومض البرق بمضي ومضا وميضا وومضانا، إذا لمع خفيفا، ولم يعترض في نواحي الغيم. وهذه أيضا من أحسن البيان لافادة قلة الزمان، مع إشارة خفيفة إلى اضطرابهم نفس المصدر السابق. (٣) (إلى أن رجعوا على الاعقاب) الرجوع إلى الاعقاب كناية عن الرجوع عما كانوا عليه ظاهرا من الانقياد للشريعة وأمر الله تعالى ورسوله ووصية بأهل بيته. وقد صح من طرق العامة والخاصة أنهم لم يشتغلوا، بعد رجوعه (صلى الله وآله وسلم) إلى الحق، بدفنه واشتغلوا بنصب الخليفة، وعللوا ذلك بأنه لا يجوز بقاء الامة بعده بلا إمام طرفة عين، ولم يعلموا لجهلهم، أنه يلزمهم ذلك لبقاء الامة عندهم بلا إمام أكثر، وأنه يلزم أن يكونوا أعلم منه (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث لم يعلم أنه لا يجوز ذلك، ومضى بلا نصب إمام نفس المصدر السابق. (٤) (وانتكصوا على الادبار) النكوص الرجوع إلى وراء، هو القهقري، وبذلك قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلا في عهده (صلى الله عليه وآله وسلم) من الخير وصلاح أهلها، وأقبل منها ما كان مدبرا من الشرور التي أدبرت فيه وظهور الاسلام نفس المصدر السابق. (٥) (وطلبوا بالاوتار) كأنه إشارة إلى سبب انحرافهم عنه (عليه السلام)، وهو أنه جنى من كل قوم من العرب جنايات، وقتل منهم جماعة في الحرب، ذلك سببا لميلهم عنه نفس المصدر السابق. (٦) (وأظهروا الكتائب) جمع الكتيبة، وهي القطعة العظيمة من الجيش نفس المصدر السابق. (٧) (وردموا الباب) سدوه، وأراد به ذاته المقدسة، لانه باب الله، وباب

(٢٧٢/٣)

الشريعة، وباب مدينة العلم، والمراد بسده منع الناس من الرجوع إليه نفس المصدر السابق. (٨) (وفلوا الديار) أي كسروا دار الاسلام والشريعة وغلبوا على أهلها قهرا وعنوة. (٩) (وزعموا أن من

اختاروا) اعلم أن الاحايث المشتركة بين العامة والخاصة، وصريح كلام (*)

---

[٢٤٨]

بمقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ممن اختاره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لمقامه، وأن مهاجر آل أبي قحافة خير من المهاجر الانصاري الرباني، ناموس هاشم بن عبد مناف (١) (٢). علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن علي بن حماد، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: وقال: لاعداء الله أولياء الشيطان، أهل التكذيب والانكار " قل ما أسألكم عليه من أجروما أنا من المتكلفين " (٣) (٤) يقول: متكلفا أن أسألكم مالستم بأهله، فقال المنافقون عند ذلك بعضهم لبعض: أما يكفي محمدا أن يكون قهرنا عشرين سنة حتى يريد أن يحمل أهل بيته على رقابنا، فقالوا: ما أنزل الله هذا، وما هو إلا شئ يتقوله، يريد أن يرفع أهل بيته على رقابنا، ولئن قتل محمد أو مات لننز عنها من أهل بيته، ثم لا نعيدها فيهم أبدا (٥).

---

(١) علمائهم المشهورين، دلت على أنهم غصبوا الخلافة منه (عليه السلام) وظلموه، قال أبو عبد الله الابي في شرح مسلم: ونقل عن بعض أصحابه أيضا: أنه لم يكن بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أحد يماثله أو يدانيه ويقاربه في صفات كماله، وأنه كان في كل واحدة من صفات الكمال فائقا على جميع الامة، وأنه كان أولى باستحقاق الخلافة والامامة من الجميع، إلا أنه أجمعت الصحابة على أبي بكر، مع أنه ذكر في الشرح المذكور: أن كثيرا من الصحابة لم يبايعوا صاحبهم، وعدهم بأسمائهم. (١) (وأن مهاجر آل أبي قحافة إلى قوله: ناموس هاشم بن عبد مناف) المراد به ذاته المقدسة، الناموس صاحب سر الملك، والحاذق، وقيل: صاحب سرالخير. وفيه إشارة إلى مفاخر هاشم، وقد كان في حسن الظاهر والباطن والكرم والاخلاق والعلم والعفاف مشهورا في العرب نفس المصدر السابق، (٢) الكافي: ج ٨ ص ٢٩، خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وهي خطبة الوسيلة. (٣) ص: ٨٦. (٤) (قل ما أسألكم عليه من أجر) مطلقا حتى أجر المودة، لعدم قبولكم إياه. وهذا من باب نفي الشئ لانتفاء ثمرته (وما أنا من المتكلفين) الذين يتصنعون وينتحلون ما ليس لهم، (يقول: ما أنا متكلفا أن أسألكم مالستم بأهله) من أجر المودة، وإذا لم يكونوا من أهله، لم يكن (صلى الله عليه وآله وسلم) من أهل سؤاله عنهم، لانتفاء فائدته (فقالوا: وما هو إلا شئ يتقوله) في القاموس: تقول قولا: ابتدعه كذبا (من شرح روضة الكافي للعلامة المازندراني: ج ١٢ ص ٥٢١ ح ٥٧٤). (٥) الكافي: ج ٨ ص ٣٧٩ قطعة من ح ٥٧٤. (*)

(٢٧٤/٣)

واعلم أن فلانا وفلانا من أهل الانقلاب على الاعقاب بعد موت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) – لما رواه محمد بن يعقوب (رحمه الله)، عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عنهما ؟ فقال: يا أبا الفضل لا تسألني عنهما، فوالله ما مات منا ميت إلا ساخط عليهما، وما منا اليوم إلا ساخط عليهما يوصي بذلك الكبير منا الصغير، لانهما ظلمانا حقنا وضيعانا فيئنا، وكانا أول من ركب أعناقنا (١)، وفتقا علينا فتقا في الاسلام لا يسد أبدا حتى يفوم قائمنا ثم قال: أما والله لوقد قام قائمنا أو يتكلم (٢) متكلمنا، لابديا من امورهما ما كان يكتم (٣)، ولكتما من امورهما (٤) ما كان يظهر، والله ما أمست من بلية ولا قضية تجري علينا أهل البيت إلا هما سببا أولها، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (٥). وفي تفسير العياشي: عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه سئل عمن قتل، أمات ؟ قال: لا، الموت موت والقتل قتل، قيل: ما أحد يقتل إلا وقد مات، فقال: قول الله أصدق من قولك، فرق بينهما في القرآن، قال: " أفإن مات أو قتل " وقال " لئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون " (٦) وليس كما قلت: الموت والقتل قتل، قيل: فإن الله يقول: " كل نفس ذائقة الموت " (٧) قال: من قتل لم يذق الموت، ثم قال: لا بد من أن يرجع حتى يذوق الموت (٨).

(٢٧٥/٣)

---

(١) كناية عن التسلط والغلبة عليهم، وإيصال المكروه والشدة إليهم: مرآة العقول، شرح روضة الكافي: ص ٣٢٩ ح ٣٤٠. (٢) قوله: (أو يتكلم) لعل كلمة (أو) بمعنى الواو كما يدل عليه ذكره ثانيا بالواو. ويحتمل أن يكون الترديد من الراوي. أو يكون المراد بالقائم، الامام الثاني عشر (عليه السلام) كما هو المتبادر، وبالمتكلم من تصدى لذلك قبله (عليه السلام) منهم (عليهم السلام) نفس المصدر السابق (٣) قوله: (ما كان يكتم) على البناء للمفعول، أي من فسقهما وكفر هما وبدعهما نفس المصدر السابق. (٤) قوله: (ويكتم من امور هما) أي أظهر بطلان ما كان العامة من عدلهما وخلافتهما. أو أن بعض المنافقين إذا اعتقدوا ذلك كمتوها ولم يظهروها، خوفا منه نفس المصدر

السابق. (٥) الكافي: ج ٨ ص ٢٤٥ ح ٣٤٠. (٦ و ٧) آل عمران: ١٥٨ و ١٨٥ (٨) لم نعثر على حديث مرسل عن أبي جعفر (عليه السلام) بهذه الالفاظ في تفسير العياشي المطبوع، والاحاديث المنقولة فيه عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) بتفاوت في العبارات، لا حظ تفسير (*)

وعن زرارة قال: كرهت أن أسأل أبا جعفر (عليه السلام) عن الرجعة، واستخفيت ذلك، قلت: لا سألن مسألة لطيفة أبلغ فيها حاجتي فقلت: أخبرني عمن قتل، أمات ؟ قال: لا، الموت موت والقتل قتل، قلت: ما أحد يقتل إلا وقد مات، فقال: قول الله أصدق من قولك، فرق بينهما في القرآن، فقال: " أفان مات أو قتل " وقال: " ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون " وليس كما قلت يا زرارة: الموت موت والقتل قتل، قلت: فإن الله يقول: " كل نفس ذائقة الموت " قال: من قتل لم يذق الموت، قال: لابد من أن يرجع حتى يذوق الموت (١). ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا: من الضرر يسيرا بارتداده، بل يضر نفسه. وسيجزى الله الشكرين: كأمير المؤمنين (عليه السلام)، ومن يحذو حذوه، شكروا الله على نعمة الاسلام وتثبتوا عليها. في كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): بإسناده إلى الامام محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث طويل، وفيه خطبة الغدير. وفيها: معاشر الناس انذركم إني رسول الله إليكم قد خلت من قبلي الرسل أفإن مت أو قتلت انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا، وسيجزى الله الشاكرين، ألا وإن عليا هو الموصوف بالصبر والشكر ثم من بعده ولدي من صلبه (٢). وفيه: بإسناده قال علي (عليه السلام) في خطبة له: إن الله ذا الجلال والاكرام لما خلق الخلق واختار خيرة من خلقه، واصطفى صفوة من عباده وأرسل رسولا منهم، وأنزل عليه كتابه وشرع له دينه وفرض فرائضه، فكانت الجملة قول الله (جل

العياشي: ج ١ ص ٢٠٢ ح ١٦١ وص ٢١٠ ح ١٧٠. (١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٢ ح ١٦٠. (٢) الاحتجاج: ج ١ ص ٦٢ س ٣، احتجاج النبي (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير على الخلق كلهم وفي غيره من الايام بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومن بعده من ولده من الائمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين). (*)

[وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتبا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزي الشكرين (١٤٥)] ذكره) حيث أمر فقال: " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم " (١) فهو لنا أهل البيت خاصة دون غيرنا فانقلبتم على أعقابكم وارتددتم ونقضتم الامر ونكثتم العهد ولم تضروا الله شيئا (٢). وفي تفسير العياشي: عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: أتدرون مات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو قتل، إن الله يقول: " أفإن مات أو قتل انقلبتم عى أعقابكم " ثم قال: إنهما سقتاه قبل الموت، يعني الامرأتين لعنهما الله وأبويهما (٣). وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله: إلا بمشيئته، أو بإذنه لملك الموت في قبض روحها، لا يستأخر ساعة بالاحجام عن القتال، ولا يستقدم بالاقدام عليه. وفيه تحريض وتشجيع على القتال، ووعد للرسول بالحفظ وتأخير الاجل. كتابا: مصدر يفيد النوع، إذ المعنى: كتب الموت كتابا. مؤجلا صفة له، أي موقت لا يتقدم ولا يتأخر. ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها: تعريض بمن شغلته الغنائم يوم احد. ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزي الشكرين: الذين شكروا نعمة الله، فلم يشغلهم شئ الجهاد.

---

(١) النساء: ٥٩. (٢) الاحتجاج: ج ١ ص ١٦٠ س ٤ احتجاجه (عليه السلام) على الناكثين بيعته في خطبة خطبها حين نكثوها. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٠ ح ١٥٢. (*)

[وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصبرين (١٤٦) وما كان قولهم إلآ أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمر نا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكفرين (١٤٧)] في مجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام) أنه أصاب عليا (عليه السلام) يوم احد ستون جراحة، وأن النبي (صلى الله عليه وآله) أمر ام سلمة وام عطية

أن تداوياه، فقالتا: إنا لا نعالج منه مكانا إلا انفتق مكان، وقد خفنا عليه، ودخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون يعودونه، وهو قرحة واحدة، وجعل يمسحه بيده ويقول: إن رجلا لقي هذا في الله فقد ابلي واعذر، فكان القرح الذي يمسحه رسول الله (صلى الله عليه وآله) يلتئم، فقال علي (عليه السلام): الحمد لله إذ لم أفر ولم اول الدبر، فشكر الله له ذلك في موضعين من القرآن، وهو قوله: " سيجزي الله الشاكرين " " وسنجزي الشاكرين " (١). وكأين: قيل: أي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى (كم) والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس. وقرأ ابن كثير (كائن) ككامن. ووجهه أنه قلب، قلب الكلمة الواحدة، كقولهم: (وعملي) في (لعمري) فصار (كائن) ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف، ثم ابدلت الياء الاخرى ألفا كما ابدلت من طائي (٢).

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥١٥ في نقل المعنى لقوله تعالى: " وسنجزي الشاكرين ". (٢) من قوله: قيل إلى هنا من أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٥ لا حظ تفسيره لقوله تعالى: " وكأين من نبي قاتل معه " الآية. (*)

من نبى: بيان له. قتل معه ربيون كثير: ربانيون علماء أتقياء، وقيل: الجماعات. والربي منسوب إلى الربة، وهي الجماعة للمبالغة. وفي مجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام) الربيون عشرة آلاف (١). وفي تفسير العياشي: عن الصادق (عليه السلام) أنه قرأ: وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير، قال: الوف والوف ثم قال: أي والله يقتلون (٢). وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب (قتل) وإسناده إلى ربيون، أو ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول: أنه قرئ بالتشديد، وقرئ ربيون بالفتح على الاصل، وبالضم، وهي من تغييرات النسب كالكسر. فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله: فما فتروا، ولم ينكسر جدهم لما أصابهم من قتل النبي أو بعضهم. وما ضعفوا: عن العدو، أو في الدين. وما استكانوا: وما خضعوا للعدو. وأصل (استكن) من السكون، لان الخاضع يسكن لصاحبه، ليفعل به ما يريده، والالف من إشباع الفتحة، أو استكون من الكون، لانه يطلب من نفسه أن يكون لمن يخضع له. وهذا تعريض بما أصابهم عند الارجاف بقتله (عليه السلام). والله يحب الصبرين: فينصرهم ويعظم قدرهم. وما كان قولهم إلآ أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكفرين: أي وما كان قولهم من ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين، إلا هذا القول وهو إضافة الذنوب والاسراف إلى أنفسهم، هضما لها، وإضافة لما

أصابهم إلى سوء أعمالهم والاستغفار عنها، ثم طلب

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥١٧ في نقل المعنى لقوله تعالى: " وكأين من نبي " الآية. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠١ ح ١٥٤. (*)

[فاتهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين (١٤٨) يأيها الذين ءامنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقبكم فتنقلبوا خسرين (١٤٩)] التثبيت في مواطن الحرب والنصرة على العدو، ليكون عن خضوع وطهارة، فيكون أقرب إلى الاجابة. وإنما جعل قولهم خبرا، لان " ان قالوا " أعرف، لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث. فاتهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين: فأتاهم الله بسبب الاستغفار واللجوء إلى الله، النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا، والجنة والنعيم في الآخرة. وخص ثوابها بالحسن، إشعارا بفضله، وإنه المعتد به عنده. يأيها الذين ءامنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقبكم فتنقلبوا خسرين: في مجمع البيان: عن أمير المؤمنين (عليه السلام): نزلت في المنافقين إذ قالوا للمؤمنين يوم احد عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم، وارجعوا إلى دينكم (١). وقيل: عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم، فإنه سينجر إلى موافقتهم (٢).

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥١٨، في نقل شأن النزول في قوله تعالى: " يردوكم على أعقابكم " الآية. (٢) قاله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٦ عند تفسيره لقوله تعالى: " فتنقلبوا خاسرين ". (*)

[بل الله موالكم وهو خير النصرين (١٥٠) سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بمآ أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطنا ومأوهم النار وبئس مثوى الظلمين (١٥١)] بل الله مولكم: ناصر كم. وقرئ بالنصب على تقدير، بل أطيعوا الله مولاكم. وهو خير النصرين: فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره. سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب: يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب، ونادى أبو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل إن شئت فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): إن شاء الله (١). وقيل: لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق، ندموا وعزموا أن يعودوا عليهم، ليستأصلوهم فألقى الله الرعب في قلوبهم (٢). في مجمع البيان: عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): نصرت بالرعب مسيرة شهر (٣). وفي كتاب الخصال: عن أبي امامة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فضلت بأربع: نصرت بالرعب مسيرة شهر يسير بين يدي (٤).

---

(١) قاله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٦ عند تفسيره لقوله تعالى: " سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ". (٢) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٦ عند تفسيره لقوله تعالى: " سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ". (٣) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥١٩ عند تفسيره لقوله تعالى: " سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ". (٤) الخصال: ص ٢٠١ باب الاربعة، قول النبي فضلت بأربع، ح ١٤ ولفظ الحديث (قال رسول الله (*)

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اعطيت خمسا لم يعطها أحد قبلي، جعلت لي الارض مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب (١). عن جابر بن عبد الله، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حديث طويل يقول فيه (صلى الله عليه وآله): قال لي الله (جل جلاله): ونصرتك بالرعب الذي لم أنصربه أحدا قبلك (٢). وقرابن عامر والكسائي ويعقوب الرعب بضمتين على الاصل في كل القرآن. بما أشركوا بالله: بسبب اشراكهم به. ما لم ينزل به سلطنا: أي آلهة ليس على اشتراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطانا وهو كقوله: " ولا ترى الضب بها ينجحر (٣). وأصل السلطة القوة، ومنه السليط، لقوة اشتغاله، والسلاطة لحدة اللسان. ومأوهم النار وبئس مثوى الظلمين: أي مثواهم، فوضع الظاهر موضع المضمر، للتغليظ والتعليل. * * *

صلى الله عليه وآله): فضلت بأربع، جعلت لامتي الارض مسجدا وطهورا، وأيما رجل من امتي أراد الصلاة فلم يجد ماء ووجد الارض فقد جعلت له مسجدا وطهورا، ونصرت بالرعب مسيرة شهر يسير بين يدي، واحلت لامتي الغنائم، وارسلت إلى الناس كافة). (١) الخصال: ص ٢٩٢ باب الخمسة اعطى النبي (صلى الله عليه وآله) خمسا لم يعطها احد قبله، ح ٥٦ وتمام الحديث (واحل لى المغنم، واعطيت جوامع الكلم، واعطيت الشفاعة). (٢) الخصال: ص ٤٢٥ باب العشرة، أسماء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عشرة، ح ١ ص ١٩. (٣) لا تفزع الارنب أهوالها * ولا ترى الضب بها ينجحر. لا بن أحمر يقول: لا تخيف الارنب أهوال تلك الصحراء، أي لا هول فيها حتى يفزعه، ويجوز أن يكون المعنى: لا أرنب فيها تفزعه أهوالها، كما لا ضب فيها يدخل جحره فهما منفيان، (نقلا عن هامش الكشاف: ج ١ ص ٤٢٦). (*)

[ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنزعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أركم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين (١٥٢)] ولقد صدقكم الله وعده: أي وعده إياهم بالنصر، بشرط التقوى الصبر. وكان كذلك حتى خالف الرماة، فإن المشركين لما أقبلوا جعل الرماة ير شقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم. إذ تحسونهم بإذنه: تقتلونهم، من حسه، إذا أبطل حسه. حتى إذا فشلتم: جبنتم وضعف رأيكم، أو ملتم إلى الغنيمة، فإن الحرص من ضعف العقل. وتنزعتم في الامر: يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون، فقال بعضهم: فما موقفنا ههنا ؟ وقال الآخرون: لا نخالف أمرالرسول، فثبت مكانه أميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب، وهو المعنى بقوله: وعصيتم من بعد ما أركم ما تحبون: من الظفر والغنيمة وانهزام العدو. وجواب (إذا) محذوف، وهو امتحنكم. منكم من يريد الدنيا: وهم التاركون المركز للغنيمة. ومنكم من يريد الاخرة: وهم التائبون، محافظة على أمر الرسول. وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: " حتى إذا فشلتم وتازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا " يعنى أصحاب عبد الله بن جبير الذين

[* إذ تصعدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم في أخركم فأثبكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصبكم والله خبير بما تعملون (١٥٣)] تركوا مراكزهم ومروا للغنيمة قوله: " ومنكم من يريد الآخرة " يعني عبد الله بن جبير وأصحابه الذين بقوا حتى قتلوا (١). ثم صرفكم عنهم: ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم. ليبتليكم: على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها. ولقد عفا عنكم: تفضلا، ولما علم من ندمكم على المخالفة. والله ذو فضل على المؤمنين: بتفضله عليهم بالعفو، أو في الاحوال كلها، سواء اديل لهم أو عليهم، إذ الابتلاء أيضا رحمة. إذ تصعدون: متعلق بـ " صرفكم " أو " يبتليكم " أو بمقدر كما ذكر. الاصعاد، الذهاب والابعاد في الارض، يقال: أصعدنا من مكة إلى المدينة. ولا تلون على أحد: لا يقف أحد لاحد ولا ينتظره. والرسول يدعوكم: كان بقول: إلي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة. في أخركم: في ساقتكم وجماعتكم الاخرى. فأثبكم غما بغم: فجازاكم الله عن فشكم وعصيانكم غما متصلا بغم. في تفسير علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: فأما الغم الاول فالهزيمة والقتل، والغم الآخر فإشراف خالد بن الوليد

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٠، عند تفسيره لقوله تعالى: " حتى إذا فشلتم وتازعتم ". (*)

عليهم (١) لكيلا تحزنوا على ما فاتكم: من الغنيمة. ولا ما أصبكم: من قتل إخوانكم. وقيل: (لا) مزيدة. والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة، وعلى ما أصابكم من الجرح والهزيمة، عقوبة لكم (٢). وقيل: الضمير في " فأثابكم " للرسول، أي فاساكم في الاغتمام، فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر، ولا على ما أصابكم من الهزيمة (٣). والله خبير بما تعملون: عالم بأعمالكم وبما قصدتم بها. وفي تفسير علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام): " لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة " " ولا - على - ما أصابكم " يعني قتل اخوانكم " والله

خبير بما تعلمون " (٤). * * *

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٠ عند تفسيره لقوله تعالى: " فأثابكم غما بغم ". (٢ و ٣) قالهما في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٧ عند تفسيره لقوله تعالى: " لكي لا تحزنوا ". (٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٠ عند تفسيره لقوله تعالى: " لكي لا تخزنوا على ما فاتكم ". (*)

[ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجهلية يقولون هل لنا من الامر من شئ قل إن الامر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلى الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور (١٥٤)] ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنه نعاسا: أنزل الله عليكم الامن حتى أخذكم النعاس. وعن أبي طلحة: غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد أحدنا، فيأخذه، ثم يسقط فيأخذه (١). و " الا منة " الامن، نصب على المعفول، و " نعاسا " بدل منها، أو هو المفعول، و " أمنة " حال منه متقدمة، أو مفعول له، أو حال من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة، أو على أنه جمع آمن كبار وبررة. وقرئ " أمنة " بسكون الميم، كأنها المرة من الامن. وفي تفسير العياشي: عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله (عليه السلام)

---

(١) رواه في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٨٧ عند تفسيره لقوله تعالى: " ثم أنزل عليكم من بعد الغم ". (*)

وذكر يوم احد: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كسرت رباعيته وإن الناس ولوا مصعدين في الوادي والرسول يدعوهم في اخراهم وأثابهم غما بغم ثم انزل عليهم النعاس، فقلت: النعاس ما هو ؟ قال: الهم، فلما إستيقظوا قالوا كفرنا (١). والحديث طويل اخذت منه موضع الحاجة. يغشى طائفة منكم: أي النعاس. وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة. والطائفة، المؤمنون حقا. وطائفة هم المنافقون. قد أهمتهم أنفسهم: أو قعتهم أنفسهم في الهموم، أو ما يهمهم إلا هم أنفسهم وطلب خلاصها. يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية: صفة اخرى لطائفة، أو حال، أو استئناف على وجه البيان لما قبله. و " غير الحق " نصب على المصدر، أي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق أن يظن به، و " ظن الجاهلية " بدله، وهو الظن المختص بالملة الجاهلية وأهلها. يقولون: أي لرسول الله، وهو بدل من " يظنون ". هل لنا من الامر من شئ: هل لنا مما أمر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط. وقيل: أخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج، فقال ذلك، والمعنى إنا منعنا تدبير أنفسنا وتصريفها باختيارنا، فلم يبق لنا من الامر شئ، أو هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شئ ؟ قل إن الامر كله لله: أي الغلبة الحقيقية لله تعالى وأوليائه " فإن حزب الله هم الغلبون " (٢)، أو القضاء له يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد وهو اعتراض.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠١ ح ١٥٥. (٢) المائدة: ٥٦. (*)

(٢٨٨/٣)

وقرأ أبو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء. يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك: حال من ضمير (يقولون) أي يقولون: مظهرين أنهم مستر شدون طالبون للنصر، مبطنين الانكار والتكذيب. يقولون: أي في أنفسهم، وإذا خلا بعضهم إلى بعض. وهو بدل من " يخفون " أو استئناف على وجه البيان له. لو كان لنا من الامر شئ: كما وعد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وزعم متوصلا أن الامر كله لله تعالى ولاوليائه، أو لو كان لنااختيار وتدبير لم نبرح، كما كان رأي ابن ابي وغيره. ما قتلنا ههنا: لما غلبنا، أو لما قتل من قبل منا في هذه المعركة. قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم: أي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتبه في اللوح المحفوظ إلى مصارعهم ولم تنفعهم الاقامة بالمدينة، ولم ينج منهم أحد، فإنه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه، لا معقب لحكمه. وليبتلى الله ما في صدوركم: وليمتحن ما في صدور كم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق، وهو علة فعل محذوف، أي وفعل ذلك ليبتلي، أو عطف على محذوف، أي لبرز

لنفاذ القضاء، أو لمصالح جمة وللابتلاء، أو على قوله: " لكيلا تحزنوا ". وليمخص ما في قلوبكم: وليكشفه ويميزه، أو يخلصه عن الوساوس. والله عليم بذات الصدور: بخفياتها قبل إظهارها. وفيه وعد ووعيد وتنبيه على أنه غني عن الابتلاء، وإنما فعل ذلك لتمرين المؤمنين وإظهار حال المنافقين (١).

---

(١) انظر ص ٢٥٩ - ٢٦٠ الهامش ١، ٢، ٤، والى هنا نقلها من تفسير البيضاوي حرفا بحرف. (*)

[إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطن ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم (١٥٥) يأيها الذين ءامنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخونهم إذا ضربوا في الارض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ما توا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحى ويميت والله بما تعملون بصير (١٥٦)] إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان: انهزموا يوم احد، والجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين. إنما استز لهم الشيطن: حملهم على الزلة. ببعض ما كسبوا: من معصيتهم النبي (صلى الله عليه وآله) بترك المركز والحرص على الغنيمة وغير ذلك، فمنعوا التأييد وقوة القلب. وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: " ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان " أي خذلهم حتى طلبوا الغنيمة " ببعض ما كسبوا " قال بذنوبهم (١). وفي تفسير العياشي: عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، عن أحد هما (عليهما السلام) في قوله: " إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا " فهو عقبة بن عثمان وعثمان بن سعد (٢). عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله (عليه السلام): هم أصحاب العقبة (٣).

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢١ عند تفسيره لقوله تعالى: " ان الذين تولوا منكم ". (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠١ ح ١٥٦. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠١ ح ١٥٨. (*)

ولقد عفا الله عنهم: لتوبتهم واعتذارهم. إن الله غفور: للذنوب. حليم: لا يعاجل بعقوبة المذنب، كي يتوب يأيها الذين ءامنوا لا تكونوا كالذين كفروا: يعني المنافقين. وقالوا لاخونهم: لاجلهم وفيهم. ومعنى إخوتهم اتفاقهم في النسب أو المذهب. إذا ضربوا في الارض: إذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها. وكان حقه (إذ) لقوله: " قالوا " لكنه جاء على حكاية الحال الماضية. أو كانوا غزى: جمع غاز، كعاف وعفى. لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا: معفول " قالوا " وهو يدل على أن إخوانهم لم يكونوا مخاطبين به. ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم: متعلق بـ " قالوا " على أن اللام لام العاقبة، مثلها في " ليكون لهم عدوا وحزنا " (١) أو لا تكونوا أي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة، فذلك إشارة إلى مادل عليه قولهم من الاعتقاد. وقيل: إلى مادل عليه النهي، أي لا تكونوا مثلهم، ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم، فإن مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم. والله يحى ويميت: رد لقولهم، أي هو المؤثر في الحياة والممات، لا الاقامة والسفر، فإنه تعالى قد يحيى المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد. والله بما تعملون بصير: تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء، على أنه وعيد للذين كفروا.

---

(١) القصص: ٨. (*)

ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون (١٥٧)] ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم: أي متم في سبيله. وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات. لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون: جواب القسم، وهو ساد مسد الجزاء. والمعنى: أن السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وإن وقع ذلك في سبيل الله، فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا. وفي تفسير العياشي: عن عبد الله بن المغيرة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سئل عن قول الله: " ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم " قال: أتدري يا جابر ما سبيل الله ؟ فقلت: لا والله إلا أن أسمعه منك، قال: سبيل الله علي وذريته، فمن قتل في ولايته قتل في سبيل الله، ومن مات في ولايته مات في سبيل الله (١). وفي كتاب معاني الاخبار: أبي (رحمه الله) قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن

سنان، عن عمار بن مروان، عن المنخل (٢)، عن

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٢ ح ١٦٢ وسند الحديث (عن عبد الله بن المغيرة، عمن حدثه، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام)، وتمام الحديث (ليس من يؤمن من هذه الامة إلا وله قتلة وميتة، قال: إنه من قتل ينشر حتى يموت ومن مات ينشر حتى يقتل). (٢) المنخل بن جميل الاسدي بياع الجواري الكوفي: الضبط، المنخل بضم الميم وفتح النون وفتح الخاء المعجمة المشددة بعدها اللام قاله في الخلاصة والايضاح وزاد في الثاني قوله: وقيل: بسكون النون وضم الخاء، قلت: بفتح النون وكسر الخاء المشددة، وقال النجاشي: منخل بن جميل الاسدي بياع الجواري ضعيف فاسد الرواية، روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) له كتاب التفسير، وقال ابن الغضائري: ضعيف في مذهبه غلو، ولكن المحقق الوحيد (رحمه الله) بنى على (*)

[ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون (١٥٨) فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين (١٥٩)] جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن هذه الآية في قول الله (عز وجل): " ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم " قال: فقال: أتدري ما سبيل الله ؟ قال: قلت: لا والله إلا أن أسمعه منك، قال: سبيل الله علي (عليه السلام) وذريته، وسبيل الله من قتل في ولايته قتل في سبيل الله، ومن مات في ولايته مات في سبيل الله (١). وقرأ حفص بالياء. ولئن متم أو قتلتم: على أي وجه اتفق هلاككم. لالى الله تحشرون: لا إلى معبودكم الذي توجهتم إليه وبذلتم مهجكم لاجله، لا إلى غيره، لا محالة تحشرون، فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم. وقرأ نافع وحمزة والكسائي " متم " بالكسر. فبما رحمة من الله لنت لهم: أي فبرحمة، و " ما " مزيدة للتأكيد والدلالة على أن لينه لهم، ما كان إلا برحمة من الله، وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم، حتى اغتم بعد أن خالفوه. ولو كنت فظا: سيئ الخلق جافيا. (*)

المناقشة في ذلك فقال: الظاهر أن رميهم إياه بالغلو لروايته الروايات الدالة عليه على زعمهم وفي ثبوت الضعف بذلك تأمل (تلخيص من تنقيح المقال: ج ٣ ص ٢٤٧ تحت رقم ١٢١٣٥. (١) معاني الاخبار: ص ١٦٧ باب معنى سبيل الله، ح ١. (*)

(٢٩٣/٣)

غليظ القلب: قاسية. لا نفضوا من حولك: لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك. فاعف عنهم: فيما يختص بك. واستغفر لهم: فيما لله. وفي تفسير العياشي: عن صفوان قال: استأذنت لمحمد بن خالد، عن الرضا أبي الحسن (عليه السلام) وأخبرته أنه ليس يقول بهذا القول، وأنه قال: والله لا اريد بلقائه إلا لانتهي إلى قوله، فقال: ادخله، فدخل فقال له: جعلت فداك أنه كان فرط مني شئ، وأسرفت على نفسي – وكان فيما يزعمون أنه كان، بعينه فقأ وأن أستغفر الله مما كان مني، فأحب أن تقبل عذري وتغفر لي ما كان مني ؟ فقال: نعم أقبل، إن لم أقبل كان ابطال ما يقول هذا وأصحابه – وأشار إلي بيده – ومصداق ما يقول الآخرون، يعني المخالفين، قال الله لنبيه (عليه وآله السلام): " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر " ثم سأله عن أبيه، فأخبره أنه قد مضى واستغفر له (١). وشاورهم في الامر: في أمر الحرب، إذ الكلام فيه، أو فيما يصح أن يشاور فيه، استظهارا برأيهم، وتطييبا لنفوسهم، وتمهيدا لسنة المشاورة للامة. وفي نهج البلاغة قال (عليه السلام): من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها (٢). وفيه قال (عليه السلام): والاستشارة من الهداية فقد خاطر من استغنى برأيه (٣). وفي كتاب التوحيد: بإسناده إلى أبي البختري، عن جعفر بن محمد، عن أبيه،

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٣ ح ١٦٣. (٢) نهج البلاغة: ص ٥٠٠ باب المختار من حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) تحت رقم ١٦١ صبحي الصالح. (٣) نهج البلاغة: ص ٥٠٦ باب المختار من حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) قطعة من رقم ٢١١ صبحي الصالح. (*)

(٢٩٤/٣)

عن جده، عن علي (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله)، حديث طويل، وفيه: لا وحدة أو حش من العجب، ولا مظاهرة أو ثق من المشاورة (١). وفي كتاب الخصال: عن محمد بن آدم،

عن أبيه بإسناده قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي لا تشاورن جبانا فإنه يضيق عليك المخرج، ولا تشاورن البخيل يقصر بك عن غايتك، ولا تشاورن حريصا فإنه يزين لك شرها (٢). وفيه: في الحقوق المروية عن علي بن الحسين (عليهما السلام): وحق المستشير إن علمت أن له رأيا أشرت عليه، وإن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم، وحق المشير عليك أن لا تتهمه فيما لا يوافقك من رأيه، فإن وافقك حمدت الله (٣). وعن سفيان الثوري قال: لقيت الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) فقلت له: يابن رسول الله أوصني فقال لي: يا سفيان لا مروة للكذوب، إلى قوله: وشاور في أمرك الذين يخشون الله (٤). فإذا عزمت: إذا وطنت نفسك على شئ بعد الشورى. فتوكل على الله: في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك، فإنه لا يعلمه، سواه. وقرئ: فإذا عزمت على التكلم، أي فإذا عزمت لك على شئ وعينته لك، فتوكل علي ولا تشاور فيه أحدا. إن الله يحب المتوكلين: فينصرهم ويهديهم إلى الصلاح. وفي تفسير العياشي: أحمد بن محمد، عن علي بن مهزيار قال: كتب إلي أبو

---

(١) التوحيد: ص ٣٧٦ باب القضاء والقدر والفتنة والارزاق والاسعار والآجال ح ٢٠ س ٢. (٢) الخصال: ص ١٠١ باب الثلاثة، النهي عن مشاورة ثلاثة، ح ٥٧. (٣) الخصال: من ص ٥٧٠ أبواب الخمسين وما فوقه، ح ١. (٤) الخصال: ص ١٦٩ أبواب الثلاثة، أمر الباقر (عليه السلام) ابنه الصادق (عليه السلام) بثلاث ونهاه عن ثلاث، ح ٢٢٢. (*)

[إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٦٠)] جعفر (عليه السلام) أن سل فلانا أن يشير علي ويتخير لنفسه (١)، فهو يعلم ما يجوز في بلده وكيف يعامل السلاطين، فإن المشورة مباركة قال الله لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) في محكم كتابه: " فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين " فإن كان ما يقول مما يجوز، كنت أصوب لرأيه، وإن كان غير ذلك رجوت أن أضعه على الطريق الواضح إن شاء الله. وشاورهم في الامر، قال: يعني الاستخارة (٢). إن ينصركم الله فلا غالب لكم: فلا أحد يغلبكم. وإن يخذ لكم: كما خذلكم يوم احد. فمن ذا الذى ينصركم من بعده: من بعد خذلانه، أو من بعد الله، بمعنى إذا جاوز تموه فلا ناصر لكم. وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل، وتحريض على ما يستحق به النصر من الله، وتحذير عما يستجلب خذلانه.

وفي كتاب التوحيد: بإسناده إلى عبد الله بن الفضل الهاشمي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) – حديث طويل – يقول فيه: فقلت: قوله (عز وجل): " وما توفيقي إلا

---

(١) لعل المراد من قوله (عليه السلام) (يشير علي) أي سله يظهر لي ما عنده من مصلحتي في أمر كذا (ويتخير لنفسه) أي يتخير لي تخيرا كتخيره لنفسه، كما هو شأن الاخ المحب المحبوب الذي يخشى الله تعالى (كذا في هامش تفسير العياشي) وكذا أيضا في هامش بحار الانوار مع زيادة قوله: لفظ الحديث اضطراب، (لا حظ البحارط بيروت ج ٧٢ ص ١٠٣ باب المشورة وفبولها ح ٣٤). تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٤ ح ١٤٧. (*)

[وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون (١٦١) أفمن اتبع رضون الله كمن بآء بسخط من الله ومأوه جهنم وبئس المصير (١٦٢)] بالله " (١) وقوله (عز وجل): " إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده " فقال: إذا فعل العبد ما أمره الله (عز وجل) به من الطاعة، كان فعله وفقا لامر الله (عز وجل)، سمي العبد به موفقا. وإذا أراد العبد أن يدخل في شئ من معاصي الله، فحال الله (تبارك وتعالى) بينه وبين تلك المعصية، فتركها كان تركها بتوفيق الله (تعالى ذكره). ومتى خلى بينه وبين المعصية فلم يحل بينه وبينها حتى يرتكبها فقد خذله ولم ينصره ولم يوفقه (٢). وعلى الله فليتوكل المؤمنون: فليخصوه بالتوكل عليه، لما علموا أن لا ناصر سواه، وآمنوا به. وما كان لنبى أن يغل: وما صح لنبي أن يخون في الغنائم، فإن النبوة تنافي الخيانة. يقال: غل شيئا من المغنم يغل غلولا، وأغل أغلالا، إذا أخذه في خفية. والمراد منه براءة الرسول (صلى الله عليه وآله) عما اتهم به. وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب " ان يغل " على البناء للمفعول، والمعنى: وما صح له أن يوجد غالا، أو أن ينسب إلى الغلول. في تفسير علي بن إبراهيم، إن سبب نزولها أنه كان في الغنيمة التي أصابوها يوم

---

(١) هود: ٨٨. (٢) التوحيد: ص ٢٤٢ باب تفسير الهدى والضلالة والتوفيق والخذلان من الله تعالى ح ١ س ١. (*)

(٢٩٧/٣)

بدر، قطيفة حمراء، ففقدت، فقال رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): مالنا لا نرى القطيفة ؟ لا أظن إلا رسول الله أخذها، فأنزل الله في ذلك " وما كان لنبي أن يغل " الآية، فجاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: إن فلانا غل قطيفة، فأخبأها هنالك فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحفر ذلك الموضع، فأخرج القطيفة (١). ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة: أي يأتي بما غل من النار يوم القيامة، أي يجعل ما غل في النار ويكلف بأن يخرجه منها. كما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره: عن أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله: " وما كان لنبي أن يغل " قال: فصدق الله لم يكن الله ليجعل نبيا غالا " ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة " من غل شيئا رآه يوم القيامة في النار، ثم يكلف أن يدخل إليه فيخرجه من النار (٢). وفي أمالي الصدوق (رحمه الله): بإسناده إلى الصادق (عليه السلام)، - حديث طويل - يقول فيه: إن رضا الناس لا يملك وألسنتهم لا تضبط، ألم ينسبوه بوم بدر إلى أنه أخذ لنفسه من المغنم قطيفة حمراء، حتى أظهره الله على القطيفة، وبرأ نبيه (صلى الله عليه وآله) من الخيانة، وأنزل في كتابه " وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأتي بما غل يوم القيامة " (٣). ثم توفى كل نفس ما كسبت: تعطى جزاء ما كسبت وافيا. وكان الظاهر أن يقال: ثم يوفى ما كسب، لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه، فإنه إذا كان كل كاسب مجزيا بعمله، فالغال مع عظم جرمه أولى. وهم لا يظلمون: فلا ينقص ثواب مطيعهم، ولا يزاد عقاب عاصيهم.

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٦ في تفسيره لقوله تعالى: " وما كان لنبي أن يغل ". (٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٢ في تفسيره لقوله تعالى: " ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ". (٣) الامالي للصدوق: ص ٩٢ المجلس الثاني والعشرون ح ٣، والحديث طويل جدا. (*)

(٢٩٨/٣)

[هم درجت عند الله والله بصير بما يعملون (١٦٣) لقد من الله على المؤمنين إذ بعث رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم ءايته ويزكيهم ويعلمهم الكتب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلل مبين (١٦٤)] أفمن اتبع رضون الله: بالطاعة، إنكار للتسوية. كمن بآء: رجع. بسخط من الله: بسبب المعاصي. ومأوه جهنم وبئس المصير: والفرق بينه وبين المرجع، أن المصير يجب أن يخالف الحالة الاولى، ولا كذلك المرجع. هم درجت عند الله: قيل: شبهوا بالدرجات، لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب، أوهم ذو درجات (١). وقيل: يحتمل أن يكون تشبيهم بالدرجات في أنهم وسائل الصعود إلى الله، والهبوط من قربه إلى أسفل السافلين. ولا يخفى ما في هذه التوجيهات من التكلف.

والصواب أن ضمير (هم) راجع إلى من اتبع، والمراد منهم الائمة، وهم درجات عند الله لمن اتبعهم من المؤمنين وأسباب لرفعتهم عند الله. وفي تفسير العياشي: عن عمار بن مروان قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قوله الله: " أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير " ؟ فقال: " الذين اتبعوا رضوان الله " هم الائمة، وهم والله درجات عند الله للمؤمنين، وبولايتهم ومعرفتهم إيانا يضاعف الله لهم أعمالهم ويرفع الله لهم

---

(١) انوار التنزيل: ج ١ ص ١٩٠ في تفسيره لآية ١٦٢ من سورة آل عمران. (*)

الدرجات العلى. وأما قوله: يا عمار " كمن باء بسخط من الله " إلى قوله: " المصير " فهم والله الذين جحدوا حق علي بن أبي طالب وحق الائمة منا أهل البيت، فباؤ وا بذلك بسخط من الله (١). وعن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أنه ذكر قول الله: " هم درجات عند الله " قال: الدرجة ما بين السماء والارض (٢). وفي اصول الكافي: علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن هشام، عن عمار الساباطي قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله (عز وجل) عن هذه الآية فقال: " الذين اتبعوا رضوان الله " هم الائمة (٣)، وهم والله يا عمار درجات للمؤمنين، وبولايتهم ومعرفتهم إيانا يضاعف الله لهم أعمالهم، ويرفع الله لهم الدرجات العلى (٤). وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثنا أحمد بن محمد، عن المعلى بن محمد، عن علي ابن محمد، عن بكر بن صالح، عن جعفر بن يحيى، عن علي بن النضر، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، حديث طويل يذكر فيه لقمان ووعظه لابنه، وفيه: من اتبع أمره استوجب جنته ومرضاته، ومن لم يتبع رضوان الله

فقد هان عليه سخطه، نعوذ بالله من سخط الله (٥).

(٣٠٠/٣)

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٥ ح ١٤٩ بزيادة ونقصان في بعض الجمل. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٥ ح ١٥٠. (٣) قوله: (هم الائمة) الظاهر أن الضمير راجع إلى الذين اتبعوا، ويحتمل أن يكون راجعا إلى رضوان الله وإطلاقه على الائمة مجاز من باب إطلاق المسبب على السبب، لانهم سبب لرضوان الله تعالى، قوله: " وهم والله يا عمار درجات للمؤمنين " الحمل للمبالغة، أو التقدير، ذو درجات، باعتبار تفاوت مقامات المؤمنين بهم بالنسبة إليهم في المحبة والطاعة والعلم والعمل. قوله: " يضاعف الله لهم أعمالهم " على حسب أحوالهم فيما ذكر، وكذلك قوله: " يرفع الله لهم الدرجات العلى " (شرح الكافي للعلامة المازندراني: ج ٧ ص ١٠١ كتاب الحجة. (٤) الكافي: ج ١ ص ٤٣٠ كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح ٨٤. (٥) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص ١٦٥ س ٥ وسند الحديث ص ١٦١ وفيه (الحسين بن محمد) بدل (أحمد بن محمد). (*)

(٣٠١/٣)

[أو لما أصبتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أن هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شئ قدير (١٦٥)] والله بصير بما يعملون: عالم بأعمالهم، فيجازيهم على حسبها. لقد من الله: أنعم الله، واللام موطئة للقسم. وقرئ بـ (من) الجارة على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي منه، أو بعثه. على المؤمنين على الذين آمنوا مع الرسول. وتخصيصهم، مع أن نعمة البعثة عامة، لزيادة انتفاعهم بها. إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم: من نسبهم، أو من صنفهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة، ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به. وقرئ " من أنفسهم " أي من أشرفهم، لانه (عليه السلام) كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم. يتلوا عليهم ءايته: أي القرآن، بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي. ويزكيهم: ويطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد والاعمال. ويعلمهم الكتب والحكمة: القرآن والسنة. وإن كانوا من قبل لفى ضلل مبين: " إن " هي المخففة، واللام هي

الفارقة. والمعنى، وإن الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر. أو لما أصبتكم مصيبة قد أصبتم مثليها: الهمزة للتقرير والتقريع، والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد، أو على محذوف، أي فعلتم كذا وقلتم كذا، و " لما " ظرفه المضاف إلى " أصابتكم " أي حين أصابتكم مصيبة، وهي قتل سبعين منكم يوم احد، والحال أنكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين. (*)

قلتم أنى هذا: أي من أين أصابنا هذا، وقد عدنا الله النصر (١). وفي تفسير العياشي: محمد بن أبي حمزة، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان المسلمون قد أصابوا ببدر مائة وأربعين رجلا، قتلوا سبعين رجلا وأسروا سبعين، فلما كان يوم احد اصيب من المسلمين سبعون رجلا، قال: فاغتموا لذلك، فأنزل الله (تبارك وتعالى): " أو لما " الآية (٢). قل هو من عند أنفسكم: باختياركم الفداء يوم بدر، كذا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) رواه في مجمع البيان (٣). وفي تفسير علي بن إبراهيم: ان يوم بدر قتل من قريش سبعون واسر منهم سبعون، وكان الحكم في الاسارى يوم بدر القتل، فقامت الانصار، فقالوا: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هبهم لنا ولا تقتلهم حتى نفاديهم، فنزل جبرئيل (عليه السلام) فقال: إن الله قد أباح لهم الفداء أن يأخذوا من هؤلاء القوم ويطلقوهم على أن يستشهد منهم في عام قابل بعدد من يأخذون منه الفداء، فأخبرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الشرط، فقالوا: قد رضينا به، نأخذ العام الفداء عن هؤلاء ونتقوى به، ويقتل منا في عام قابل بعدد من نأخذ منه الفداء، وندخل الجنة، فأخذوا منهم الفداء وأطلقوهم، فلما كان يوم احد قتل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سبعون، فقالوا: يا رسول الله ما هذا الذي أصابنا وقد كنت تعدنا النصر ؟ فأنزل الله " أو لما أصابتكم " الآية " قل هو من عند أنفسكم " بما اشترطتم يوم بدر (٤). قال البيضاوي: أي مما اقترفته أنفسكم من مخالفة الامر، بترك المركز، فإن

---

(١) من قوله: (وتخصيصهم) إلى هنا مقتبس من أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): لا حظ ج ١ ص ١٩٠ في تفسيره لقوله تعالى: " لقد من الله على المؤمنين ". (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٥ ح ١٥١. (٣) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٣٣ في تفسيره لقوله تعالى: " أو لما أصابتكم " ورواه أيضا في أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١ ص ١٩١ عن علي (عليه السلام) لا حظ تفسيره للآية. (٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٦ عند تفسيره لقوله تعالى: " أو لما أصابتكم مصيبة " الآية. (*)

---

[٢٧٦]

[وما أصبكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين (١٦٦) وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لا تبعنكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمن يقولون بأفوههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون (١٦٧)] الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة، أو اختيار الخروج من المدينة (١). والاول مخالف للنص، والثاني لعدم الرد على اختيار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). إن الله على كل شئ قدير: فيقدر على النصر ومنعه، وعلى أن يصيب بكم ويصيب منكم. وما أصبكم: من القتل. يوم التقى الجمعان: يوم احد، والجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين. فبإذن الله): فهو كائن بتخلية الكفار، وسماها إذنا مجازا مرسلا، لانها من لوازمه، ليفى بما شرطتم يوم بدر حين اختياركم. وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا: وليتميز المؤمنون والمنافقون، فيظهر إيمان هؤلاء بالصبر ونفاق هؤلاء بإظهار طلب وعد النصر والاعراض عن الاشتراط. وفي إيراد أحد المفعولين بما يدل على الحدوث، دون الآخر، مدح للمؤمنين بالثبات على الايمان والمنافقين بعدمه. وقيل لهم: عطف على " نافقوا " داخل الصلة، أو كلام مبتدأ.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٩١ عند تفسيره لقوله تعالى: " قل هو من عند أنفسكم ". (*)

---

[٢٧٧]

تعالوا قتلوا في سبيل الله أو ادفعوا: تقسيم للامر عليهم وتخيير بين أن يقاتلوا للآخرة، أو للدفع عن الانفس والاموال. أو معناه: قاتلوا الكفرة، أو ادفعوهم بتكثير سواد المجاهدين، فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه. قالوا لو نعلم قتالا لا تبعنكم: أي لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا، لا

تبعناكم فيه، لكن ما أنتم عليه ليس بقتال، بل إلقاء بالانفس إلى التهلكة، أو لو نحسن قتالا لا تبعناكم، قالوا ذلك دغلا واستهزاء (١). هم للكفر يومئذ: أي يوم إذ قالوا ذلك، أو يوم إذ قام القتال وأحسوا به. أقرب منهم للايمن: قيل: لا نخزالهم وكلامهم هذا، فإنهما أول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم، وقيل: هم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان، إذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين، والاولى الحمل على ما يشمل المعنيين، أي هم لتقوية الكفر، أي كفرهم وكفر من شاركهم فيه، أقرب منهم لتقوية الايمان، لان ما ظهر منهم يدل على كفرهم، وتقوية للكافرين، وتخذيل للمؤمنين. يقولون بأفوههم ما ليس في قلوبهم: يظهرون خلاف ما يضمرونه. وإضافة القول إلى أفواههم تأكيد. وإضافة القول إلى أفواههم تأكيد. والله أعلم بما يكتمون: من النفاق وما يخلو به بعضهم إلى بعض، فإنه يعلمه مفصلا بعلم واجب، وأنتم تعلمون مجملا با مارات. وفي مصباح الشريعة: عن الصادق (عليه السلام) في كلام له: ومن ضعف يقينه تعلق بالاسباب، ورخص لنفسه بذلك واتبع العادات وأقاويل الناس بغير حقيقة، والسعي في امور الدنيا وجمعها وإمساكها: يقر باللسان أنه لا مانع ولا معطي إلا الله، وأن العبد لا يصيب إلا ما رزق وقسم له، والجهد لا يزيد في الرزق، وينكر ذلك بفعله وقلبه، قال الله تعالى: " يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما

---

(١) من قوله: (عطف على نافقوا) إلى هنا مقتبس من تفسير (البيضاوي): ج ١ ص ١٩١، فلا حظ. (*)

[الذين قالوا لاخونهم وقعدوا لو أطا عونا قتلوا قل فادرء واعن أنفسكم الموت إن كنتم صدقين (١٦٨) ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموتا بل أحياء عند ربهم يرزقون (١٦٩)] يكتمون " (١) الذين قالوا: مرفوع، بدل من واو يكتمون، أو منصوب على الذم، أو الوصف للذين " نافقوا " أو مجرور بدل من الضمير في " بأفواههم " أو " قلوبهم ". لاخونهم: لاجلهم، يريد من قتل يوم احد من أقاربهم، أو من جنسهم: وقعدوا: حال مقدر بـ " قد " أي قالوا: قاعدين عن القتال. لو أطاعونا: في العقود. ما قتلوا: كما لم نقتل. وقرأ هشام: ما قتلوا بالتشديد. قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صدقين: في أنكم تقدرون على دفع القتل وأسبابه ممن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت وأسبابه، فإنه أحرى بكم. والمعنى أن القعود غير مغن، فإن أسباب الموت كثيرة، كما أن القتال يكون سببا

للهلاك والقعود سببا للنجاة، قد يكون الامر بالعكس، فإنه قد يدفع بالقتال العدو، فينجو، وبالقعود يصير العدو جريئا فيغلب عليه فيهلك. ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموتا: في مجمع البيان: قيل: نزلت في شهداء بدر كانوا أربعة عشر رجلا، ثمانية من الانصار وستة من المهاجرين، وقيل: نزلت في شهداء احد وكانوا سبعين رجلا،

---

(١) مصباح الشريعة: ص ٦٠، الباب السابع والثمانون في اليقين س ٦. (*)

أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش، وسائرهم من الانصار. وقال الباقر وكثير من المفسرين: إنما تتناول قتلى بدر واحد معا (١). والخطاب لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو لكل أحد. وقرأ هشام: بالتاء كالباقين، وبالياء أيضا على اسناده إلى ضمير رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو من يحسب، أو إلى الذين قتلوا، والمفعول الاول محذوف، لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة. وقرأ ابن عامر: " قتلوا " بالتشديد، لكثرة المقتولين. بل أحياء: أي بل هم أحياء، وقرئ بالنصب بل أحسبهم أحياء. عند ربهم: ذو وزلفى منه. وفي تفسير العياشي: عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: أتى رجل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: إني راغب نشيط في الجهاد قال: فجاهد في سبيل الله، فإنك إن تقتل كنت حيا عند الله ترزق، وإن مت فقد وقع أجرك على الله، وإن رجعت خرجت من الذنوب إلى الله (٢). هذا تفسير " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا " الآية. وفي الكافي: عن الصادق (عليه السلام) أنه قيل له: يروون أن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر حول العرش فقال: لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حواصل طير، ولكن في أبدان كأبدانهم (٣). يرزقون: من الجنة، وهو تأكيد لكونهم أحياء. وفي الكافي، علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن أبي حمزة، عن

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٣٥ في نقل شأن النزول لقوله تعالى: " ولا تحسبن الذين قتلوا " إلى قوله: " إن الله لا يضيع أجر المؤمنين ". (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٦ ح ١٥٢. (٣) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٤، كتاب الجنائز، باب آخر في أرواح المؤمنين ح ١. (*)

(٣٠٧/٣)

عقيل الخزاعي، أن أمير المؤمنين (عليه السلام) إذا حضر الحرب يوصي المسلمين بكلمات يقول: تعاهدوا الصلاة، إلى أن قال: (عليه السلام): ثم أن الجهاد أشرف الاعمال بعد الاسلام، وهو قوام الدين، والاجر فيه عظيم، مع العزة والمنعة، وهو الكرة فيه الحسنات والبشرى بالجنة بعد الشهادة، وبالرزق غدا عند الرب والكرامة، يقول الله تعالى: " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله " الآية (١). وفي اصوله: محمد بن يحيى، عن احمد بن محمد بن عيسى، ومحمد بن أبي عبد الله، ومحمد بن أبي الحسن، عن سهل بن زياد جميعا، عن الحسن بن عباس بن الحارث (٢) (٣) عن أبي جعفر الثاني (عليه السلام): أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال يوما لابي بكر: " لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون " (٤) وأشهد أن محمدا (صلى الله عليه وآله) مات شهيدا، والله

(٣٠٨/٣)

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٣٦ كتاب الجهاد، باب ما كان يوصي أمير المؤمنين (عليه السلام) به عند القتال، قطعة من ح ١. (٢) راوي الحديث كما في الكافي: (الحسن بن العباس بن الجريش) فلا حظ. (٣) قال العلامة المجلسي (قدس سره) في مرآة العقول: ج ٦ ص ٢٢٩: في شرح الحديث ما لفظه (الحديث الثالث عشر: كالسابق (أي ضعيف على المشهور) وهذا أيضا مروي عن أبي جعفر (عليه السلام) وكلها مأخوذ من كتاب ابن الجريش في إنا أنزلناه في ليلة القدر، وضعفه النجاشي وابن الغضائري، لاشتمال كتابه على الاخبار الغالية الغامضة التي لا تبلغ إليها عقول أكثر الخلق. وفي أكثر كتاب الرجال الحريش بالحاء المهملة، وفي أكثر كتب الحديث بالجيم (مات شهيدا) أي مقتولا بالسم، وظهور النبي (صلى الله عليه وآله) إما بجسده الاصلي كما ذهب إليه جماعة من الاصحاب: إن أرواحهم ترد إلى أجسادهم الاصلية، أو بجسده المثالي، وقد مر تحقيق ذلك كما أظن، وهذا المضمون وارد في أخبار كثيرة، أوردتها في الكتاب الكبير، وفي أكثرها أنه رآه في مسجد قبا، وقوله: " أنهم " بفتح الهمزة، بدل (علي واحد عشر) ويمكن أن يقرأ بكسر الهمزة، ليكون استئنافا

بيانيا (ثم ذهب) أي الرسول (صلى الله عليه وآله) (فلم ير) على المجهول، أي لم يره غير المعصومين، وقيل: ضمير (ذهب) لابي بكر، وكذا ضمير (لم ير) على بناء المعلوم، أي لم يختر الايمان والتوبة، ولا يخفى بعده). (٤) وقال العلامة المازندراني في شرح الكافي: ج ٧ ص ٣٧٧ ما لفظه. قوله: " ولا تحسبن الذين قتلوا – إلى قوله – مات شهيدا " ذكر الآية الكريمة مقدمة وتمهيد لما بعدها، (*)

ليأتينك فأيقن إذا جاءك، فإن الشيطان غير متخيل به، فأخذ علي (عليه السلام) بيد أبي بكر فأراه النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال له: يا أبا بكر آمن بعلي وبأحد عشر من ولده، إنهم مثلي إلا النبوة، وتب إلى الله مما في يدك، فإنه لا حق لك فيه، ثم ذهب فلم ير (١). وفي روضة الكافي: يحيى الحلبي، عن عبد الله بن مسكان، عن ابي بصير قال: قلت: جعلت فداك الراد على هذا الامر فهو كالراد عليكم ؟ فقال: يا أبا محمد من رد عليك هذا الامر فهو كالراد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى الله (تبارك وتعالى)، يا أبا محمد إن الميت على هذا الامر شهيد قال قلت: وإن مات على فراشه قال: اي والله على فراشه حي عند ربه يرزق (٢). * * *

---

(١) من أن النبي (صلى الله عليه وآله) يمكن مجيئه ورؤيته، والحاصل أنه شهيد وكل شهيد حي، فهو حي، فيمكن أن يجئ ويرى، وقد أشار إلى أنه يجئ على وجه المبالغة بقوله (والله ليأتينك) إكمالا للحجة عليك كما أكملها قبل الموت، فأيقن إذا جاءك أنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا تظن أنه الشيطان، فإن الشيطان غير متخيل ولا متمثل بصورته، يدل عليه أيضا ما رواه في كشف الغمة عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: لقد حدثني أبي عن جدي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من رآني في منامه فقد رأني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي ولا في صورة أحد من شيعتهم، وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزء من النبوة. ومن طرق العامة عنه (صلى الله عليه وآله): قال: من رآني في المنام فقد رآني، لان

الشيطان لا يتمثل بي. ومن ثم قالوا: من رأى صورته في النوم، واليقظة وقال له أنا رسول الله، أو قال شخص آخر: هو رسول الله، أو الهم في قلبه أنه رسول الله فقد رآه، وليس المرئي من تخيلات الشيطان إلخ. ولقد أجاد وأطال وأفاد في صحة الرؤية وعدم تمثل الشيطان بصورتهم (صلوات الله عليهم)، من أراد فليراجع. (١) الكافي: ج ١ ص ٥٣٣، كتاب الحجة باب ما جاء في الاثني عشر، والنص عليهم، (عليهم السلام) ح ١٣. (٢) الكافي: ج ٨ ص ١٢٨ ح ١٢٠. (*)

[فرحين بماءاتهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون (١٧٠)] فرحين بماءاتهم الله من فضله: وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية، والقرب من الله تعالى والتمتع بنعيم الجنة. ويستبشرون: يسرون بالبشارة. بالذين لم يلحقوا بهم: أي بإخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم. من خلفهم: أي الذين من خلفهم زمانا أو رتبة. ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من " الذين " والمعنى أنهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين. وهو أنهم إذا ماتوا أو قتلوا كانوا أحياء حياة أبدية، لا يكدرها خوف وقوع محذور، وحزن فوات محبوب. في روضة الكافي: ابن محبوب، عن الحارث بن النعمان، عن بريد العجلي قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله (عز ذكره): " ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولاهم يحزنون " ؟ قال: هم والله شيعتنا حين صارت أرواحهم في الجنة، واستقبلوا الكرامة من الله (عز وجل)، علموا واستيقنوا أنهم كانوا على الحق على دين الله (عز ذكره) فاستبشروا بمن لم يلحق بهم من إخوانهم من خلفهم من المؤمنين الا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١). وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال: حدثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: هم والله شيعتنا، إذا دخلوا الجنة واستقبلوا الكرامة من الله، استبشروا بمن لم يلحق بهم من إخوانهم

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ١٣٧ ح ١٤٦. (*)

[يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين (١٧١) الذين استجابوا لله والرسول من بعد مآ أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم (١٧٢)] المؤمنين في الدنيا، الاخوف عليهم ولاهم يحزنون (١). يستبشرون: كرره للتوكيد، وليتعلق به ما هو بيان لقوله: " الا خوف ". ويجوز أن يكون الاول بحال إخوانهم وهذا بحال أنفسهم. بنعمة من الله: ثوابا لاعمالهم. وفضل: زيادة عليه، لقوله تعالى: " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (٢) وتنكير هما للتعظيم. وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين: من جملة المستبشر به، عطف على " فضل ". وقرأ الكسائي بالكسر على أنه استئناف معترض دال على أن ذلك أجر لهم على إيمانهم، مشعر بأن من لا إيمان له أعماله محبطة واجوره مضيعة. الذين استجابوا لله والرسول من بعد مآ أصابهم القرح: صفة للمؤمنين، أو نصب على المدح، أو مبتدأ خبره. للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم: بجملته، و " من " للبيان، والمقصود من ذكر الوصفين، المدح والتعليل، لا التقييد، لان المستجيبين كلهم محسنون متقون. وفي تفسير علي بن إبراهيم: أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما دخل المدينة من وقعة احد نزل عليه جبرئيل فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تحرج في أثر

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٧ عند تفسيره لقوله تعالى: " ولا تحسبن الذين قتلوا " الآية. (٢) يونس: ٢٦. (*)

القوم، ولا يخرج معك إلا من به جراحة، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مناديا ينادي: يا معشر المهاجرين والانصار من كانت به جراحة فليخرج، ومن لم يكن به جراحة فليقم، فأقبلوا يضمدون جراحاتهم ويداو ونها، فخرجوا على ما بهم من الالم والجراح، فلما بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حمراء الاسد (١) وقريش قد نزلت اروحاء (٢)، قال عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد: نرجع ونغير على المدينة، فقد قتلنا سراتهم وكبشهم، يعنون حمزة، فوافاهم رجل خرج من المدينة، فسألوه الخبر فقال: تركت محمدا وأصحابه بحمراء الاسد يطلبونكم جد الطلب، فقال أبو سفيان: هذا النكد والبغي، فقد ظفرنا بالقوم وبغينا، والله ما أفلح قوم قط بغوا، فوافاهم نعيم بن مسعود الاشجعي، قال أبو سفيان: أين تريد ؟ قال: المدينة

لامتار لاهلي طعاما، قال: هل لك أن تمر بحمراء الاسد وتلقى أصحاب محمد، وتعلمهم أن خلفاءنا وموالينا قد وافونا من الاحابيش، حتى يرجعوا عنا، ولك عندي عشرة قلائص (٣) أملؤها تمرا وزبيبا ؟ قال: نعم فوافى من عند ذلك اليوم حمراء الاسد، فقال لاصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أين تريدون ؟ قالوا: قريشا، قال: ارجعوا، إن قريشا قد اجتمعت عليهم حلفاؤهم، ومن كان تخلف عنهم، وما أظن إلا وأوائل (١) حمراء الاسد: الاسد أحد الاسد، بالمد والاضافة، وهو موضع على ثمانية أميال من المدينة، إليه انتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم احد في طلب المشركين (معجم البلدان: ج ٢ ص ٣٠١). (٢) والروحاء كحمراء بلد من عمل الفرع، على نحو من أربعين ميلا من المدينة (مجمع البحرين: ج ٢ ص ٣٦٤ لغة روح). الروحاء: الروح والراحة من الاستراحة. لما رجع تبع من قتال أهل المدينة يريد مكة نزل بالروحاء فأقام بها وأراح فسماها الروحاء، وهي من عمل الفرع على نحو من أربعين يوما (معجم البلدان: ج ٣ ص ٧٦). (٣) القلوص: الفتية من

الابل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء، وقيل: هي الثنية، وقيل: هي ابنه المخاض، وقيل: هي كل انثى من الابل حين تركب وإن كانت بنت لبون أو حقة إلى أن تصير بكرة أو تبزل، (لسان العرب: ج ٧ ص ٨١ لغة قلص). (*)

[الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزاد هم إيمنا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (١٧٣)] خيلهم يطعلون عليكم الساعة، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، مانبالي، فنزل جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ارجع يا محمد، فإن الله قد أرعب قريشا، ومروا لا يلون على شئ، فرجع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة وأنزل الله الذين استجابوا لله والرسول، الآيات (١). وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي: قال: حدثنا الحسين بن الحكم معنعنا عن ابن عباس (رضي الله عنه) في يوم احد في قوله تعالى: " الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح " يعني الجراحة " للذين احسنوا منهم وتقوا اجر عظيم " نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) وتسعة منهم بعثهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أثر أبي سفيان حين ارتحل فاستجابوا لله ولرسوله (٢). الذين قال لهم الناس: يعني الركب الذين استقبلتهم من عبد قيس، أو نعيم ابن مسعود الاشجعي. وفي مجمع البيان: عنهما (عليهما السلام): إن المراد نعيم بن مسعود الاشجعي. وأطلق عليه الناس لانه من جنسه كما قال: فلان يركب الخيل، وما له إلا فرس واحد، أو

لانه انضم إليه ناس من المدينة وأذاعوا كلامه (٣). إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم: يعني أبا سفيان وأصحابه. في مجمع البيان: وفي رواية أبي الجارود، عن الباقر (عليه السلام): أنها نزلت

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٥ عند تفسيره لقوله تعالى: " حسبنا الله ونعم الوكيل ".
(٢) تفسير فرات الكوفي: ص ١٩. (٣) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٤١ في نقل المعنى لقوله تعالى: " الذين قال لهم الناس ". (*)

في غزوة بدر الصغرى، وذلك أن أبا سفيان قال يوم احد: حين أراد أن ينصرف يا محمد موعدنا بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل إن شئت، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ذلك بيننا وبينك، فلما كان عام المقبل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة (١) من ناحية مر الظهران، ثم ألقى الله عليه الرعب، فبداله في الرجوع، فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا، فقال له أبو سفيان: إني واعدت محمدا وأصحابه أن نلتقي موسم بدر الصغرى، وأن هذه عام جدب، ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن، وقد بدا لي أن لا أخرج إليها، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا، فيزيدهم ذلك جرأة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشرة من الابل أضعها على يد سهيل بن عمرو، فأتى نعيم المدينة، فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبي سفيان فقال لهم: بئس الرأي رأيتم أتوكم في دياركم وقرار كم فلم يفلت منكم إلا شريد، فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم، فوالله لا يفلت منكم أحد، فكره رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): والذي نفسي بيده لا خرجن ولو وحدي، فأما الجبان فإنه رجع، وأما الشجاع فإنه تأهب للقتال، وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أصحابه حتى وافوا بدر الصغرى، وهو ماء لبني كنانة، وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام، فأقام ببدر ينتظر أبا سفيان، وقد انصرف أبو سفيان من مجنة إلى مكة، فسماهم أهل مكة جيش السويق، ويقولون: إنما خرجتم تشربون السويق، ولم يلق رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه أحدا من المشركين ببدر، ووافق السوق، وكانت لهم تجارات، فباعوا وأصابوا للدرهم درهمين، وانصرفوا إلى المدينة سالمين

---

(١) مجنة بالفتح وتشديد النون اسم المكان من الجنة وهو الستر والاخفاء.. اسم سوق للعرب كان في الجاهلية، وكان ذو المجاز ومجنة وعكاظ أسواقا في الجاهلية. قال الاصمعي: وكانت مجنة بمر الظهران قرب جبل يقال له الاسفل، وهو بأسفل مكة على قدر بريد منها وكانت تقوم عشرة أيام من آخر ذي القعدة والعشرون منه قبلها سوق عكاظ وبعد مجنة ثلاثة أيام من ذي الحجة، ثم يعرفون في التاسع إلى عرفة، وهو يوم التروية (معجم البلدان: ج ٧ ص ٣٩٠ باب الميم والجيم وما يليهما). (*)

---

[٢٨٧]

غانمين (١). فزادهم إيمنا الضمير المستكن للمقول، أو لمصدر قال، أو لفاعله. والمعنى أنهم لم يلتفتوا إليه ولم يضعفوا، بل ثبتت ثقتهم بالله تعالى وازداد إيمانهم، وأظهروا حمية الاسلام وأخلصوا النية عنده. وفي هـ دلالة على أن الايمان يزيد بكثرة التأمل وتناصر الحجج، وينتقص بعروض الشبه والمعارضات. وقالوا حسبنا الله: محسبنا وكافينا، من أحسبه إذا كفاه. ويدل على أنه بعمنى المحسب أنه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك: رجل حسبك. ونعم الوكيل: ونعم الموكول إليه هو. في كتاب الخصال: عن الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: عجبت من أربع كيف لا يفزع إلى أربع عجبت لمن خاف كيف لا يفزع إلى قوله تعالى: " حسبنا الله ونعم الوكيل " فإني سمعت قول الله عقيبها: " فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء " الحديث (٢). وفي تهذيب الاحكام: بإسناده إلى الحسن بن علي بن عبد الملك الزيات، عن رجل عن كرام (٣)، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: أربع لاربع واحدة للقتل

---

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٤٠ في نقل شأن النزول لقوله تعالى: " الذين استجابوا " إلخ. (٢) الخصال: ص ٢١٨ باب الاربعة العجب لمن يفزع من أربعة كيف لا يفزع إلى أربعة، ح ٤٣ وتمام الحديث (وعجبت لمن اغتم كيف لا يفزع إلى قوله (عز وجل): " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " فإني سمعت الله (عز وجل) يقول بعقبها: " فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين " وعجبت لمن مكربه كيف لا يفزع إلى قوله: " وافوض أمري إلى الله إن الله بصير

بالعباد " فإني سمعت الله (جل وتقدس) يقول بعقبها: " فوقاه الله سيئات ما مكروا " وعجبت لمن أراد الدنيا وزينتها كيف لا يفزع إلى قوله (تبارك وتعالى): " ما شاء الله لا قوة إلا بالله " فإني سمعت الله (عز اسمه) يقول بعقبها: " إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك " وعسى موجبة). الكرام بالكاف المفتوحة، ثم الراء المهملة المشددة، بائع الكرم، شجر العنب (تنقيح المقال: ج ١ ص ١٢ تحت رقم ٤٩). (*)

[فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضون الله والله ذو فضل عظيم (١٧٤) إنما ذلكم الشيطن يخوف أولياءه، فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين (١٧٥)] والهزيمة " حسبنا الله ونعم الوكيل " يقول الله " الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء " الحديث (١). فانقلبوا: فرجعوا من بدر. بنعمة من الله: عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه. وفضل: وربح في التجارة، فإنهم لما أتوا بدرا، وافوا بها سوقا، فاتجروا وربحوا. لم يمسسهم سوء: من جراحة وكيد عدو. واتبعوا رضوان الله: بجرأتهم وخروجهم. والله ذو فضل عظيم: قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان، والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد، والتصلب في الدين، وإظهار الجرأة على العدو، وبالحفظ عن كل ما يسؤهم، وإصابة النفع، مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل. وفيه تحسيرو تخطية للمتخلف، حيث حرم نفسه ما فازوا به.

---

(١) التهذيب: ج ٦ ص ١٧٠ باب النوادر، ح ٧ وتمام الحديث (والاخرى للمكر والسوء: " وافوض أمري إلى الله وفوضت أمري إلى الله " وقال الله (عز وجل): " فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب " والثالثة للحرق والغرق: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وذلك أنه يقول (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله " والرابعة للغم والهم، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، قال الله سبحانه: " فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين "). (*)

وفي تفسير العياشي: عن جابر، عن محمد بن علي (عليهما السلام) قال: لما وجه النبي (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين (عليه السلام) وعمار بن ياسر إلى أهل مكة، قالوا: بعث هذا الصبي ؟ ! ولو بعث غيره إلى أهل مكة، وفي مكة صناديد قريش ورجالها، والله الكفر بنا أولى مما نحن فيه، فساروا، وقالوا، وخوفوهما بأهل مكة، وغلظوا عليهما الامر، فقال علي (عليه السلام): " حسبنا الله ونعم الوكيل " ومضيا، فلما دخلا مكة خبر الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بقولهم لعلي (عليه السلام) وبقول علي لهم، فأنزل الله بأسمائهم في كتابه، وذلك قوله: " ألم تر إلى الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم " وإنما نزلت: ألم تر إلى فلان وفلان لقوا عليا وعمارا، فقالا: إن أبا سفيان وعبد الله بن عامر وأهل مكة قد جمعوا لكم، فاخشوهم فزادهم إيمانا، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (١). وفي شرح الآيات الباهرة: ونقل إبن مردويه من الجمهور عن ابن رافع أن النبي (صلى الله عليه وآله) وجه عليا (عليه السلام) في نفر في طلب أبي سفيان فلقيه اعرابي من خزاعة فقال له: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني أبا سفيان وأصحابه فقالوا: – يعني عليا واصحابه – حسبنا الله ونعم الوكيل فنزلت هذه الآية إلى قوله: " والله ذو فضل عظيم " (٢). وأقول في الجمع بين الخبر الاول وهذان الخبران: إن الآية نزلت أولا على الوجه الاول كما في الخبر الاول، وجرت من الله في الوجه الثاني وفصلت في الثاني بالتصريح بالاسماء، فاثبت في القرآن على الوجه الاول. إنما ذلكم الشيطن: يريد به المثبط نعيما أو أبا سفيان. و " الشيطان " خبر " ذلكم " وما بعده بيان لشيطنته، أو صفة وما بعده خبر.

(٣٢٠/٣)

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٩ ح ١٥٤. (٢) لا يوجد لدينا هذا الكتاب ووجدناه في تأويل الآيات الطاهرة: ص ١٣١. (*)

ويجوز أن تكون الاشارة إلى قوله على تقدير مضاف، أي إنما ذلكم قول الشيطان، أي إبليس. يخوف أولياءه: القاعدين عن الخزوج مع الرسول، أو يخوفكم أولياؤه الذين هم أبو سفيان وأصحابه. فلا تخافوهم: الضمير للناس الثاني، على الاول، وإلى الاولياء على الثاني. وخافون: في مخالفة

أمري، فجاهدوا مع رسولي. إن كنتم مؤمنين: فإن الايمان يقتضي إيثار خوف الله على خوف الناس. في اصول الكافي: بإسناده إلى الهيثم بن واقد الجزري (١) قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام): يقول: من خاف الله أخاف الله منه كل شئ (٢) ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شئ (٣). وبإسناده إلى أبي حمزة قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): من عرف الله خاف الله، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا (٤) (٥)

(٣٢١/٣)

---

(١) الهيثم بالهاء المفتوحة وسكون الياء المثناة من تحت والثاء المثلثة المفتوحة كحيدر. والواقد بالواو والالف والقاف المكسورة والدال المهملة. والجزري بالجيم المفتوحة والزاي المعجمة المفتوحة والراء المهملة والياء (تنقيح المقال: ج ١ ص ٩٥ تحت رقم ٥٢٦ وج ٣ ص ٣٠٧ تحت رقم ١٢٩٥٢ وج ١ ص ١٧٢ تحت رقم ١٢٨٣). (٢) قوله " من خاف الله أخاف الله منه كل شئ " ظاهره أن الله تعالى يلقي الخوف منه على الاشياء. مع احتمال أن يكون سر ذلك، أن الخائف من الله نفسه قوية قدسية مقربة للحضرة الالهية قادرة على التأثير في الممكنات، فلذلك يخاف منه كل شئ حتى الوحش والسباع والحيات كما نقل ذلك عن كثير من المقربين. ومن لم يخف الله نفسه ضعيفة متصفة بالنقصان، بعيدة عن التأثر في عالم الامكان، فلذلك يخاف من كل شئ ويتأثر منه. ولما كانت القوة والضعف والتأثير بسبب القرب من الله وعدمه، نسبت الاخافة إليه (شرح الكافي للعلامة المازندراني: ج ٨ ص ٢٠٨ كتاب الايمان والكفر). (٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٨ كتاب الايمان والكفر، باب الخوف والرجاء ح ٣. (٤ و ٥) قوله (من عرف الله خاف الله) دل على أن الخوف من الله لازم لمعرفته، فكلما زادت زاد، ولذلك قال (عز شأنه): " إنما يخشى الله من عباده العلماء " وذلك لان من عرف عظمته وغلبته على جميع الكائنات، وقدرته على جميع الممكنات بالاعدام والافناء من غير أن يسأله سائل أو بمنعه مانع، أو (*)

(٣٢٢/٣)

[ولا يحزنك الذين يسرعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الاخرة ولهم عذاب عظيم (١٧٦)] وفي كتاب التوحيد: بإسناده إلى علي بن الحسين (عليهما السلام)، حديث طويل، وفيه قال: خرجت حتى انتهيت إلى هذا الحائط فاتكيت عليه، فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان ينظر في وجهي، ثم قال: يا علي بن الحسين مالي أراك كئيبا حزينا، أعلى الدنيا حزنك ؟ فرزق الله حاضر للبر والفاجر، إلى أن قال: قلت: أنا أتخوف فتنة ابن الزبير، فضحك، ثم قال لي: يا علي بن الحسين هل رأيت أحدا خاف الله فلم ينجه ؟ قلت: لا، إلى قوله: ثم نظرت فإذا ليس قدامي أحد (١). ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر: يقعون فيه سريعا، حرصا عليه، خوف أن يضروك ويعينوا عليك، وهم المنافقون من المتخلفين، أو قوم ارتدوا عن الاسلام.

(٣٢٣/٣)

يعود إليه ضرر، تهيب وخاف منه. وأيضا من عرفه علم احتياجه إليه في وجوده وبقائه وكمالاته في جميع حالاته، ومن البين أن الاحتياج إليه في مثل تلك المور العظام، يستلزم الخوف منه في سلب الفيض والاكرام. (ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا) أي تركها، تقول: سخي عن الشئ يسخى، من باب تعب، أي ترك. فمن ادعى الخوف ومال إلى الدنيا غير تارك لها وناهض للعبادة، فهو كاذب، لان الخوف يستلزم الاعراض عن الدنيا والتوجه إلى العبادة (شرح الكافي للعلامة المازندراني: ج ٨ ص ٢٠٨ كتاب الايمان والكفر). الكافي: ج ٢ ص ٦٨ كتاب الايمان والكفر، باب الخوف والرجاء ح ٤. (١) كتاب التوحيد: ص ٣٧٣ باب القضاء والقدر والفتنة والارزاق والاسعار والآجال ح ١٧ وتمام الحديث بعد قوله: " للبر والفاجر " فقلت: ما على هذا أحزن، وإنه لكما تقول، قال: أفعلى الآخرة حزنك ؟ فهو وعد صادق يحكم فيه ملك قاهر، قلت: ما على هذا أحزن وإنه لكما تقول، فعلى ما حزنك ؟ قلت: أنا أتخوف من فتنة ابن الزبير. وبعد قوله: (قلت: لا) قال: يا علي بن الحسين هل رأيت أحدا سأل الله (عز وجل) فلم يعطه ؟ قلت: لا، ثم نظرت إلخ. (*)

(٣٢٤/٣)

[إن الذين اشتروا الكفر بالايمن لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم (١٧٧) ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين (١٧٨)] إنهم لن يضروا الله شيئا: أي أولياءه، و " شيئا " يحتمل المفعول والمصدر. وقرأ نافع " يحزنك " بضم الياء وكسر الزاي حيث ما وقع، ما خلا قوله في الانبياء: " لا يحزنهم الفزع الاكبر " فإنه فتح الياء وضم الزاي فيه، والباقون كذلك في الكل. يريد الله ألا يجعل لهم حظافى الاخرة: نصيبا من الثواب فيها. وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر، وأن كفرهم بلغ الغاية حتى أراد أرحم الراحيمن أن لا يكون لهم حظ من رحمته. ولهم عذاب عظيم: مع الحرمان عن الثواب. إن الذين اشتروا الكفر بالايمن لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم: تكرير للتأكيد، أو تعميم للكفرة بعد تخصيص ما نافق من المتخلفين، أو ممن ارتد عن الاعراب. ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم: خطاب للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). أو لكل من يحسب، و " الذين كفروا " مفعول، و " إن " مع اسمه وخبره بدل منه. وإنما اقتصر على مفعول واحد، لان التعويل على البدل، وهو مما ينوب على المفعولين، أو مفعول ثان على تقدير مضاف، أي ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب، إن الاملاء خير لانفسهم. أو ولا تحسبن حال الذين كفروا إن الاملاء خير لانفسهم. و " ما " مصدرية، ويحتمل الموصولة بحذف العائد. (*)

وكان حقها أن يفصل في الخط، لكنها وقعت متصلة في قرآن عثمان، فاتبع على عمى. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء، على أن " الذين " فاعل، و " ان ما " في حيزه مفعول، وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة. والاملاء، الامهال وإطالة العمر، وقيل: تخليتهم وشأنهم من أملى لفرسه، إذا أرخى له الطول (١) ليرعى كيف شاء. إنما نملي لهم ليزداد وإثما: استئناف بما هو العلة للحكم قبلها، و " ما " كافة، واللام للعاقبة، أي يكون عاقبة أمرهم ازدياد الاثم. وقرئ " إنما " بالفتح وبكسر الاولى (٢)، و " لا يحسبن " بالياء على معنى: ولا يحسبن الذين كفروا أن إملاءنا لهم لا زدياد الاثم، بل للتوبة والدخول في الايمان. و " إنما نملي لهم " اعتراض، ومعناه أن إملاءنا لهم خير إن انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم. ولهم عذاب مهين: على هذا يجوز أن يكون حالا من الواو، أي ليزداد وا إثما معدا لهم عذاب مهين (٣). وفي تفسير العياشي: عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قلت: أخبرني عن الكافر الموت خير له أم الحياة ؟ فقال: الموت خير للمؤمن والكافر، قلت: ولم ؟ قال: لان الله يقول: " وما عند

الله خير للابرار " (٤) ويقول:

---

(١) الطول حبل طويل تشد به قائمة الدابة، وقيل: هو الحبل الذي تشد به ويمسك صاحبه بطرفه ويرسلها ترعى، وكانت العرب تتكلم به يقال: طول لفرسك يا فلان أي ارخ له حبله في مرعاه (لسان العرب: ج ١١ ص ٤١٣ لغة طول). (٢) قوله: (وبكسر الاولى) أي بكسر (إن) في " إنما نملي لهم خير لانفسهم " نقلا عن حاشية الكازروني لتفسير البيضاوي. (٣) من قوله: (خطاب للرسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى هنا مأخوذ من تفسير البيضاوي: ج ١ ص ١٩٤ مع تصرف يسير في بعض الكلمات). (٤) آل عمران: ١٩٧. (*)

[ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء فئامنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم (١٧٩)] " ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لانفسهم إنما نملي لهم ليزداد وا إثما ولهم عذاب مهين " (١). وعن يونس رفعه قال: قلت له: زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ابنته فلانا ؟ قال: نعم، قلت: فكيف زوجه الاخرى ؟ قال: قد فعل، فأنزل الله: " ولا تحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لانفسهم " إلى " عذاب مهين " (٢). وفي هاتين الروايتين دلالة على صحة القراءة الاولى، دون الثانية وفي الثانية لالة على كفر الثالث. ما كان الله ليذر المؤمنين على مآ أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب: قيل: الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره، والمعنى: لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم، حتى يميز المنافقين من المخلصين بالوحي إلى نبيه بأحوالكم، أو بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها إلا الخلص المخلصون منكم، كبذل الانفس والاموال في سبيل الله، ليختبر بواطنكم، وليستدل به على عقائد كم. وفي تفسير العياشي: عن عجلان بن صالح قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: لا تمضي الايام والليالي حتى ينادي مناد من السماء: يا أهل الحق اعتزلوا، يا أهل الباطل اعتزلوا، فيعزل هؤلاء عن هؤلاء، قلت: أصلحك الله

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٦ ح ١٥٥. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٧ ح ١٥٦. (*)

يخالط هؤلاء هؤلاء بعد ذلك النداء ؟ قال: كلا، يقول في الكتاب " ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب " (١). وفي كتاب مقتل الحسين (عليه السلام) لابي مخنف قال الضحاك بن عبد الله: مرت بنا خيل ابن سعد (لعنه الله) تحرسنا، وكان الحسين (عليه السلام) يقرأ: " لا تحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين. ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب " (٢). وقرأ حمزة والكسائي " حتى يميز " من التفعيل هنا وفي الانفال. وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشآء: ما كان الله ليؤتي أحدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفرو إيمان، ولكنه يجتبى لرسالته من يشاء، فيوحي ويخبره ببعض المغيبات أو ينصب ما يدل عليها. فئامنوا بالله ورسله: بصفة الاخلاص، أو بأن تعلموه وحده مطلعا على الغيب، وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله، ولا يقولون إلا ما اوحي إليهم. نقل: إن الكفرة قالوا: إن كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر، فنزلت. وعن السدي: إنه (عليه السلام) قال: عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن ومن يكفر، فقال المنافقون: إنه يزعم أنه يعرف من يؤمن به ومن يكفر، ونحن معه ولا يعرفنا، فنزلت. وإن تؤمنوا: حق الايمان. وتتقوا: النفاق.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٧ ح ١٥٧. (١) مقتل أبي مخنف ط قم: ص ١١٢ الحسين وأصحابه ليلة العاشوراء.. (*)

[ولا يحسبن الذين يبخلون بماءاتهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميرث السموت والارض والله بما تعملون خبير (١٨٠)] فلكم أجر عظيم: لا يقادر قدره. ولا يحسبن الذين يبخلون بماءاتهم الله من فضله هو خيرا لهم: من قرأ بالتاء، قدر مضافا، أي

لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم، وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أو من يحسب. وإن جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا، أي لا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم. بل هو: أي البخل. شر لهم: لاستجلاب العقاب عليهم. سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة: بيان لذلك، أي سيلزمون وبال ما بخلوا به، إلزام الطوق (١)، أو يطوقون بما بخلوا به يوم القيامة. في الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن مسكان، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله (عز وجل): " سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة "، فقال: يا محمد ما من أحد يمنع من زكاة ماله شيئا إلا جعل الله (عز وجل) ذلك يوم القيامة ثعبانا من نار مطوقا في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب، ثم قال: هو قول الله (عز وجل): " سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة "، يعني ما بخلوا به من الزكاة (٢).

---

(١) من قوله (ما كان الله ليؤتي أحدكم) إلى هنا مقتبس من أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٩٥ لا حظ تفسيره لآية ١٧٩ إلى ١٨٠ من سورة آل عمران. (٢) الكافي: ج ٣ ص ٥٠٢ كتاب الزكاة، باب منع الزكاة ح ١. (*)

يونس، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما من ذي زكاة مال نخل أو زرع أو كرم يمنع زكاة ماله إلا قلده الله ترية أرضه يطوق بها من سبع أرضين إلى يوم القيامة (١). علي إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن عبيد بن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام): يقول: ما من عبد يمنع در هما في حقه إلا أنفق اثنين في غير حقه، وما رجل يمنع حقا من ماله إلا طوقه الله (عز وجل) به حية من نار يوم القيامة (٢). محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن مهران، عن ابن مسكان، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله (عز وجل): " سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة "، قال: ما من عبد منع من زكاة ماله شيئا إلا جعل الله له ذلك يوم القيامة ثعبانا من نار يطوق في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب وهو قول الله (عز وجل): " سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة "، قال: ما بخلوا به من الزكاة (٣). محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن علي بن عقبة، عن أيوب بن راشد قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام)

يقول: مانع الزكاة يطوق بحية قرعا (٤) تأكل من دماغه، وذلك قوله (عز وجل): " سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة " (٥). علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن خالد، عن خلف بن حماد، عن حريز قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): ما من ذي مال ذهب أو فضة يمنع زكاة ماله إلا حبسه الله (عز وجل) يوم القيامة بقاع قرقر (٦)، وسلط عليه شجاعا أقرع يريده

(١ و ٢ و ٣) الكافي: ج ٣ ص ٥٠٣ و ٥٠٤ كتاب الزكاة باب منع الزكاة، ح ٤ و ٧ و ١٠. (٤) الاقرع من الحيات، التي قرع السم في رأسه أي جمعه فذهب شعره (مجمع البحرين: ج ٤ ص ٣٧٧ لغة قرع). (٥) الكافي: ج ٣ ص ٥٠٥ كتاب الزكاة، باب منع الزكاة ح ١٦. (٦) القيعة بالكسر والقاع بمعنى واحد، وهو المستوى من الارض، وقاع قرقر، قيل: قرقر أيضا في معنى القاع وهو المستوى من الارض وإنما عبر بلفظين مختلفين للمبالغة في استواء ذلك المكان، وقد روى (*)

[لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذو قوا عذاب الحريق (١٨١)] وهو يحيد (١) عنه، فإذا رأى أنه لا مخلص له منه أمكنه من يده فقضمها (٢) كما يقضم الفجل ثم يصير طوقا في عنقه، وذلك قول الله (عز وجل): " سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة " وما من ذي مال إبل أو غنم أو بقر يمنع زكاة ماله إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر يطأه كل ذات ظلف بظلفها، وتنهشه كل ذات ناب بنابها، وما من ذي مال نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاتها إلا طوقه الله ريعة أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامة (٣). ولله ميراث السموت والارض: وله ما فيها مما يتوارث، فما لهؤلاء يبخلون بماله ولا ينفقون في سبيله ؟ أو أنه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقون في سبيله، بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة. والله بما تعملون: من المنع والا عطاء. خبير: فيجازيكم. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات، وهو أبلغ في الوعيد. لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء: قيل: قالت

---

(١) بقاع قرق وهو مثله في المعنى (مجمع البحرين: ج ٤ ص ٣٨٥ لغة قوع). (١) أي تنفر وتهرب يقال حاد عن الشئ يحيد مال عنه وعدل ويحيد عنه يهزم عنه (مجمع البحرين: ج ٣ ص ٤١ لغة حيد). (٢) القضم الاكل بأطراف الاسنان (مجمع البحرين: ج ٦ ص ١٤٠ الغة قضم). (٣) الكافي: ج ٣ ص ٥٠٥ كتاب الزكاة، باب منع الزكاة ح ١٩. (*)

---

[٢٩٩]

اليهود لما سمعوا " من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا " (١) (٢). وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال: والله ما رأوا الله فيعلمون أنه فقير، ولكنهم رأوا أولياء الله فقراء، فقالوا: لو كان الله غنيا لا غنى أولياءه، ففخروا على الله في الغناء (٣). وفي كتاب المناقب لابن شهراشوب: عن الباقر (عليه السلام) في قوله: " لقد سمع الله قول الذين قالوا " الآية قال: هم الذين يزعمون أن الامام يحتاج إلى ما يحملونه إليه (٤). سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق: أي سنكتبه في صحائف الكتبة، أو سنحفظه في علمنا لا نهمله، فأنه كلمة عظيمة، إذ هو كفر بالله، أو استهزاء بالقرآن والرسول، ولذلك نظمه مع قتل الانبياء. وفيه تنبيه على أنه ليس أول جريمة ارتكبوها، وأن من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه أمثال هذا القول. وفي اصول الكافي: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله (عز وجل): " ويقتلون الانبياء بغير حق " فقال: أما والله ما قتلوهم بأسيافهم، ولكن كانوا أذاعوا أمرهم وأفشوا عليهم، فقتلوا (٥). وقرأ حمزة " سيكتب " بالياء وضمها وفتح التاء، وقتلهم بالرفع، و " يقول " بالياء. ونقول ذوقوا عذاب الحريق: أي وننتقم منهم، بأن نقول: ذو قوا العذاب المحرق.

---

(١) البقرة: ٢٤٥. (٢) نقله في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ١ ص ١٩٥ عند تفسيره لقوله تعالى: " إن الله فقير ونحن أغنياء ". (٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٧ عند تفسيره لقوله تعالى: " قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ". (٤) لم أنظفر عليه في مناقب ابن شهراشوب ولكن رواه في تفسير الصافي: ج ١ ص ٣٧٣ عند تفسيره لآية ١٨١ من سورة آل عمران. (٥) الكافي: ج ٢ ص ٣٧١ كتاب الايمان والكفر (باب الاذاعة) ح ٧. (*)

---

[٣٠٠]

[ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد (١٨٢) الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاء كم رسل من قبلى بالبينت وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صدقين (١٨٣)] وفيه مبالغات في الوعيد. والذوق إدراك الطعوم، وعلى الاتساع يستعمل لا دراك سائر المحسوسات والحالات. وذكره ههنا: لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال، و غالب حاجة الانسان إليه لتحصيل المطاعم، ومعظم بخله للخوف من فقدانه، و لذلك كثر ذكر الاكل مع المال. ذلك: إشارة إلى العذاب. بما قدمت أيديكم: من قتل الانبياء، وقولهم هذا، وسائر معاصيهم. عبر بالايدي عن الانفس، لان أكثر أعمالها بهن. وأن الله ليس بظلام للعبيد: عطف على " ما قدمت " وسببيته للعذاب، من حيث أن نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي إثابة المحسن ومعاقبة المسئ. وفي نهج البلاغة قال (عليه السلام): وأيم الله ما كان قوم قط في غض (١) نعمة من عيش فزال عنهم إلا بذنوب اجترحوها (٢)، لان الله ليس بظلام للعبيد (٣).

---

(١) وفيه من سره أن يقرأ القرآن غضا كما انزل فليسمعه من ابن أم عبد: الغض الطري الذي لم يتغير (النهاية: ج ٣ ص ٣٧١ لغة غضض). (٢) الاجتراح الاكتساب (مجمع البحرين: ج ٢ ص ٣٤٥ لغة جرح). (٣) نهج البلاغة: ص ٢٥٧ ومن خطبة له (عليه السلام) في الشهادة والتقوى. وقيل: إنه خطبها بعد (*)

[فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاء وبالبينت والزبر والكتب المنير (١٨٤)] وفيه إشكال مشهور: وهو أن نفي الظلام عن الله تعالى، لا يستلزم نفي كونه ظالما، يشعر بكونه كذلك، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. والجواب: أن جواز اتصافة تعالى بكل صفة يستلزم اتصافه بها على الكمال، خصوصا صفة الظلم، فإنه لو اتصف بها اتصف بما هو في الرتبة الاعلى منها، لكمال قدرته وعدم المانع، فللاشعار بهذا المعنى أورد الظلام مكان الظالم، والمراد نفي الظلم مطلقا، فتأمل. الذين قالوا: هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا. إن الله عهد إلينا: أمرنا في التوراة وأوصانا. ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار: بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني إسرائيل، وهو أن يقرب بقربان فيقوم النبي (صلى الله عليه وآله) فيدعو، فتنزل نار سماوية تأكله، أي تحيله إلى طبعها بالاحراق. وهذا من مفتر ياتهم وأبا

طيلهم، لان أكل النار القربان لا يوجب الايمان إلا لكونه معجزة، فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك. قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينت وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صدقين فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءو بالبينت والزبر والكتب المنير: تكذيب وإلزام بأن رسلا قد جاؤوهم قبله

مقتل عثمان في أول خلافته صبحي الصالح. (*)

---

[٣٠٢]

كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقتر حوه، فقتلوهم، فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان، وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله، فمالهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر واجترؤوا عليه (١). وفي اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن مروك بن عبيد (٢)، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لعن الله القدرية (٣)، لعن الله

---

(١) من قوله (هم كعب بن الاشرف) إلى هنا من كلام البيضاوي: ج ١ ص ١٩٦، لا حظ تفسيره لآية ١٨٤ من سورة آل عمران. (٢) مروك بن عبيد بن أبي حفصة مولى بني عجل: الضبط مروك بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح الواو وبعدها كاف، واسم مروك صالح، واسم أبي حفصة زياد (تنقيح المقال: ج ٣ ص ٢١٠ تحت رقم ١١٦٦٥). (٣) إن القدرية تطلق على الجبرية وعلى التفويضية، وكان المراد هنا الثاني. قال علي بن إبراهيم في تفسيره: القدرية المتعزلة، والرد عليهم من القرآن كثير، لان المعتزلة قالوا: نحن نخلق أفعالنا وليس لله فيه صنع ولا ميشئة ولا إرادة، فيكون ما شاء إبليس ولا يكون ما شاء الله، انتهى. والمراد بالمرجئة: الذين يقولون: الايمان محض العقائد وليس للاعمال فيها مدخل أصلا، ولا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ولا تفاوت في إيمان الناس. قال صاحب الملل والنحل: الارجاء على معنيين، أحد هما التأخير (قالوا ارجه وأخاه) أي أمهله وأخره، والثاني إعطاء الرجاء. أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الاول صحيح، لانهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد. وأما المعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا يضرمع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وقيل: الارجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى الآخرة، فلا يقضى عليه بحكم في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار، فعلى هذا المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان. وقيل: الارجاء تأخير علي (عليه السلام) عن الدرجة الاولى إلى الدرجة الرابعة، فعلى هذا المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان. والمرجئة أربعة أصناف، مرجئة

الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة، انتهى وقد مر بعض القول فيهم سابقا، والمراد هنا ما ذكرنا أولا، فإنهم يحكمون بإيمان من آمن بالله ورسوله وإن قتلوا الائمة وخيار المؤمنين، فهم راضون بذلك ولا يبالون به ويحكمون بأن الله لا يعذب هؤلاء بفعلهم،

(٣٣٥/٣)

ولذا سموا مرجئة لارجاء تعذيبهم على المعاصي. ويمكن أن يكون المراد هنا جميع المخالفين، فإنهم على اصولهم الفاسدة يصوبون قتل من خرج على خلفاء الجور ولو كانوا أئمة الدين وذرية سيد المرسلين، فهم راضون بذلك. وذكر الآية استشهاد (*)

---

[٣٠٣]

الخوارج، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة، قلت: لعنت هؤلاء مرة مرة ولعنت هؤلاء مرتين ؟ قال: إن هؤلاء يقولون: إن قتلتنا مؤمنون فدماؤنا متلطخة بثيابهم إلى يوم القيامة، إن الله حكى عن قوم في كتابه " لن نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاء كم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين " قال: كان بين القاتلين والقائلين خمسمائة عام فألزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا (١). وفي تفسير العياشي مثل ما في اصول الكافي إلا أن بعد " إن كنتم صادقين " قال: فكان بين الذين خوطبوا بهذا القول وبين القائلين خمسمائة عام، فسماهم القائلين برضاهم بما صنع اولئك (٢). عن محمد بن هاشم، عمن حدثه، عن أبي عبد الله (عليه السلام): قال، لما نزلت هذه الآية: " قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين " وقد علم أن قالوا: والله ما قتلنا ولا شهدنا، قال وإنما قيل لهم: ابرؤوا من قتلتهم فأبوا (٣). عن محمد بن الارقط، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال لي: تنزل الكوفة ؟ قلت: نعم، قال: فترون قتلة الحسين (عليه السلام) بين أظهركم ؟ قال: قلت: جعلت فداك ما بقي منهم أحد قال: فإذن أنت لا ترى القائل إلا من قتل أو من ولى القتل، ألم تسمع إلى قول الله: " قل قد جاء كم رسل من قبلي بالبينات

(٣٣٦/٣)

بأن الراضي بالقتل والمصوب له حكمه حكم القاتل في الشقاوة والعقوبة. ثم اعلم أن ذكر الآية نقل بالمعنى، والآية في آل عمران هكذا " الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول ". وقال البيضاوي: هم كعب الاشرف، إلى آخر ما نقلناه آنفا. (مرآة العقول: ج ١١ ص ٢١٧ كتاب الايمان والكفر). (١) الكافي: ج ٢ ص ٤٠٩، باب في صنوف أهل الخلاف وذكر القدرية والخوارج والمرجئة وأهل البلدان، ح ١. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٨ ح ١٦٣. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٩ ح ١٦٤. (*)

---

[٣٠٤]

[كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا إلا متع الغرور (١٨٥)] وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين " فأي رسول قبل الذين كان محمد (صلى الله عليه وآله) بين أظهرهم، ولم يكن بينه وبين عيسى رسول، إنما رضوا قتل اولئك فسموا قاتلين (١). وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن عثمان بن عيسى، عن ابي المعزا، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كانت بنو إسرائيل إذا قربت القربان تخرج نار تأكل قربان من قبل منه، وإن الله جعل الاحرام مكان القربان (٢). وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): عن موسى بن جعفر، عن آبائه، عن الحسين بن علي، عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) حديث طويل، وفيه قال (عز وجل) لنبيه (صلى الله عليه وآله) لما اسرى به: وكانت الامم السالفة تحمل قرابينها على أعناقها إلى بيت المقدس، فمن قبلت منه ارسلت إليه نارا فأكلته، فرجع مسرورا، ومن لم اقبل ذلك منه رجع مثبورا، وقد جعلت قربان امتك في بطون فقرائها ومساكينها، فمن قبلت ذلك منه اضعفت ذلك أضعافا مضاعفة، ومن لم أقبل ذلك منه رفعت عنه عقوبات الدنيا، وقد رفعت ذلك عن امتك، وهي من الآصار التي كانت على الامم قبلك (٣). كل نفس ذائقة الموت: وعد ووعيد للمصدق والمكذب.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٩ ح ١٦٥. (٢) الكافي: ج ٤ ص ٣٣٥ باب صلاة الاحرام وعقده والاشتراط فيه، ح ١٦. (٣) الاحتجاج للطبرسي: ج ١ ص ٢٢١، احتجاجه (عليه السلام) على اليهود من أحبارهم ممن قرأ (*)

---

[٣٠٥]

وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه. وفي تفسير العياشي: عن زرارة، عن الباقر (عليه السلام) أنه قال: قلت: فإن الله يقول: " كل نفس ذائقة الموت " من قتل لم يذق الموت ؟ قال: لا بد أن يرجع حتى يذوق الموت (١). عن محمد بن يونس، عن بعض أصحابنا قال: قال لي أبو جعفر (عليه السلام): " كل نفس ذائقة الموت " أو منشورة نزل لها على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): إنه ليس أحد من هذه الامة إلا وينشرون، فأما المؤمنون فينشرون إلى قرة عين، وأما الفجار فينشرون إلى خزي الله إياهم (٢). وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن أبي المعزا قال: حدثني يعقوب الاحمر قال: دخلنا على أبي عبد الله نعزيه بإسماعيل فترحم عليه، ثم قال: إن الله (عز وجل) نعى إلى نبيه نفسه، فقال: " إنك ميت وإنهم ميتون " (٣) وقال " كل نفس ذائقة الموت " فقال: إنه يموت أهل الارض حتى لا يبقى أحد إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل (عليهم السلام)، قال: فيجئ ملك الموت حتى يقوم بين يدي الله (عز وجل)، فيقال له: من بقي ؟ وهو أعلم، فيقول: يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل، فيقال له: قل لجبرئيل وميكائيل: فليموتا، فيقول الملائكة عند ذلك: يا رب رسولاك وأميناك فيقول: إني قد قضيت على كل نفس فيها الروح الموت، ثم يجئ ملك الموت حتى يقف بين يدي الله (عز وجل) فيقال له: من بقي ؟ وهو أعلم، فيقول: يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش، فيقول: قل لحملة العرش: فليموتوا، قال: ثم يجئ كئيبا حزينا لا يرفع طرفه، فيقال: من بقي ؟ وهو أعلم، فيقول: يا رب لم يبق إلا ملك الموت، فيقال

له: مت

الصحف والكتب في معجزات النبي (صلى الله عليه وآله) وكثير من فضائله س ١٩. (١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٠ ح ١٧٠ بأدنى تفاوت في الكلام. (٢ تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٠ ح ١٦٩. (٣) الزمر: ٣٠. (*)

يا ملك الموت، ثم يأخذ الارض بيمينه (١) والسماوات بيمينه ويقول: أين الذين كانوا يدعون معي شريكا، أين الذين كانوا يجعلون معي إلها آخر (٢). وإنما توفون أجوركم: تعطون جزاء أعمالكم خيرا كان أو شرا تاما وافيا. يوم القيمة: يوم قيامكم عن القبور. ولفظ التوفية يشعر بأنه قد يكون قبلها بعض الاجور، كما يدل عليه أخبار ثواب القبر وعذابه. فمن زحزح عن النار: بعد عنها. والزحزحة

في الاصل تكرير الزح، وهو الجذب بعجلة. وأدخل الجنة فقد فاز: بالنجاة ونيل المراد. والفوز، الظفر بالبغية. في أمالي الصدوق: بإسناده إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال حاكيا عن الله (جل جلاله): فبعزتي حلفت، وبجلالي أقسمت أنه لا يتولى عليا عبد من عبادي إلا زحزحته عن النار وأدخلته الجنة، ولا يبغضه عبد من عبادي ويعدل عن ولايته إلا أبغضته وأدخلته النار وبئس المصير. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة (٣). وفي الكافي: سهل بن زياد، عمن حدثه، عن جميل بن دراج قال: سمعت أبا

---

(١) قوله: (ثم يأخذ الارض) أقول: هو إشارة إلى قوله سبحانه: " والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه " قال الطبرسي (قدس الله روحه): القبضة في اللغة ما قبضت عليه بجميع كفك، أخبر الله سبحانه عن كمال قدرته فذكر أن الارض كلها مع عظمها في مقدوره كالشئ الذي يقبض عليها القابض بكفه، فيكون في قبضته، وهذا تفهيم لنا في عادة التخاطب فيما بيننا. وكذا قوله: " والسماوات مطويات بيمينه " أي يطوبها بقدرته كما يطوي أحد من الشئ المقدور له طيه، بيمينه، وذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار، والتحقيق للملك كما قال: " وما ملكت ايمانكم " وقيل معناه: إنها محفوظات مصونات بقوته. واليمين، القوة، فالمراد أنه تعالى يحفظ الارض والسماوات بقدرته الكاملة بعد ما كانت محفوظة بالملائكة وسائر الخلق، وقد جعل لكل شئ حفظة منها، والله يعلم حقائق كلامه (مرآة العقول: ج ١٤ ص ٢٥٣ كتاب الجنائز باب النوادر. (٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٥٦ كتاب الجنائز، باب النوادر ح ٢٥. (٣) الامالي للصدوق: ص ١٨٥ المجلس التاسع والثلاثون س ٩ قطعة من ح ١٠. (*)

عبد الله (عليه السلام) يقول: خياركم سمحاؤكم، وشراركم بخلاؤكم، ومن خالص الايمان البر بالاخوان والسعي في حوائجهم، وأن البار بالاخوان ليحبه الرحمان وفي ذلك مرغمة (١) للشيطان وتزحزح عن النيران ودخول الجنان. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة (٢). وفيه: علي بن

إبراهيم: عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لما مات النبي (صلى الله عليه وآله) سمعوا صوتا ولم يروا شخصا يقول: " كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز "، وقال إن في الله خلفا من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركا مما فات فبالله فثقوا وإياه فارجوا وإنما المحروم من حرم الثواب (٣). وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي عن سليمان الديلمي، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إذا كان يوم القيامة يدعى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيكسى حلة وردية ثم يقام عن يمين العرش، ثم يدعى بإبراهيم فيكسى حلة بيضاء فيقام عن يسار العرش، ثم يدعى بعلي (عليه السلام) فيكسى حلة وردية فيقام عن يمين النبي، ثم يدعى بإسماعيل فيكسى حلة بيضاء فيقام عن يسار إبراهيم، ثم يدعى بالحسن (عليه السلام) فيكسى حلة وردية فيقام عن يمين أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم يدعى بالحسين (عليه السلام) فيكسى حلة وردية فيقام عن يمين الحسن، ثم يدعى بالائمة فيكسون حللا وردية فيقام كل واحد عن (١) الرغم والرغم والرغم: الكره والمرغمة مثله، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): بعثت مرغمة، المرغمة الرغم، أي بعثت هوانا وذلا للمشركين (لسان العرب: ج ١٢ ص ٢٤٥). (٢) الكافي: ج ٤ ص ٤١ كتاب الزكاة باب معرفة الجود والسخاء قطعة من ح ١٥ وتمام الحديث (يا جميل أخبر بهذا غرر أصحابك قلت: جعلت فداك من غرر أصحابي ؟ قال: هم البارون بالاخوان في العسر واليسر، ثم قال: يا جميل أما إن صاحب الكثير يهون عليه

ذلك، وقد مدح الله (عز وجل) في ذلك صاحب القليل، فقال في كتابه: " يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ". (٣) الكافي: ج ٣ ص ٢٢١ باب التعزي ح ٤. (*)

يمين صاحبه، ثم يدعى بالشيعة فيقومون أمامهم، ثم يدعى بفاطمة (صلوات الله عليها) ونسائها من ذرياتها وشيعتها فيدخلون الجنة بغير حساب، ينادي مناد من بطنان العرش، من قبل رب العزة والافق الاعلى: نعم الاب أبوك يا محمد، وهو إبراهيم: ونعم الاخ أخوك، وهو علي بن أبي طالب، ونعم السبطان سبطاك، وهما الحسن والحسين، ونعم الجنين جنينك، وهو محسن، ونعم الائمة الراشدون ذريتك، وهم فلان وفلان، ونعم الشيعة شيعتك، الا أن محمدا ووصية وسبطيه والائمة من ذريته هم الفائزون، ثم يؤمر بهم إلى الجنة، وذلك قوله: " فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز

" (١). وما الحيوة الدنيا: أي لذاتها وزخارفها. إلا متع الغرور: مصدر أو جمع غار. شبهها بالمتاع الذي يدل به على المستام ويغر حتى يشتريه. وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن سلمة بن الخطاب، عن سليمان بن سماعة، عن الحسين بن المختار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) جاءهم جبرئيل (عليه السلام) والنبي مسجى وفي البيت فاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فقال: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة " كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور " إن في الله (عز وجل) عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا لما فات فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب هذا آخرو طي من الدنيا، قالوا فسمعنا الصوت ولم نر الشخص (٢). عنه: عن سلمة، عن علي بن سيف، عن أبيه، عن أبي اسامة زيد الشحام، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) جاءت التعزية، أتاهم آت

يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٢٨ عند تفسير لآية ١٨٥ من سورة آل عمران. (٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٢١ باب التعزي ح ٥. (*)

[لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الامور (١٨٦)] البيت ورحمة الله وبركاته " كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور " إن في الله (عز وجل) عزاء ن كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا لما فات فبالله فثقوا وإياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم (١). عنه: عن سلمة، عن محمد بن عيسى الارمني، عن الحسين بن علوان، عن عبد الله بن الوليد، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتاهم آت فوقف بباب البيت فسلم عليهم ثم قال: السلام عليكم يا آل محمد " كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور " في الله خلف من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودرك لما فات فبالله فثقوا وعليه فتوكلوا وبنصره لكم عند المصيبة فارضوا فإن المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ولم يروا أحدا فقال بعض من في البيت: هذا ملك

من السماء بعثه الله (عز وجل) إليكم ليعزيكم، وقال بعضهم: هذا الخضر (عليه السلام) جاءكم يعزيكم بنبيكم (صلى الله عليه وآله) (٢). لتبلون: أي والله لتختبرون.

---

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٢١ باب التعزي ح ٦. (٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٢٢ باب التعزي ح ٨.
(*)

في أموالكم: بتكليف الانفاق، وما يصيبها من الآفات. وأنفسكم: بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب. وفي عيون الاخبار في باب ما كتب به الرضا (عليه السلام) إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل: وعلة الزكاة من أجل قوت الفقراء وتحصين أموال الاغنياء، لان الله تعالى كلف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة والبلوى كما قال (عز وجل): " لتبلون في أموالكم " بإخراج الزكاة " وفي أنفسكم " بتوطين الانفس على الصبر (١). والتسمعن من الذين أوتوا الكتب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا: من هجاء الرسول، والطعن في الدين، وإغراء الكفرة على المسلمين. أخبرهم بذلك قبل وقوعها، ليوطنوا أنفسهم على الصبر والاحتمال، ويستعدوا للقائها، حتى لا يرهقهم نزولها. وفي تفسيرات فرات بن إبراهيم الكوفي قال: حدثني الحسين بن الحكم معنعنا عن ابن عباس (رضي الله عنه) في يوم احد في قوله: " ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا " نزلت في رسول الله خاصة (٢). وإن تصبروا: على ذلك. وتتقوا: مخالفة أمر الله. فإن ذالك: يعني الصبر والتقوى. من عزم الامور: معزومات الامور التي يجب العزم عليها. أو مما عزم الله عليه، أي أمر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأي على الشئ نحو إمضائه. وفي تفسير العياشي: عن أبي خالد الكابلي قال: قال علي بن الحسين (عليهما السلام): لوددت أنه اذن لي فكلمت الناس ثلاثا، ثم صنع الله بي ما أحب، قال

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٨٩ باب ٣٣ في ذكر ما كتب به الرضا (عليه السلام) إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل، ح ١. (٢) تفسير فرات الكوفي: ص ١٩.
(*)

---

[٣١١]

(٣٤٤/٣)

[وإذ أخذ الله ميثق الذين أوتوا الكتب لتبيننه، للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون (١٨٧)] بيده على صدره، ثم قال: ولكنها عزمة من الله أن نصبر، ثم تلا هذه الآية: " والتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الامور " وأقبل يرفع يده ويضعها على صدره (١). وإذ أخذ الله: أي اذكر وقت أخذه. ميثق الذين أوتوا الكتب: يريد به العلماء. لتبيننه، للناس ولا تكتمونه: حكاية لمخاطبتهم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش، بالياء، لانهم غيب. واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله: " أخذ الله ميثاق الذين " والضمير للكتاب. والمراد بيان ما فيه من نعت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). فنبذوه: أي الميثاق. وراء ظهورهم: فلم يراعوه ولم يلتفتوا إليه. والنبذ وراء الظهر، مثل في ترك الاعتداد، وعدم الالتفات. ونقيضه جعله نصب عينيه، وإلقاؤه بين عينيه. واشتروا به: وأخذوا بدله. ثمنا قليلا. من حطام الدنيا وأغراضها. فبئس ما يشترون: ما يختارون لانفسهم. في تفسير علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام)

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٠ ح ١٧١. (*)

---

[٣١٢]

(٣٤٥/٣)

في قوله: " وإذ أخذ الله " أن ذلك في محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا خرج ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم " يقول: نبذوا عهد الله وراء ظهورهم " واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون " (١). وفي مجمع البيان: عن علي (عليه السلام) قال: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا (٢). وفي كتاب الاحتجاج: عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه: وقد ذكر أعداء رسول الله (صلى الله عيه وآله وسلم) الملحدين في آيات الله، ولقد أحضروا الكتاب كملا مشتملا على التأويل والتنزيل والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ ولم يقط منه

حرف، لا ألف ولا لام، فلما وقفوا على ما بينه من أسماء أهل الحق والباطل، وأن ذلك إن ظهر نقض ما عقدوه، قالوا: لا حاجة لنا فيه، نحن مستغنون عنه بما عندنا، ولذلك قال: " فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون " ثم دفعهم الاضطرار بورود المسائل عليهم مما لا يعلمون تأويله، إلى جمعه وتأويله وتعظيمه من تلقائهم ما يقيمون به دعائم كفرهم، فضرخ مناديهم: من كان عنده شئ من القرآن، فليأتنا به، ووكلوا تأليفه ونظمه إلى بعض من وافقهم على معاداة أولياء الله، فألفه على اختيارهم، وتركوا منه ما قدروا

(٣٤٦/٣)